السلاسل والنظائر

الجزء الثاني

د . محمد أحمد المبيض

ترتيب وتنسيق : أحد طلبة العلم

تقديم :

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، ثم أما بعد :

هذه مجموعة من السلاسل والنظائر كنت قد أنزلتها في مدوناتي ، وهي عبارة عن جزئين ، وهي سلاسل مليئة بالأسرار ، وتعيننا كثيراً على فهم القرآن الكريم ، والاستبصار من خلاله ، وقراءة واقعنا قراءة جديدة ، وكل سلسلة تصلح كنواة لكتاب مطول ، لكن هذه بداية الجهد ، وفي هذه السلسلة مدرسة متكاملة تؤسسك على فهم السنن الربانية من جهة ، وعلى فهم بعض الإشارات القرآنية التي لم يسبق إليها أحد قبلي بحدود علمي كمسالة سر المنسك الأعظم ، وفيها لطائف تفسيرية متنوعة ، وقد جمع هذه السلسلة أحد طلبة العلم من مدوناتي في ملف واحد، ووضع لها فهرساً في آخرها ، فآثرت مشاركتها هنا على شكل كتاب مكتمل ... وأهم ما في هذه السلسلة هو أنها تتضمن مفاتيح كثيرة للعلم ، خاصة لطلبة العلم النجباء ، أسأل الله القبول وأنصح طلبة العلم بطباعة الملف بملف ورقي فهو أدعى للحفظ والانتفاع به بشكل أفضل .

المؤلف

د. محمد أحمد المبيض

المهدي

المهدي ولقب المهدية

جاءت بعض النصوص بلقب خاص لمجدد آخر الزمان، لقب إذا ذُكر بإطلاقه لا يصدق إلا عليه، ألا وهو لقب المهدي، وسر الرجل هو في لقبه، هناك إشارات إلى أنه يلقب بهذا اللقب لأنه يُهدى لأمر خفي، أو يُرشد لأمر طوته الذاكرة البشرية بالنسيان، أو يُهدى للتابوت، هذه الأمور محتملة.

لكن مسألة هدايته لا بد -والله أعلم- أن تكون هداية خاصة تميز بها على مستوى البشرية، هداية يدركها الأتباع ويجدونها أصدق وصف له، كما أن أصدق وصف لعمر بن الخطاب هو الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، وأصدق وصف لأبي بكر هو الصديق، فكذلك أصدق وصف لإمام آخر الزمان هو المهدي.

ما هي نوع الهداية الخاصة التي سيتميز بها!؟ ليس بين أيدينا إشارة قطعية تدل على ذلك، لكن ما يفهم من مجموع الأدلة أنها هداية لأمر عظيم يغيب عن البشرية بأكملها، وقد يكون غائبًا عن الأولين. إنه الإمام المهدي.. هل هي هداية

لسنن ربانية تسخيرية أشبه بسنن داود وسليمان عليهما السلام!؟ الأمر محتمل خاصة أن بعض الرؤى تؤيد ذلك.

هل هي هداية فهم وحكمة من نوع خاص لأمور خفية على من حوله!؟ هناك إشارات ترشد إلى ذلك. هل هي هداية تاريخ ضائع!؟ الأمر يحتمل خاصة أنني وجدت بعض الآثار ترشد إلى ذلك. هل هي هداية خاصة في تأويل القرآن وفهمه!؟ كل ما ذكرت محتمل، ويحتمل أن يكون الأمر أعظم من ذلك.

لا يوجد في الوقت الحاضر أي إشارات واضحة ترشد إلى نوع الهداية، لكن ما أستطيع أن أجزم به أن سر الرجل هو في لقبه، وأن هذا السر حين انكشافه لن يجد الأتباع وقد يكون أيضًا الأعداء، لا يجدون لقبًا يصدق على الرجل إلا أن يصفوه بصفة المهدي.

يأتي تساؤل: هل لهذه الهداية علاقة بليلة الإصلاح!؟ الأمر محتمل لدي، لكنني أتصور أن الإصلاح يتعلق بالتهيئة بالمهمة أكثر من تعلقه بالهداية التي قد ينالها قبل الإصلاح.

*****

المهدي بين الوضوح والضبابية

قصة المهدي أو مخلص آخر الزمان يعتريها كثير من الأوهام والخلط، أخرجها من دائرة الوضوح لدى الكثيرين، بل هناك من ينكرها من أصلها باعتبار أن

عقيدة المخلص هي معتقد نصراني تسلل إلى الثقافة الإسلامية، ويعزز إنكارها أن أكثر الآثار الواردة عن المهدي هي آثار ضعيفة، وبعضها يرتقي لدرجة الحسن أو الصحيح لغيره.

وحاليًا في عالم الرؤى نجد التناقض في كثير من الرؤى الدالة على المهدي، مما جعل البعض يراها من تلاعب الشيطان في الناس، أو هي من باب أحاديث النفس تحت وطأة الظروف النفسية الصعبة التي تعيشها الأمة أو أفراد منها، في ظل تلك الانتكاسة غير المعهودة التي يعيشها المسلمون على وجه الخصوص، ففكرة المهدي هي آمال وأوهام تتراءى في النفس عبر النفق المظلم الذي أدخلت الأمة نفسها فيه.

هذه المقدمة تبرز جانب الضبابية في ظاهرة مصلح آخر الزمان بحسب معتقد المسلمين من سنة وشيعة، وهي ذات الضبابية التي يعيشها النصارى واليهود بحق مخلصهم بحسب معتقدهم، وهذه السلسلة والمقالات إنما هي لترتيب الأوراق في فهم ظاهرة المهدي.

أولًا: فكرة المخلص.

حيث يرى البعض أن فكرة المخلص هي فكرة نصرانية تسللت إلى رسالة الإسلام من الأديان الأخرى، وهي لا رصيد لها في أرض الواقع؛ لأنها هنا عبارة عن أوهام... أنقل هنا بعض الآراء الدالة على ذلك وأفندها:

على سبيل المثال: سعد محمد حسن صاحب كتاب المهدية في الإسلام، حيث يقول في كتابه: «لقد كانت عقيدة المخلص هذه –أكبر الظن– من أهم العوامل التي خلقت عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي، فحيكت هذه على غرار تلك، أما

حاكتها فهم الشيعة على يد ابن السوداء اليهودي المتمسلم الغالي في تشيعه الموهوم».

ويقول أيضًا: «ونحن لا نشك في أن عقيدة العامة من أهل السنة، بل وكثير من الخاصة إنما هي أثر شيعي تسرب إليهم؛ فعملت فيه العقلية السنية بالصقل والتهذيب. أما القول بعودة المسيح فهو دون ريب من آثار المسيحية في الإسلام».

وهذا الكلام في ظاهره الدفاع عن الإسلام، وفي باطنه الطعن في معلمين من معالمه، وهما المهدي ونزول عيسى، بل فيه الطعن بمصداقية أهم وأصح كتابين بعد كتاب الله ﷻ وهما صحيحا البخاري ومسلم، الذين أخرجا أحاديث نزول عيسى في نهاية عهد الدجال، ويتفرع على كلامه التشكيك في ظاهرة الدجال، فإذا تم التشكيك بكل ما ثبت لدينا من أحاديث صحيحة صريحة بنزول عيسى وقتاله للدجال، فماذا تبقى لدينا لكي لا يدخله معول التشكيك!؟

ومثل هذا الكلام يعتبر من السهام المسمومة التي يراد من خلالها الطعن في مصداقية السنة، ومرجعية الرجل ليست علمية من قريب ولا بعيد، بل هي خاطرة ودعوى ادعاها، واعتبرها غير مشكوك بها، واعتبرها الحاكم على منهج علمائنا العلمي في دراسة السند والمتن الذي لا عبرة له عند هذا الكاتب، وللأسف يصوغ الكاتب دعواه العريضة بصيغة يقينية، وكأن ما يدعيه هو من المسلمات.

تفنيد الشبهة:

- القول بأن عقيدة المهدي دخلت على المسلمين من فكرة المخلص: هي دعوى ادعاها المؤلف دون أن يذكر دليلًا واحدًا عليها، أو قرينة تعززها. ودعوى

عارية عن الدليل، قرينة قوية على بطلانها؛ إذ لو وجد المؤلف دليلًا على ما يقول لتشبث به، خاصة أنه بدعواه يخالف السواد الأعظم قديمًا وحديثًا.

- زَعمُ المؤلفِ يُشعِر بأن فكرة خروج رجل مخلّص لأمة من الأمم هي عقيدة وهمية يتعلق بها الضعفاء تسلية لأنفسهم، دون أن يكون لها وجود في أرض الواقع، وهذا خطأ فاحش يشهد لفحشه التاريخ والنصوص الثابتة، فبنو إسرائيل كانوا يؤمنون بخروج مخلص يخلصهم من بطش فرعون، وجاء القرآن ليبين بعد ذكر بطش فرعون لبني إسرائيل أن الله قد أرسل لهم موسى ليخلصهم من فرعون وجنوده من باب المنة الإلهية؛ لذا ما المانع أن يأتي للأمة في كل عهد من يجدد دين الله ﷻ فيها إلى أن يختم ذلك بمجدد أعظم كالمهدي، هل هذا يتنافى مع سنن الله ﷻ لكي نعتبره فاصلًا في المسألة؟ بل المتتبع للسنن الإلهية كما بينها القرآن يجد أنها تشهد لفكرة المهدي، فبنو إسرائيل لم يخل دهرهم من الأنبياء المترادفين عليهم، وكذلك قصة طالوت تشهد لمسألتنا هنا.

فهذه سنن الله ﷻ، بل رسالة محمد عليه السلام إنما جاءت لتخليص البشرية وتحريرهم من عبادة العباد لبعضهم البعض، وما يترتب على ذلك من ظلم اجتماعي واقتصادي، وكذلك إمداد الأمة بالملهمين والربانيين والمجددين يأتي لنفس الغرض، وخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يعتبران من مقتضيات رحمة الله ﷻ بهذه الأمة، وتخليصًا لها من ظلم ذلك الزمان، وهذا ما يستكثره علينا هذا الكاتب، أو يستعظم وقوعه لهذه الأمة.

ففكرة المخلص أو المجدد الأكبر أو المهدي هي فكرة جارية وفق سنن الله، بل كيف نتصور أن يرسل الله الأنبياء والرسل الكثيرين عبر الزمان، ثم يترك الأمة في آخر الزمان وخلال أعظم فتنة تشهدها الأرض (فتنة الدجال) دون أن يكون لها

معين بدرجة مجدد وليس نبي!؟ بل فتنة الدهيماء والدجال تستلزم خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام من باب المراغمة بين الحق والباطل بحسب حجمه، وكما يقال: لكل فرعون موسى، فهي السنن التي تتجدد عبر تقلبات الزمان.

ثانيًا: المهدي بين الأوهام والأحلام.

ظاهرة المهدي ظاهرة عجيبة؛ حيث أنها كانت من بشارات النبي محمد عليه السلام لأمته في أحلك مراحل الزمان، لكنها كما بينت في الفقرة الأولى اختلطت في آثارها الأوهام، ولم يعين النبي الكريم وقتًا محددًا لبداية تلك الظاهرة؛ لذا تم استغلال هذه الظاهرة أو التعلق بها خلال كل مراحل الأمة بعد الخلافة الراشدة والنكسات التي أصابت الأمة.

وهذه الفكرة كانت تهيمن على شرائح متعددة وطوائف متنوعة عبر التاريخ بحيث لم يخل قرن من الزمان إلا وعج بأدعياء المهدية، وكان للأحلام والأوصاف نصيب في إسقاط هذه الظاهرة على أشخاص معينين...، بل هناك من آل البيت من كانت فيه الصفات مجتمعة تقريبًا، واختُلقت لأجله بعض الصفات الموافقة له كمحمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، ولكن مع الأيام تبين أنه ليس هو المقصود من بشارات النبي محمد عليه السلام.

كذلك لكون هذه الظاهرة بالذات مدعاة للحشد المقدس؛ كانت وليجة للبعض لادعائها لتحقيق نوع من التمكين والغلبة في زمانهم.

وخلال تتبعي لكل مراحل الأمة الإسلامية، خاصة من القرن الثاني الهجري إلى يومنا؛ كنت أجد في كل قرن زمرة من أدعياء المهدية، وبعضهم كان يحقق نوع

من السلطان والتغلب في أجزاء الدولة الإسلامية، وقد زاد الطين بلة أن علامات الساعة في طبيعتها تحمل أوصافًا عامة؛ جعل كثير من المحققين خلال مراحل متعددة، خاصة في القرون الثلاثة الأخيرة يرى أنها قد اكتملت، ولم يبق إلا خروج المهدي.

ولاحظنا في عصرنا كيف كنت قصة جهيمان في الحرم، وهذه القصة رافقها كثير من الدلالات والقرائن والإشارات والأحلام والرؤى، لكن تبين أنها لا نصيب لها من ظاهرة المهدية المقصودة.

كل ما ذكرت سابقًا يضفي على ظاهرة المهدي وتوقيتها مزيدًا من الضبابية، ونلحظ في السنوات العشر الأخيرة أن ظاهرة المهدية أيضًا قد نالت النصيب الأوفى من التحليل، رافق ذلك رؤى تفصيلية تشير إلى المهدي أو ترمز إليه، وتسابق المعبرون في تأويلها وتحديد توقيت لبداية تلك الظاهرة، وكل اجتهاداتهم وفهمهم وتوقيتهم تبين بعد ذلك أنه كان وهمًا لا رصيد له في أرض الواقع.

وفي ظل كل هذا الكم المتراكم من الاجتهادات الخاطئة عبر قرون، بلغت أوجها في عصرنا الحاضر؛ يأتي تساؤل حيوي هام هنا، وهو: ما هو جانب الصواب عندي في فهم هذه الظاهرة في زماننا!؟ الحقيقة ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال، وأنا كباحث متعمق في هذا المجال –والله أعلم– ما زلت أجد فيه فجوات ضبابية، لكن أرى أن أضع تصوراتي وأرتب أوراقي بحسب مبلغ علمي في المسألة، فأقول:

١– خلال تتبعي لكل المراحل السابقة، وفهمي لكل علامات الساعة؛ وجدت من قرائن متعددة أن هذا العصر بالذات هو عصر الإمام المهدي، وأن الاجتهادات السابقة تعاملت مع النصوص النسبية بطريقة مطلقة جزئية، بعيدًا

عن دراسة شمولية تستوعب كل الإشارات والعلامات ذات العلاقة بظاهرة المهدي؛ لذا جاءت كثير من الأحكام متسرعة.

وقد قمت بدراسة متعمقة لم تقتصر على الكتاب والسنة فقط، بل استوعبت كتب الأمم السابقة، سواء المعهودة أو مخطوطات قمران أو غيرها من الكتب؛ إضافة لدراسة مستقصية لأكثر الرؤى والأحلام خلال العشر سنوات السابقة، وخلال دراسة متأملة متأنية اعتمدت على منهج السبر والتقسيم؛ غلب على ظني أن كل العلامات والإشارات إنما ترشد إلى أن هذا العصر هو عصر الإمام المهدي.

٢- نأتي الآن للرؤى والأحلام ذات العلاقة بالإمام المهدي، أو هكذا تصور كثير من المعبرين، هنا أقول: كان ينقص كثير من المعبرين، بل جلهم تصور شمولي لعلامات الساعة قبل تعبير الرؤى العامة؛ حيث لاحظت أن الظرف النفسي لهم ولعموم الأمة في ظل النكسات المستمرة كان هو المهيمن على التأويل، أو التعجل في إسقاط مدلول الرؤى، خاصة التي تضمنت توقيتًا معينًا.

على سبيل المثال: هناك رؤية مع بداية عام هجري وكانت عبارتها كما أذكر: (هل هلال المهدي..)؛ فسارع المعبرون بتعبيرها بأن الهلال بداية شهر، وكونها مع بداية عام هجري؛ إذًا هذه الرؤية تشير إلى أن هذا العام هو عام خروج المهدي. أقول هذا التأويل نفسه جانبه الصواب، وسبب مجانبته الصواب هو عدم إحاطة المعبر بعلامات الساعة بطريقة علمية وافية؛ لأن هناك إشارات وعلامات وإرهاصات أشارت لها السنة النبوية تتعلق بالمهدي لم تكتمل بعد.

والسنة وحي كامل والرؤى على فرض صدقها هي جزء من ستة وأربعين جزء من الوحي، والأصل عدم تعارض الوحيين، أو تعارض الجزء مع الكل على أقل

الأحوال وإن تعارض. نقدم الكل على الجزء ونريح أنفسنا، لكن هنا في الرؤيا لا تعارض إنما التعارض أوجده تعبير هذه الرؤية.

وهنا أقول: الهلال هو رمزية بداية شهر، والمعبر استخدمه رمزية بداية عام الظهور وهنا الخطأ؛ فظاهرة المهدي التي أصبحت كامنة خلال قرون طويلة والكل ينتظرها عبر التاريخ، جاءت هذه الرؤية برمزية الهلال ليس للدلالة على الشهر ولا على العام بل على الحقبة، بمعنى هل هلال المهدي؛ أي هل هلال مرحلة المهدي، كما أنه بعام الفيل وما بعده هل هلال مرحلة النبي محمد ﷺ، وخروجها من عالم الغيب إلى أرض الواقع، ولا علاقة للرؤية بالسنة والشهر.

لكن ما الذي يفرض علينا هذا التأويل؟ طبيعة علامات الساعة وفهمنا للظاهرة الشمولي، ويكون التأويل الصحيح للرؤيا أنها تشير إلى أن هذه المرحلة أو الحقبة الزمانية هي مرحلة ظاهرة الإمام المهدي، وخروجها من عالم الغيب إلى عالم المشاهدة والواقع، إنها مرحلة قد تمتد سنوات وسنوات، هذا هو التأويل الصحيح بعيدًا عن التعجل.

وما يقال في هذه الرؤية يقال في غيرها، حتى الرؤى التي ذكرت سنوات بعينها لا تراد على حقيقتها، لماذا!؟ لأن هناك أحداثًا جوهرية لها علاقة بظاهرة المهدي لم تقع بعد، بل أذكر وأنا أتابع أحد مواقع الرؤى الشهيرة أن صاحبها كان يقول أن موعد المهدي هذا العام، وإذا لم يكن هذا العام فمعنى الأمر أنه حصل في الملأ الأعلى التأجيل الثالث لظاهرة المهدي...

سبحان الله! هذا الجهل بعينه الذي وقع فيه المختار الثقفي الذي كان يقول بالبداءة؛ حيث كان يقول سيحصل أشياء فإذا لم تحصل، كان يقول: بدا لله غيرها

فبدلها، ومعتقد البداءة تقول به فرقة المختارية من فرق الشيعة البائدة، وخرج علينا من يحيي معتقدها بجهله وتعجله.

٣- ما ذكرته بخصوص رؤية الهلال يصدق على كثير من مدلولات الرؤى، بل لفت انتباهي أمر عجيب في الرؤى المطروحة -وأنا لا أتعامل إلا مع القليل منها بعد التأكد من عناصرها-، حيث لاحظت أن جزء حيوي من الرؤى بما تحمله من رموز هي كأنها رسائل لأشخاص معينين، لا يفهمها على حقيقتها إلا أصحابها، والسبب واضح أن بعض الرؤى تحمل رمزية معينة أو توقيتًا معينًا أو حدثًا معينًا مقحم في الرؤية، والغرض من هذه الرمزية انتباه صاحبها لها.

وبالتالي تأويل مثل هذه الرؤى عند من يجهل هذه الرمزية الخاصة، هو جزء من الإشكالية التي وقع فيها بعض المعبرين، حيث وجدت أن بعض الرمزيات المقحمة في بعض الرؤى لا علاقة لها بمضمون الرسالة الرؤيوية، بل هي علامة لصاحبها يفهم أنه المراد منها، وهذه الرمزية في علم التأويل هي تافهة ولا معنى لها بالنسبة لغير الرجل المقصود...

ومثل هذه الرمزية اعتبرتها أحد الإشارات الدالة إلى أننا في مرحلة الإمام المهدي؛ لأن وجود مثل هذه الرمزية التي لا دلالة لها إلا عند صاحبها، ترشد إلى أن هناك أمر غيبي، وهذه الرؤى بهذا الشكل ترمز إلى شيء خفي قريب، وإن كنا نحن لا نفهم منها شيء، ويسارع المعبرون بحملها في غير محملها الحقيقي.

وهذا المعنى لم ينتبه له أكثر المؤولين، حاشا واحدًا منهم انتبهت إليه أنه انتبه لتلك الرمزية، فكان يتحاشى الكلام عنها، وأشعرني ذلك بأن هذا المؤول قد فهم المراد من الرؤيا، أنها رسالة أكثر من كون المقصود منها التعبير والإفصاح.

٤- هناك قضية جوهرية أود أن أشير لها، وهي أن ظاهرة الأحلام لها ثلاثة خطوط مغذية لها، وهي الرحمن والشيطان والإنسان (حديث النفس)، وفي ظل الوضع النفسي الذي تعيشه الأمة؛ سنجد تسلل الشيطان وحديث النفس هو الغالب، والرؤى الصادقة هي تلك الرؤى الضمنية التي يتضح من ملامحها أنها حصنت من تسلل النفس والشيطان لها...

وهذا يحتاج إلى صيارفة الرؤى الذين يميزون بجدارة بين الغث والسمين، كذلك الرؤى المباشرة التي ترشد أن فلان المهدي أو ذاك المهدي؛ هي في غالبها من تلبيس الشيطان وهوى النفس والله أعلم.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى الرمزية المباشرة لا تدل على المهدي الحقيقي، بل تدل على حالة هداية قياسًا لما حول الرائي؛ لكنها تعمم في المعنى والتأويل.

وهذا الوضع أفرز لنا أدعياء مهدية كثر، وهذا معنى الرؤية التي تشير أن المهدي يكون عند اجتماع الأهلة، فالأهلة والبدر يرمزان لجهة واحدة؛ لكن مع فارق في النور، والأهلة رمزية الهداية العامة، والبدر رمزية الهداية الخاصة التي لن تكون إلا لشخص واحد.

٥- لفت انتباهي إلى رمزية المهدي في بعض الرؤى أنها متناقضة تمامًا في الوصف والعمر والشكل، وهذا الأمر لم يفهم المقصود منه أكثر المعبرين، وفي ظني أن ظاهرة المهدي لن تكون بشخص واحد فقط، وإن كان عنوانها الأساسي شخص واحد تحصل على هداية خاصة الله أعلم بكنهها، لكن السنن الإلهية أن المراحل الجوهرية في حياة الأمم يسوق الله لها أكثر من واحد كرموز عامة للمرحلة يتمحورون حول شخصية مركزية.

ففي عهد الفرعون كان موسى عليه السلام وكان هارون عليه السلام وكان يشوع عليه السلام، والاثنان كرمزين هامين كانا يتمركزان خلف الشخصية المحورية موسى عليه السلام، وكان لكلٍ من هارون ويشوع عليهما السلام وظيفة حيوية أثناء وبعد الشخصية المركزية موسى عليه السلام، وفي عهد طالوت عليه السلام، كان هناك صموئيل النبي المرشد للملك طالوت، وكان هناك داود عليه السلام الخليفة الأول والجندي الأبرز في جيش طالوت.

وفي مرحلة النبي محمد عليه السلام كان هناك الصديق وكان الإمام علي، ولكل وظيفته الشبيهة بوظيفة هارون الوزير ويشوع الفتى، وكان هناك عمر بن الخطاب الذي قال عنه النبي عليه السلام: "لو كان نبيًا بعدي لكان عمر". حتى على مستوى الفقه كان أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، فالثلاثة كانوا بمجموعهم عنوان المذهب الحنفي.

وكذلك ظاهرة المهدية ستسير على ذات السنن؛ لذا ستتمحور من اللحظة الأولى حول أكثر من شخص قيادي يتمحورون حول شخصية واحدة وهي المهدي، ولهم وظائف محورية تداني وظيفة الإمام في القوة وإن كانت أقل منها درجة، ويحتمل أن بعض الرؤى كانت تشير إلى هؤلاء المهديين باختلاف أوصافهم، وهذا ما أوهم البعض في تناقض الرؤى بين شيخ كبير في السن وبين شاب وبين متوسط في العمر.

*****

المهدي والمهدية

هالني كثرة أدعياء المهدية عبر الانترنت، وهؤلاء جميعهم لا يفهمون أولًا بترتيب الأحداث ومضامين الأحاديث.

ثانيًا: لا يعلمون أن الوضع الطبيعي للإمام المهدي أن يكون صاحب حكمة، وصاحب الحكمة لا يمكن أن يطلب لنفسه الابتلاء أو يدعو له، خاصة ابتلاء تحمل مسئولية عظمى.

وهذا يذكرني بكلمات أوردها الديلمي في الفردوس، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «حقًا أقول! لم يكن لقمان نبيًا، ولكن كان عبدًا ضمضامة كثير التفكر حسن اليقين، أحب الله فأحبه، فمنّ عليه بالحكمة.

كان نائمًا نصف النهار إذ جاءه نداء، قيل: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم عليَّ فسمعًا وطاعة، فإني أعلم أنه أن فعل ذلك ربي عصمني وأعانني.

فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: لأنَّ الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان، إذ يعدل فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلًا خير من أن يكون شريفًا، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها» ([1]).

إذًا الحكمة تقتضي أن لا يطلب الخلافة ومسئوليتها حكيم طلبًا للعافية، وأولى الناس بالحكمة الإمام المهدي. وهذا الأثر حتى لو كان ضعيفًا إلا أن مدلوله قوي، وهو يشير صراحة إلى فهم عظمة المسئولية وضخامة الأمانة، تلك الأمانة التي أبت حملها الجبال، وتهافت عليها متعجلًا الإنسان. نسأل الله العفو والعافية.

[1] البقاعي: نظم الدرر (١٥/١٧٦).

* * * * *

المهدي والتأييدات الربانية

لفت انتباهي أن البعض ينكر حصول تأييدات عظيمة للإمام المهدي، أو يتصور أن المهدي سيكون رجلًا عاديًا مجددًا، وليس له حظ من التأييدات الربانية سوى موضوع الخسف بالجيش، والبعض الآخر يظن أن المهدي هو عبارة عن صفات ومواصفات في الاسم والهيئة، فهي التي تحدد كونه الأمام.

وهذا كله خطأ في ظني، فالمهدي كمجدد أعظم هو أشبه بطالوت الذي جاء في مرحلة ذلة وهوان، وطلب جمهوري عام لتغيير الحال، لكن الاتفاق على رجل معين ليس بالسهولة خاصة في ظل الفوضى والشرذمة وتخلف الموازين الصحيحة؛ لذا كانت سنة الله ﷻ من باب الرحمة أن يتم الاختيار على يد نبي يعترف الجميع بنبوته، وبالرغم من وجود النبي أيضًا حصل الإشكال في اختياره لطالوت؛ لذا أعقب الأمر الآية الدالة على ملكه وهو التابوت تحمله الملائكة.

هذه هي السنن؛ ومجدد أعظم في أحلك الأزمنة لا يشفع له اسمه وحليته وكونه من آل البيت، إذًا لا بد من تأييدات ربانية صريحة واضحة تؤكد لأهل الحق، أو من يستخلصوا للحق أنه إمام الهدى في ذلك الزمان...

لذا أنا لا أستبعد بعض الروايات الضعيفة في هذا المقام، التي تشير إلى صوت ينادي باسم المهدي، أو كف تشير إليه من السماء، أو تأييدات شبيهة بذلك، أو وضوح معلم الهداية الخاصة التي لا يختلف في كونها حالة خاصة تليق بمجدد

آخر الزمان. لا بد من واحدة من هذه الأمور؛ لكي ينصاع الثلة الأولى لهذا الرجل، وإلا تكون الفتنة فقط.

والحقيقة أن فهمي هذا قد أيدته كثير من الرؤى التي تشير إلى ذات المدلول، ومن هذا الوجه أقول: لن يخرج المهدي إلا ويخرج برهانه القوي معه، وهذا من مقتضيات رحمة الله، خاصة في زمن اختلط به الحابل بالنابل، وكثر فيه الأدعياء وانتشر الكذب وكثرت الأوهام.

بل ما كتبت هذه الكلمات إلا بعد أن غلب على ظني قوتها وصدقها، من خلال ملاحقة مركبة لكثير من المعارف والعلوم المتعلقة بهذا الموضوع، فمن رؤى إلى دراسة سننية للقرآن، إلى دراسة آنية متفحصة لطبيعة المرحلة ومتطلباتها، إلى دراسة للقرائن عند أهل الكتاب، إلى غير ذلك من الدراسات المطولة...، والأيام هي خير كاشف لما أقول، والله أعلم.

*****

المهدي من أي البلاد!؟ [1]

لفت انتباهي في النت والمنتديات أن الكثيرين يخوضون في تحديد مكان المهدي، وكنت أشعر نَفَسًا قبليًا أو عنصريًا في كثير من الطروحات؛ حيث يتعصب البعض لبلده أو إقليمه، ويأتي بالأدلة أو أشباه الأدلة؛ للتأكيد على فكرته، وهذا اقتضى مني هنا بعض التوضيح.

[1] هذه مقالة أولية تحتاج مني إلى تعديلات ومراجعات.

أولًا: لم يأت دليل صريح يوضح بلد المهدي الأصلية، بل كل ما في الأمر هو عبارة عن آثار ضعيفة عن تابعين، مذكورة عند نعيم في كتابه الفتن، وكلها متضاربة جدًا في مدلولاتها، فبعضها يشير إلى اليمن أو كرعة أو يكلى في اليمن، وبعضها يشير إلى المدينة المنورة، وبعضها يدل على مكة، وبعضها قد يشير إلى الشام. بالنسبة للمدينة أو مكة فإنها تحتمل ما قبل البيعة للمهدي، أي ليست البلد الأصلية، لكن أقول هنا أن كل النصوص أو الآثار هي ضعيفة.

وهنا أود أن أشير إلى قضية مهمة، وهي أن ظاهرة المهدي كانت الأوفر حظًا من حيث الكذب ووضع الحديث فيها، وذلك لتعلق الظاهرة بالجانب السياسي والنزاعات خاصة في القرنين الأولين، وكما يقول أحد الوضاعين: (كنا إذا أعجبنا رأي صيرناه حديثًا)، لماذا؟ لأنه إذا صيره حديثًا يصبح الرأي له قدسية عند الناس، فإذا كان هذا الوضع في الحديث بالرغم من كونه من أعظم الجرائم الموجبة للنار، فكيف الوضع على غيره من التابعين، خاصة في مسألة حساسة!؟

وهنا أنبه أن كثيرًا من العلامات المذكورة في كتاب الفتن لنعيم بن حماد، والتي تتعلق بصفات المهدي؛ يرى كثيرًا من العلماء والمحققين أنه وضعها أصحاب محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، ككون المهدي في ثقل في لسانه، أو يضرب على فخذه إذا تكلم، وغيرها من المواصفات الموجودة في النفس الزكية.

الخلاصة: ظاهرة وضع الآثار والأحاديث كانت في أوجها فيما يتعلق بالمهدي، لذا نجد كتب مثل كتاب نعيم بن حماد مليئة بالآثار المتضاربة والمتناقضة في المسألة الواحدة، وهذا نجده في مسألة تحديد مكان المهدي، لذا لا يعول عليها كثيرًا.

ثانيًا: مسألة تحديد مكان المهدي التي يتعصب لها البعض هي مسألة لا قيمة لها، وقد يكون أتعس الناس بالمهدي هم بلده الأصلية، فالنبي محمد عليه السلام كان من مكة، ولكن أسعد الناس به كانوا أهل المدينة، وقد يتكرر الأمر من جديد، والمعلوم أنه لا كرامة لنبي في قومه، والعبارة السابقة أذكرها للتمثيل، فالمهدي هو مجدد أكبر فقط.

ثالثًا: المنهج والمبدأ أنه لا يعنينا من أين يبعث المهدي، أو موطنه الأصلي، أو كونه حسنيًا أو حسينيًا، أو كونه أبيض أو أسمر أو أحمر، فشخصه ومولده ولونه وبلده لا تعنينا، بل الذي يعنينا فقط هو أنه رجل بعثه الله لإقامة أمره في الأرض، فهذا هو الموضوع الجوهري في المسألة، أما باقي الأمور الأخرى فهي ليست ذات أهمية، إلا عند المتمهديين الذي يسوقون أنفسهم على أنهم المهدي، أما غير ذلك فهو لا يهم.

رابعًا: المرحلة الوحيدة التي تهمنا في المهدي هي مرحلة البيعة، والتي هناك اتفاق أنها في مكة، ففي هذه اللحظة تبدأ قيمة ظاهرة المهدي للأمة، أما حديث الرايات السود من قبل المشرق، والتي جاء فيه أن المهدي فيها؛ فهذا الحديث فيه إشكالات عدة، أهمها: أن فيه انقطاع في كلام الراوي، وقد أجبت على الحديث في موضعه وبينت دلالاته، وكيف أنه لا يدل بأي وجه على أن المهدي يأتي من المشرق، إذًا موطن الاتفاق هو أن المهدي يكون في مكة ويبعث منها.

خامسًا: في قضية إصلاح المهدي، إذا كان الإصلاح يقع في موطنه الأصلي قبل البيعة؛ هنا تأتي قيمة معرفة الوطن الأصلي، وإذا كان الإصلاح قبل البيعة؛ فهنا لا أجد دليلًا أقوى من حديث عمود الكتاب في الفصل والبيان في مسألة المهدي، وهذا الحديث أذكره هنا وأبرز دلالاته:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ» ([1])، وفي رواية: "رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع إلى الشام".

وهذا الحديث وإن كان في تأويله أن الإيمان إذا وقعت الفتن في الشام، إلا أنه استوقفني مدلول عمود الكتاب، ومسألة كونه نور وانطلق من المدينة إلى الشام، وربطه بتوقيت الفتن؛ مما قد يشير إلى أن من دلالاته انتقال الأمانة من مرحلة النبوة إلى مرحلة الخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان، وعمود الكتاب إشارة إلى الحكم بالحكمة، وليس فقط بالعلم كما هو بين المرحلتين.

وإلا فمسألة عمود الكتاب هي موضوع مهم وحساس، ويحتاج إلى توسع في فهم دلالاته؛ لذا أترك تحليله بكل رواياته في مقال آخر، لكن أشير هنا أن عمود الكتاب شيء والكتاب شيء آخر، بدليل لم يرفع الكتاب من الأمة إلى يومنا هذا، وهذا العمود انتقل من النبي محمد ﷺ إلى الشام، فمن هذا الذي سيحمل عمود الكتاب في مرحلة الفتن!؟

*****

القحطاني (بداية للفهم)

[1] أخرجه أحمد، والحديث صحيح.

سبق أن تحدثت عن القحطاني في كتابي تحت عنوان القحطاني والجهجاه، مبرزًا تصوري في موضوع القحطاني، لكن هنا أود أن أذكر إشارة سريعة يمكن أن تكون بذرة لبحث جديد عن القحطاني، وهي طبيعة الحديث الوارد بحق هذا الرجل.

فالحديث الصحيح الوحيد الوارد في مسألة القحطاني هو قول النبي ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ". وهذا الحديث متفق عليه؛ حيث اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه، وأعرضوا عن إخراج أي حديث للإمام المهدي.

طبعًا هناك تخريج ذكره العلماء لفكرة عدم إخراج البخاري ومسلم أي حديث للمهدي، وهو أنهما لم يلتزما إخراج كل الأحاديث الصحيحة في كتابيهما، بل تركا الكثير من الأحاديث الصحيحة التي استوعبتها كتب السنن الأخرى.

لكن هذا التخريج أمكن تصوره في كل مباحث كتابيهم إلا موضوع المهدي؛ لأن العالمين الجليلين جعلا كتابيهما مرتبين على طريقة الأبواب وبحسبها ليستوعبا كل مسائل الدين المطروحة في السنة، ولكليهما كتاب كامل وعنوان كبير عن الفتن والملاحم تتفرع تحته أبواب كثيرة، وبالرغم من ذلك أغفلوا ظاهرة المهدي في أبواب الفتن.

فلو كانت أحاديث المهدي أو أي واحد منها له أدنى درجات الصحة المعتبرة لديهما؛ لذكروه أو واحد منهما في أبواب الفتن، لأن موضوع المهدي هو موضوع جوهري وحساس في الفتن والملاحم. حيث عده البعض من العلامات الكبرى أو الوسطى.

وبالرغم من ذلك لم يذكر البخاري ولا مسلم أي حديث عن المهدي، لا بد أن يكون هناك سبب جوهري لدى العالمين الجليلين في فن الحديث الشريف. (طبعًا لا

أشكك في ظاهرة المهدي، لكن هذه وقفة مهمة لا بد منها عند كل دارس لفن الفتن والملاحم).

وبالمقابل اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديث القحطاني، وهذا موضوع سأستوعبه في دراسة خاصة، أحلل فيها الدواعي والأسباب والحكم من إغفال البخاري ومسلم لأحاديث المهدي وإخراجهم لأحاديث القحطاني. فهذا موضوع ليس هنا محله.

لكن هذه المقالة أقصرها على حديث القحطاني، فالحديث عجيب جدًا ومجمل في دلالاته: "رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه"، هذه المعلومة هي كل ما ثبت عن النبي عليه السلام، أو هي كل ما وصلنا ثابتًا عن النبي عليه السلام.

لماذا كل هذا الغموض!؟ لماذا لم يفصل لنا النبي عليه السلام في بيان حقيقة هذه الشخصية!؟ أقول: سبب الغموض أو بعبارة أدق الإجمال في قصة القحطاني، هو أن ما اختصره النبي عليه السلام في قصة القحطاني هو رمزية وعنوان لتجربة طويلة معهودة معروفة لكل المسلمين.

القحطاني يسوق الناس بعصاه، وبالنظر في القرآن نجد أن موسى عليه السلام في الماضي ساق الناس بعصاه، حيث كانت العصا هي محور قصة موسى مع فرعون من جهة ومع بني إسرائيل من جهة اخرى.

إذًا شبيه موسى عليه السلام في الأمة سيكون القحطاني نفسه، وهذا يعزز عندي طبعًا من قرائن متعددة ليس محلها هنا أن القحطاني سينال تأييدات ربانية كتلك التي نالها موسى عليه السلام، والأمر ليس مستغربًا أو مستهجنًا، وليس هناك ما يمنعه شرعًا ولا عقلًا، ورحمة الله بعباده أوسع من تصور المتحجرين النمطيين في تفكيرهم، والأيام ستثبت مقالتي هذه.

لكن الذي لم أفهمه في القحطاني، والذي يمكن أن يكون العجب العجاب؛ هو أن تكون العصا التي مع القحطاني هي ذاتها العصا التي كانت مع موسى عليه السلام، وما ذلك على الله ببعيد، ولئن كان ذلك كذلك؛ فتكون بعض النصوص التي تكلمت عن المهدي يراد بها القحطاني ذاته، وهذا يدخل في دائرة الاحتمال خاصة أننا نتعامل مع نصوص كلها ظنية الدلالة.

يبقى الآن لكي نفهم قصة القحطاني جيدًا، نحن بحاجة لكي نفهم سنن قصة موسى عليه السلام، والتي توسع القرآن الكريم في طرحها، وجعل لها المساحة الأوسع من القصص القرآني، إنه الماضي الذي يحكي المستقبل: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا".

* * * * *

موسى عليه السلام والإمام المهدي

أود أن أشير هنا لقضية مهمة لا بد أن يدركها قارئ الفتن والملاحم، وهي أنه لا يمكن له أن يفهم حقيقة مرحلة المهدي رضي الله عنه إلا إذا كان فاهمًا لقصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، وهذا باب يحتاج معالجته لمجلد كبير حتى يتم فهمه من جميع جوانبه.

بداية لا بد من بيان طبيعة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم كتاب مطلق شمولي يجمع بين الغيب والشهادة في آن واحد، هذا الكتاب من أوصافه الثابتة في القرآن

الكريم أنه كتاب كريم، ومعنى كريم أمران: هو إشارة إلى عظيم صفاته إضافة لعظيم عطائه، فهو دائمًا يعطي.

ومن أوصافه أنه قرآن مجيد، والمعني الحيوي لصفة المجيد للإشارة إلى ديمومة العطاء في القرآن الكريم، فالقرآن يعطي وعطاؤه دائمًا في كل زمان ومكان، إنها ديمومة تفوق كل عقول البشر جميعًا، ومن هذا الوجه القرآن لا تشبع منه العلماء؛ لأنهم كلما تأملوا فيها تكشفت لهم الأسرار الجديدة الخافية عليهم.

وهو لا تنقضي عجائبه، بل هو القرآن العجب كما وصفته الجن في سورة الجن، يقول الله ﷻ: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» [النمل٦]، فهذه الآية تشير إلى أن القرآن من لدن حكيم عليم، ومن أوصاف الله أيضًا الخبرة، والحكمة الإحاطة الكلية بالأشياء والأحداث وما يتعلق بها، أما العلم والخبرة فهي المعرفة الدقيقة بالتفاصيل الظاهرة والباطنة، الحكمة كلية تقابل عالم الغيب، والخبرة تقابل عالم الشهادة.

والقرآن من لدن حكيم خبير، أحاط بالماضي والحاضر والمستقبل، وكل دقائق الأمور الخفية والظاهرة التي تمثل عجلة الحياة الإنسانية إلى قيام الساعة، ونزل القرآن المجيد ليحمل في آياته المبنية على الحكمة (عالم الغيب) والخبرة (عالم المشاهدة) كل تفاصيل صراع الحق والباطل لقيام الساعة، فهو يحكي الحاضر لكن بلغة الماضي "وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ".

ومن هذا الوجه طالبنا الله بالاعتبار دائمًا من خلال القرآن، والاعتبار معناه العبور بالقصة من الماضي للحاضر؛ لذا سيقت قصة موسى عليه السلام وهي تحكي الماضي بطريقة تخدم أحداثًا مباشرة في المستقبل وتشير إليها صراحة، وهذا أمر

سأوضحه بالأدلة، بل بالأدلة التي تشير إلى مرحلتنا الحالية بدقة، لكن ليس موطنه في هذه المقالة هنا.

أما ما أريد الإشارة إليه هنا هو أن قصة موسى عليه السلام وأسرارها هي ذاتها تحمل قصة المسلمين في آخر الزمان، ليس من حيث الأشخاص، بل من حيث عناصر الأحداث، فأمة الله مستضعفة في عهد موسى عليه السلام، وأمة الله الحالية مستضعفة، هناك إرادة ربانية بالمن على المستضعفين في الأرض وتمكينهم وهم بنو إسرائيل، وهناك إرادة ربانية بالمن على المستضعفين من أمة محمد في آخر الزمان.

والوعود واضحة من خلال نصوص كثيرة تبشر بالخلافة والتمكين، هناك سعي قوي لإهلاك بذرة المستضعفين حتى لا تقوم لهم قائمة، وهو ذات السعي الآن لإنهاء المستضعفين في الأرض ورسالتهم الربانية، هناك فتون واستخلاص يمر به صاحب الرسالة المخلص لبني إسرائيل، والرؤى تشير إلى ذات الفتون والاستخلاص بحق مخلص آخر الزمان. هناك تمكين لصاحب الرسالة من خلال عصاه (عصا الراعي)، وهناك ذات الإشارة في حق المهدي القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه كما ساق موسى عليه السلام بني إسرائيل بعصاه.

وهذه مقارنات يطول الحديث عنها؛ لذا كانت تأتي الآيات للنبي محمد عليه السلام ومن ورائه الأمة: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ"، أقول حديث موسى عليه السلام هو ذاته الأشبه بحديث الأمة في آخر الزمان في عالميتها الثانية بإذن الله.

*****

إصلاح المهدي وموسى عليه السلام

هذه خاطرة أضيفها لما ذكرته عن إصلاح المهدي في كتابي الموسوعة، فالإصلاح ورد حصوله لثلاثة حالات: الأولى هي إصلاح زوجة زكريا عليه السلام، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ" [الأنبياء]، والإصلاح هنا يراد به الإصلاح الجسدي لزوجته العاقر لكي تتأهل للحمل والإنجاب. ويتصور حصول مثله لسارة عليها السلام زوج إبراهيم عليه السلام.

الإصلاح الثاني هو إصلاح النبي عليه السلام، وقد حصل له ثلاث مرات:

المرة الأولى:

وهذه حصلت للنبي عليه السلام وهو صبي في ديار سعد، وكان عمره سنتان وشهران أو ثلاث سنوات، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ –يَعْنِي ظِئْرَهُ– فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ"، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ» ([1]).

المرة الثانية:

[1] أخرجه مسلم برقم ٢٦١.

كانت مع بعثة النبي عليه السلام ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، قال الحافظ في الفتح عند شرحه لحديث باب المعراج من البخاري قال: وثبت شق الصدر عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل. ([1])

المرة الثالثة:

وهذه كانت مع رحلة المعراج كما ثبت في الصحيحين، كما ورد عن أبي ذر يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا" ([2]).

إذًا هذه ثلاث حالات إصلاح تعرض لها النبي عليه السلام خلال مراحل متنوعة من حياته، الإصلاح الأول ارتبط بموضوع العصمة من الدرجة الأولى؛ لذا ارتبط بحظ الشيطان، والإصلاح الثاني أراه له علاقة بسورة اقرأ وبداية نزول الوحي؛ لتكتمل معاني القراءة باسم الله كما سأبين في مقالة منفصلة، أما الثالثة فهي لها تعلق بانكشاف دائرة الغيب المتعلقة برؤية الآيات الكبرى؛ لذا ارتبطت بأهم عنصر حيوي متعلق بعالم الغيب وهو الحكمة والإيمان كما بين الحديث في صحيح البخاري.

والمعلوم كما بينت سابقًا أن الحكمة بالذات تتعلق بعالم الغيب، ولمزيد بيان أوضح بدليل من سورة الأنعام: "عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" [الأنعام٧٣]، فالذي يقابل عالم الغيب هو الحكيم والحكمة، والذي يقابل عالم الشهادة هو الخبير والخبرة، والنبي عليه السلام سيدخل لقراءة موسعة في دائرة الغيب عبر الملكوت

---

[1] فتح الباري (٢٠٥/٧).
[2] أخرجه البخاري برقم ٣٤٩.

ليرى من آيات ربه الكبرى؛ لذا تم إصلاحه قبل المعراج ليتهيأ لهذه المهمة العظيمة بالأدوات المناسبة لها، وهو ملء قلبه من الحكمة والإيمان.

ولعل النبي تعرض لثلاث حالات إصلاح لعظمة المسئولية التي تميز بها من بين الأنبياء جميعًا، فهو الرسول العالمي الوحيد والخاتم للنبوة. وحالات الإصلاح الثلاثة هنا هي إصلاح تأهيل للمهمة الملقاة على النبي ﷺ، وقد تنوعت نوعية الإصلاح بحسب نوعية المهمة فما كان قبل البعثة مغايرًا لما كان مرافقًا للبعثة ومغاير لرحلة المعراج.

نأتي الآن لموسى عليه السلام، وهو هنا المحور الأساسي في موضوع إصلاح المهدي، فموسى عليه السلام بالرغم من طبيعة الشخصية والكاريزما التي تميز بها إلا أنه في نفسه كان للحظة الأخيرة لا يتصور أن يكون هو الرجل المقصود، أو المخلص الموعود به عند بني إسرائيل.

حيث قدر الله سبحانه وتعالى في شخصيته بعض الأمور التي ظاهرها أنها مانعة في نظر صاحبها للقيام بهذه المهمة العظيمة، أما هذه الأمور فكان أولها ثقل في اللسان واضح جدًا، والأصل في الرسول أن يمتلك قدرة على البيان والفصاحة بأعلى الدرجات حتى يبين لقومه.

وهذه العلة أو المانع هي من أول الأمور التي واجهت موسى عليه السلام عندما حمل الأمانة؛ لذا طلب من الله إصلاحها، وذلك في قوله: "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي"، لكن عقدة اللسان لا تكفي للمهمة فقط لذا طلب طلبًا آخر مكملًا: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ" [القصص٣٤].

فوزارة هارون عليه السلام ورسالته إنما كانت من الدرجة الأولى من باب التأييد لموسى في مهمته التي تعتريها بعض الموانع في نظر صاحبها. وهذا المانع

استخدمه فرعون لعنه الله للطعن في رسالة موسى (عليه السلام)، يقول الله (تعالى): "أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ" [الزخرف٥٢]، فهذه قالها فرعون حتى بعدما انحلت عقدة من لسان موسى (عليه السلام).

أما المانع الثاني وهو الأهم في شخصية موسى (عليه السلام)، فهو سرعة غضبه وضيق صدره خاصة في المواقف التي يرى فيها الظلم، وهذا الموقف رأيناه من موسى في قصة الرجلين اللذين كانا يقتتلان، فقتل المصري مباشرة بوكزة واحدة، وبالرغم من ندمه على الحدث، إلا أنه في اليوم الثاني يتعرض لذات الموقف ويقع في نفس الإجراء: "فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ" [القصص١٩].

إذًا موسى (عليه السلام) لطبيعته كان يسير في نهج الإصلاح الدموي، وهذا لا يتوافق ومضمون الإصلاح، حتى أنه تم الاعتراض عليه بأنه يريد أن يكون جبارًا في الأرض وما يريد أن يكون من المصلحين، حتى لو كان المصلحون في أدنى درجات الإصلاح في المجتمع؛ هذا لا يتوافق معهم كما بينت الآية في الخطاب الحاصل فيها.

وهذا المانع بالذات كان هو المهيمن على موسى (عليه السلام) حتى اللحظة الأخيرة، لذا كان –كما أظن– يستبعد أن يتصور نفسه هو الرجل الموعود، وقد قدر الله هذه الموانع في الإمام المخلص في ذلك العهد من باب الحفظ له من ناحية، ومن ناحية أخرى من باب الاصطناع له، وشرح العبارتين أو الغايتين السابقتين يحتاج لمجلد لكي نستوعب دلالاتهما؛ لذا أتركهما بعواهنهما مجالًا للتأملات للقراء.

وقضية ضيق الصدر وسرعة الغضب عند موسى (عليه السلام) كانت مهيمنة عليه؛ لذا كان أول طلب له لإصلاحه هو قوله: "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي".

لكن بالرغم من الموانع السابقة في نظر موسى نفسه، والتي جعلته يعيش صراعه الحياتي الخاص بعيدًا عن تصور كونه الرجل الموعود حتى اللحظة الأخيرة التي استدرجه الله بها نحو طوى، وخلال طرحي لقصة غصن الرب أجد أيضًا بين النصوص ما يوحي بوجود موانع تأهيل، وهذه الموانع تنتهي بالإصلاح في اللحظة الأخيرة التي يفهم بها الإمام المهدي أنه الرجل الموعود.

كذلك نلحظ أن موسى (عليه السلام) كان لديه عقدة في لسانه، وفي نظر فرعون لا يكاد يبين، لكنه عند الله كان الكليم، بل هو الوحيد في الأرض من يطلق عليه هذا اللقب، قال (سبحانه وتعالى): "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" [الملك١٤]، ولئن كان موسى (عليه السلام) لا يتصور نفسه أنه الموعود حتى اللحظة الأخيرة؛ فـ "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" [الأنعام].

لكن وجود بعض الأمور التي في ظاهرها أنها موانع، لا يعني بأي وجه أن موسى (عليه السلام) لم يحز الكمال في زمانه، ففي مجمل شخصيته كان كاملًا ومؤهلًا لأن يكون من الرسل أولي العزم، وهو المؤهل الوحيد لكي يخاطبه الله مباشرة وهو في الحياة الدنيا.

هذه خاطرة طرحتها بين يدي موضوع الإصلاح، أتممها بما كتبته في الموسوعة قبل ١٥ عامًا عن موضوع إصلاح المهدي، ثم أخلص إلى النتائج من هذه المقالة.

عَنْ عَلِيٍّ ﷛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ"، نلحظ في حديث علي ﷛ إشارة نبوية إلى أن المهدي يصلحه الله في ليلة، وهذا يحتمل أمرين:

الأول: إن الإصلاح هنا يراد به عصمة المهدي من بعض الذنوب أو الصغائر التي لا تتناسب ومقام الإمامة العظمى التي سيقوم بأمرها، وقد ورد في بعض الآثار أن المهدي يتوب من ذنب، وصيغة النكرة للذنب فيها معنى الستر، وفيها إشارة إلى أن هذا الذنب ليس من الكبائر؛ لذا نُكِّر تقليلًا له.

الثاني: الإصلاح يراد به تهيئة المهدي ﷛ للقيام بأعباء قيادة أمة والإمامة العظمى، فالإنسان قد يكون صالحًا في نفسه، لكنه لا يكون كفؤًا لإصلاح أمة أو قيادتها، وهذا معلوم فإن قيادة أمة يتطلب مؤهلات كثيرة، خاصة إذا كانت هذه الأمة غارقة في الفتن والمتاهات والضلالات وتسلط الغير عليها، ففي مثل هذه الحالة لا تحتاج الأمة إنسانًا صالحًا فقط ليرشدها سبيل النجاة مما هي فيه فقط، بل تحتاج قائدًا ملهمًا تتوفر فيه كل مؤهلات القيادة لكي يستنقذها مما هي فيه.

لذا المراد بالإصلاح هنا تأهيل المهدي بكل مؤهلات القيادة التي تتناسب ومقام الإمامة العظمى للأمة، وهذا يذكرني بموقف النبي ﷺ مع أبي ذر عندما طلب منه أن يستعمله في الإمارة ونحوها، فقال النبي ﷺ لأبي ذر: "إنك امرؤ ضعيف يا أبا ذر، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة".

فوصف النبي ﷺ لأبي ذر بأنه ضعيف لا يراد به الانتقاص من صلاح أبي ذر وأمانته وقوة إيمانه، فهذا معلوم وقوة إيمان أبي ذر ﷛ وصلابته في الحق وصلاحه معلوم، فالنبي ﷺ نفسه قد أشار إلى ذلك بقوله: "أنه ما أضلت

الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر"، وفي رواية: أن أبا ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى عليه السلام.

إذًا ليس المراد بضعف أبي ذر رضي الله عنه في الحديث عدم صلاحه أو قلة إيمانه أو ارتكابه للمعاصي، إنما المراد به ضعف مؤهلات الإمارة عند أبي ذر رضي الله عنه؛ لذا الأولى له ألا يتقلدها.

ومحصلة ما ذكرت أن صلاح المهدي لا يعني بالضرورة كونه قبل تلك الليلة صاحب معاصي، بل يراد به تأهيله بمؤهلات الإمامة العظمى، فالإصلاح هنا يراد به التزكية والترقية في الصفات، لا رفع المعاصي وتنحيتها، وهو من باب قول الله لموسى عليه السلام: «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي».

وفي ظني أن الأمر الثاني هو الراجح في حق المهدي رضي الله عنه، ويعززه قول الإمام علي عن المهدي عليه السلام أنه يشبه النبي عليه السلام في الخُلق، وفي رواية: أنه لم تلبسه فتنة. مما يؤكد أن المراد بالإصلاح هو التأهيل والتهيئة لقيادة الأمة، وذلك بتبصيره بمواطن الخلل في الأمة وطرق العلاج، والمنهج الحكيم للخروج من الفتن التي عصفت بها، ووسائل تجديد معاني الإيمان فيها، والقدرة على تأليف القلوب، والاستبصار بمعالم الرسالة كاملة لكي يعززها في أتباعه... إلخ

هذا مجمل ما طرحته في موضوع إصلاح المهدي رضي الله عنه، يبقى بيان خلاصة المقالة لكي تتم الفائدة من موضوع المقالة.

الخلاصة:

١- ما طرحته عن موسى عليه السلام وإصلاحه، ووجود ما ظاهره موانع له من كونه المخلص الموعود لبني إسرائيل، أرى أنه نفسه الذي قد يكون حاصلًا مع

الإمام المهدي، ووفق ذلك لا يمكن للمهدي أن يدعي مهديته أو يدعو لها قبل الإصلاح؛ لأنه يعلم من نفسه وجود بعض الموانع التي تمنعه من هذا الادعاء، بالرغم من وجود مؤهلات كثيرة لديه وكفايات معرفة وأداء وإنجاز عالية جدًا؛ لذا يكون المهدي الحقيقي أبعد الناس عن هذا الادعاء.

ومن هذا الوجه أقول: أن كل أدعياء المهدية تعجلوا أمرهم في أمر ليس لهم، بل صاحب الأمر نفسه لا يعلم نفسه يقينًا، وسياق كثير من الرؤى يشير إلى هذا المضمون كقرائن معززة.

٢- هناك تشابه بين قصة موسى عليه السلام وبين قصة المهدي في أن كليهما كانا مخلصين لأمة مستضعفة، بل لا أجانب الصواب إن قلت أن موسى عليه السلام هو مهدي بني إسرائيل أو مهدي زمانه، وهذا الزعم أرشدت له بعض الآيات عن طريق التلميح لا التصريح، ونلاحظ في قصة موسى عليه السلام هيمنة فكرة صفة الهداية عليه في كل خطواته، يقول الله سبحانه وتعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ" [القصص٢٢]، وعند الطور قال: "إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" [طه١٠].

فهو يطلب الهدى والهداية في كل خطواته، وعاش تجربة هداية خاصة به كانت من العجائب؛ لذا نلحظ هيمنة صفة الهادي وتجلياتها في خطاب موسى عليه السلام؛ فعندما سأله فرعون من ربكما يا موسى!؟ لم يجد موسى عليه السلام إجابة جامعة مانعة إلا نعت الله بأنه الخالق الهادي حيث قال: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" [طه٥٠]، هنا نجد هيمنة صفة الهادي على قلب موسى عليه السلام، ويرى أن تجلياتها عامة ومرشدة في الدلالة على الله؛ لذا نجد عندما بين من هو الله قال هو الخالق لكل شيء والهادي له...

وهذه الآية تحتاج لمقالة منفصلة لتجلية أسرارها، لكن توحي بطريقة ما على هيمنة صفة الهادي وتجلياتها على موسى عليه السلام، خاصة أنه عاش تجليات هذا الاسم في كل خطوة له، خاصة في ذهابه إلى مدين ثم إلى الطور، ثم في رعيه الغنم عبر التأمل في الموجودات حوله.

من هذا الوجه أقول: تجربة الهداية الخاصة التي عاشها موسى عليه السلام وجعلت صفة الهداية هي المهيمنة على حديثه وفي وجدانه، بل نجد يركز على هذه الكلمة حتى في خطابه العام يقول الله سبحانه وتعالى: "وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" [القصص٣٧]، فهو الذي جاء بالهدى من عند الله وهو مهدي بني إسرائيل، وهو صاحب تجربة الإصلاح حين استلام المهمة.

بل نلحظ أن صفة الهادي كانت في وجدان موسى عليه السلام، حتى في اللحظات الصعيبة جدًا، بحيث نجده لا يلقي بنفسه إلا عليها، ففي اللحظات الأخيرة لفرعون عند انبلاج الصبح، واستبان بنو إسرائيل المكان مع ولوج النهار؛ علموا يقينًا أنهم وقعوا في مصيدة، حيث أن ثلاث جهات لا مجال للحركة والفرار من ناحيتها، والجهة الرابعة كان يتراءى لهم فرعون وجنوده، عندها قالوا يائسين إنا لمدركون يا موسى.

يقول الله سبحانه وتعالى: "فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" [الشعراء٦١]، في هذا الموقف العصيب لم يجد موسى عليه السلام إلا صفة الهادي ليلقيها في حجر بني إسرائيل، ويزجرهم بها: "قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" [الشعراء٦٢]، إنها الصفة التي كان لموسى عليه السلام تجربة خاصة معها؛ لذا تطفو على السطح دائمًا

في كل مقام خاصة المواقف العصيبة جدًا، وبالفعل كان الهادي الذي أوحى له طريق الهداية للنجاة، وفي نفس الوقت طريق الخلاص من عدوه.

وهذه هي السنن الجارية وكما كان لصفة الهداية النصيب الأوفر من تجربة موسى (عليه السلام) في تخليص بني إسرائيل، سيكون لنفس الصفة الحظ الأوفر في تجربة المهدي في تخليص أمة الإسلام والأرض من الظلم والجور.

٣- مزيد في البيان في تجربة موسى (عليه السلام) في الهداية، هو تلك السنوات التي قضاها موسى (عليه السلام) في مدين في أرض غربة، هناك كانت الفرصة الأوفى لتزكية نفسه وتحقيق توازن لعواطفه الضابطة لغضبه السريع، فهو هنا في أرض غربة، ويعيش مجاورًا لرجل صالح، لذا لا ينبغي بحال أن يجلب له المتاعب، وهذا يجعله يضبط نفسه مع الغضب في غربته، التي ألقت بظلالها حتى على ابنه الأول الذي أسماه جرشوم، ومعناه (جار هناك) أي غريب في بلاد غربة.

فهذه المرحلة استشعر موسى (عليه السلام) عناية الله به، وهدايته نحو الصفات المطلوبة عند استلام المهمة؛ فالله هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فصفة الهادي التي عاش موسى (عليه السلام) في أرقى تجلياتها، خاصة في مرحلة الاصطناع والفتون في مدين؛ كان لها الأثر الكبير على هيمنة هذه الصفة على خطابه، بما يوحي بالإشارة أنه كان مهدي بني إسرائيل.

٤- ما يمكن قوله في الختام: أن المهدي قبل الإصلاح هو إنسان عادي جدًا، نعم هو رجل صالح وفيه مؤهلات الإصلاح، وله عناصر في الشخصية تميز بها عن جميع من في الأرض، وهي عناصر كامنة لوقتها، لكن هذا شيء

وحمل أمانة أمة بأكملها في أشد مراحل الفتن والظلمة التي مرت بها البشرية، فهذا لا محالة يحتاج إلى إصلاح لا يعلم حقيقته إلا اللطيف الخبير.

وتأخير الإصلاح حتى اللحظة الأخيرة كما ذكرت سابقًا قد يكون لدواعي الحفظ من جهة، ولدواعي الاصطناع من جهة أخرى في فرن التمحيص والفتون والابتلاء، وقد أرشدت عشرات الرؤى لهذين المدلولين بوضوح، مما يشير إلى أنه تدريجيًا ينتقل من طور إلى طور، حتى يبلغ الطور الأخير الذي معه الإصلاح، عندها يطوي مرحلة الرجل الصالح المصلح؛ ليبدأ بمرحلة المجدد الأعظم للأمة، وقد يكون جزء من عملية إصلاحه لها علاقة بنوع من الخلافة التسخيرية التي قد ينالها والله أعلم.

٥- موضوع السنن وجريانها عبر التاريخ، هو موضوع حيوي وعميق في آن واحد، ويحتاج لدراسة متأنية في فهمه من خلال عناصره المتنوعة، وهذه المقالة هي دراسة في جانب منه.

*****

تعقيب على موضوع إصلاح المهدي

لاحظت من البعض الربط بين رمضان أو ليلة القدر على وجه الخصوص وبين مسألة الإصلاح، ولا ترابط بين الأمرين، فهي محاولة اجتهادية من البعض لا ترشد لها الآثار؛ والحديث استخدم كلمة (ليلة) نكرة للإشارة إلى أنها ليلة غير معينة، وكل ليالي السنة هي مجال لكون الإصلاح فيها.

أما التساؤل الآخر في الربط بين الإصلاح والعلم، فأقول: مسألة العلم والحكمة بحسب السنن تؤتى إيتاءً وليست بحاجة للإصلاح، والإصلاح مرتبط بطبيعة المهمة الملقاة على المهدي، وجزء من المهمة ما زال مجهولًا لدينا، ولا يقول البعض: الآثار فصلت في مهمة المهدي؛ فالتفصيل الحاصل في خطوط عامة لا تبرز طبيعة المهمة بشكل واضح...

لكن مسألة شق الصدر التي تعرض لها النبي عليه السلام ثلاث مرات، والمرة الثانية ارتبطت بنزول الوحي كما ذكر ابن حجر العسقلاني فيما أورده عن ابن نعيم في الدلائل؛ فأظن والله أعلم أن المرة الثانية لها علاقة قوية بمسألة عمود الكتاب، الذي هو شيء آخر غير الكتاب، وهو الذي ارتفع كما رآه النبي عليه السلام في رؤيته الثابتة في السنة.

وقد بين النبي عليه السلام أن عمود الكتاب سيعود في آخر الزمان مرة أخرى، فيحتمل أن إصلاح المهدي متعلق بعمود الكتاب كتهيئة له لحمله، وهو كما ذكرت ليس القرآن بل هو نور وشيء مغاير، وأظن له علاقة بالحكمة المقدرة للموقف، بحيث توضع المعالجات المناسبة بحسب المفاجآت والمواقف المتعددة التي يتعرض لها، وهذا ما تميز به جده المصطفى ومن الأمة: الأئمة أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، وهو ما تفتقده الأمة في كل قياداتها أو علمائها الذين أصبحوا أسرى للنص بعيدًا عن روحه.

وهنا يجب أن نميز بين السنة والحكمة، فالسنة الطريقة وقد فهمت أجزاء منها بطريقة مغلوطة، أو وقف العلماء عند نصوصها دون الولوج لسياقها الطبيعي الذي اقتضته، وهذا ليس في كل المسائل بل في بعضها...

لذا جاء التعبير عن نهج النبي بكلمة الحكمة وليست السنة، يقول الله ﷻ: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ" [البقرة١٢٩]، "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ" [البقرة١٥١]، "وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [البقرة٢٣١].

"لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" [آل عمران١٦٤] "وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" [النساء١١٣]، "وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" [الأحزاب٣٤].

وهكذا إذا تتبعت الآيات تجد أنها تستخدم الحكمة للإشارة للنهج العملي والتربوي الذي قام به النبي عليه السلام، وهو ما يعرف لدينا بالسنة، فالحكمة هي الاستثمار العملي لآيات الكتاب، وهي المرتبطة بعمود الكتاب في ظني.

وموضوع الحكمة والسنة أمر شائك يحتاج إلى توسعة وتفصيل طويل جدًا حتى يتم لملمته من كل جوانبه، لكن المهدي سيحكم بالحكمة والتي هي في حقيقتها طريقة النبي وسنته، وليس مفهومنا التنصيصي للسنة، ومن هذا الوجه يكون مجددًا أعظم.

ومعنى كونه مجددًا أعظم؛ ففي هذا إشارة إلى اختراقه للسنين والقرون نحو روح الملة، كما كانت في عهد النبي عليه السلام يحكم بالحكمة المقدرة للموقف والمحققة

لمدلول الكتاب وروحه، بعيدًا عن كثير من المفاهيم والاجتهادات المضيقة، التي تسلسلت عبر القرون واختزلتها عقولنا في الماورائية الذهنية.

إذًا في ظني هذا جانب من الإصلاح الذي سيتعرض له الإمام، وقد يكون جانب ثانٍ منه له علاقة بالخلافة التسخيرية التي تشير كثير من النصوص على حصولها في عهد الإمام، كذلك لا يمتنع أن يكون هناك إصلاح جسدي للإمام، وقد وجدنا مثله عند موسى عليه السلام...

ونلحظ من قصة غصن الرب أنه كان مختبر أوجاع وأحزان، وهذا المعنى أرشدت إليه بحسب اطلاعي أكثر من ٢٠ رؤية، بل هناك رؤى أرشدت لشكلية الإصلاح الجسدي، فهذا العدد من الرؤى لا يحتمل أن يتواطأ كل أصحابها على وضعها.

كذلك نلحظ أن الإصلاح الجسدي وقع أيضًا لنبي الله أيوب بعد ابتلاءاته المتنوعة، وقد جاءت رمزية أيوب في رؤى متعددة بما يوحي بوجود ابتلاءات متشابهة. فكل هذه القرائن توحي أن هناك مشكلة صحية ما يتعرض لها الإمام في سنين الابتلاء والتمحيص؛ فقد يكون هناك نوع من الإصلاح الجسدي له في هذه الجوانب أيضًا؛ لكن حقيقة الأمر لا نعلمه وما زال في طور الغيب.

*****

غصن الرب والإمام المهدي ﷺ [1]

تمهيد ومدخل

هذا الموضوع لم أرغب بطرحه هنا، لكن توافق مدلولاته مع السنن الإلهية، ومع الرؤى المتنوعة؛ جعلني أرى فائدة في طرحه لملاحقة كل المدلولات ذات العلاقة بعلامات الساعة.

والحقيقة أنني لست صاحب فكرة الربط بين غصن الرب في سفر إشعياء وبين الإمام المهدي، بل سبقني إليها البعض منهم: عالم عراقي يكنى أبو الخليل عبد الله في بحثه (الكتاب الفريد) ([2])، لكنه وصل لنتائج مغايرة لما وصلت إليه هنا في بعض التفاصيل.

إشعياء يعتبر من الأنبياء الكبار المتأخرين بعد داود وسليمان عليهما السلام، وسياق السفر كله يشير إلى تنبؤات وأحداث، وتقريع بيهود ذلك الزمان في مرحلة تدمير الهيكل الأول، وإشارات إلى رجل عظيم يكون في آخر الأيام يكون مخلصًا للثلة المؤمنة المتبقية في ذلك العهد.

وهذه الإشارات تتضمن رمزيات كثيرة، أوهمت اليهود فحافظوا على تلك النبوءات في كتبهم؛ لأنها في ظنهم ترمز إلى المسيح ابن داود، وحافظ عليها

---

[1] ملاحظة: هذه مسودة بحث متكاملة، أبرز من خلالها حقيقة غصن الرب المطروح في سفر إشعياء، ولا يمكن فهم الموضوع إلا إذا تم ملاحقة المقالات كاملة، وكما ذكرت هذه مسودة لبحث سيكتمل بصورته العلمية قريبًا.

[2] لكن ما أطرحه هنا قد يكون مغايرًا للنتائج التي وصل إليها، حيث تمحورت فكرة بحثه على العراق، بينما في نظري أن الموضوع أعم مما توصل إليه من نتائج، بالرغم من أن جهده غير مسبوق ورائع في تفاصيله، لكن هنا سأطرح الفكرة مضيفًا لها بعض التفاصيل الأخرى والاجتهادات الخاصة بي في فهم ظاهرة غصن الرب، والربط بينه وبين حجر الزاوية المبشر به في العهدين القديم والجديد، إضافة للربط بين السنن الإلهية وبين بعض الرؤى وبين ما تشير إليه تلك النبوءات المذكورة في سفر إشعياء كقرائن معززة. ولاحظت في الكتاب الفريد أن صاحبه يترجم سفر إشعياء مباشرة عن نسخة مارتن لوثر الألمانية للسفر، ولكوني لا أستطيع التحقق من دقة الترجمة أو أصالتها خاصة أن البحث ليس عليه معلومات نشر؛ لذا آثرت أن استخدم النسخ الموجودة والمعهودة للكتاب المقدس، بالرغم من تشوه ترجمتها قياسًا على ترجمة مارتن لوثر، التي أراها والله أعلم أقرب للصواب من الترجمات العربية الموجودة حاليًا، والتي يظهر فيها تشوه كل النبوءات في إشعياء، إضافة إلى أن الترجمات الموجودة لدي سواء العربية أو العبرية، وجدت فيها اختلافات كثيرة بين النصوص بما لا يمكن ملاحقته حاليًا في هذه المسودة، بل يحتاج الأمر إلى دراسة مطولة أسأل الله أن تتيسر لي في وقت قريب.

النصارى؛ لأنها برأيهم ترشد إلى عيسى (عليه السلام)، وهناك من المسلمين من أسقطها على النبي محمد (عليه السلام)، وهذا يستلزم بيان المراد من هذه النبوءات على وجه الخصوص.

وبخصوص سفر إشعياء فقد دخل عليه كغيره من الأسفار كثيرًا من التلاعب، خاصة في ظل الترجمات المتنوعة لنصوص العهد القديم والموجودة حاليًا، والمتناقضة فيما بينها لنفس النص، ونحن هنا نتحدث عن نصوص قديمة ترجمت من الآرامية والأكادية والسريانية إلى اليونانية، ثم إلى اللغات الأخرى ومن ضمنها العربية ([1])، وفي ظل هذا التناقض بقيت تلك النبوءة قائمة لكن مع الاحتياط الشديد في بعض نصوصها.

بداية لابد أن أوضح أن نصوص العهد القديم تحتاج إلى خبرة عالية ونفس طويل؛ حتى يتم استخراج مكنوناتها من بين فرث ودم، فالتلاعب في هذه النصوص مر في مراحل متعددة فرضت نفسها على تلك النصوص بشكل حيوي، لكن ذلك لا يمنع بقاء أثارة من علم خاصة في موضوع النبوءات.

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك البقايا في آيات كثيرة، بل جاءت الآيات المرشدة إلى أن القرآن الكريم جاء مصدقًا لما قبله ([2])، مما يشير إلى بقايا

---

[1] إضافة إلى التغيير النصي بسبب الترجمات الكثيرة والتحولات المتتابعة للنصوص عبر التاريخ، نجد أيضًا أن التحريف كان له نصيب في هذه النصوص، خاصة في أهم جانبين أثرا في كل كتاب العهد القديم وهما: الإثنية تأثرًا بالزرادشتية وإله الظلمة وإله النور، وما نتج عنه من تسلل الشيطان للنصوص. والعنصرية التي تتمحور فقط حول بني إسرائيل ويعقوب وجبل صهيون. فهذان الجانبان خلال دراستي المطولة لكتاب العهد القديم وجدتهما قد أثرا على أكثر النصوص تحريفًا وتحويرًا وإخراجًا لها عن ثوبها الحقيقي، والدارس المتأمل يجد هذه الأمور ببساطة في ثنايا النصوص، لكن ذلك لا يمنع من بقاء أثارة من علم في ثنايا تلك النصوص، وهذا موضوع فصلت القول فيه خلال فصل أصولي مطول في كتابي عن التاريخ القديم.

[2] هذا باب طويل تضمن نصوص قرآنية متعددة، أشارت إلى أن القرآن في حقيقته هو كتاب مصدق لما قبله من الكتب من جهة، وفي بعض النصوص كان القرآن يوجه للتوراة الموجودة في عهد النبي محمد في بعض المسائل منها: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [آل عمران٩٣]، وهذا عيسى جاء مصدقًا للتوراة بالرغم من دخول أشكال من التحريف عليها في عهده يقول (سبحانه وتعالى): "وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ" [آل عمران٥٠]، فعيسى مصدقًا للحق الباقي في النصوص، وكذلك جاءت كثير من النصوص في حق النبي محمد (عليه السلام) للدلالة على نفس المعنى، يقول الله (سبحانه وتعالى): "وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ" [فاطر٣١]، فالقرآن الحق هو مصدق للحق الذي بين يديه من التوراة والإنجيل وكتابات الأنبياء.

من هذا الصدق تتوارثه الأجيال، والنبوءة بمخلص آخر الزمان في أشعياء قد تكون من تلك البقايا.

بداية سأدخل في تحليل النبوءات في إشعياء، وبيان الرابط بينها وبين الإمام المهدي في المقالات التالية بعد هذه المقالة.

النص الأول: غصن الرب

جاء في سفر إشعياء: "١وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، ٢وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. ٣وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، ٤بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ٥وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ.

٦فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ٧وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ٨وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ٩لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. ١٠وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" ([1]).

---

[1] سفر إشعياء (١١/١-١٠).

هذه النبوءة هي معتمد اليهود على فكرة المخلص آخر الزمان، وقد شاء الله أن تبقى ليومنا هذا، حيث أنها مرمزة بطريقة عجيبة كفلت بقائها، فظاهرها ارتبط بداود ﷺ ونسله كما يتصور اليهود أو أهل الكتاب، والسياق كله يشير أن المقصود بها هو آخر الزمان، خاصة في مرحلة عيسى ﷺ؛ حيث يكون السلام في الأرض، ويسكن الذئب مع الخروف...

فهذه الأوصاف تكررت عندنا في السنة كما سأوضح، مما يشير إلى أنها تنتمي إلى نفس الحقبة الزمنية، ولعل ذكر يسي في النبوءة هو ما عزز بقائها إلى يومنا هذا، وهذه النبوءة تحتاج منا تفصيلًا لكي يتضح الأمر، وذلك على النحو التالي:

- "١وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ"، وفي ترجمة أخرى: "وسيحمل فرع من جذوره ثمرًا" ([1]).

بداية يسي هو والد النبي داود ﷺ، وقصته تبدأ من راعوت المؤابية، التي تزوجت من بوعز الإسرائيلي فأنجبت عوبيد، وعوبيد أنجب يسي والد النبي داود ﷺ، ولراعوت المؤابية سفر باسمها في العهد القديم، ومؤاب قبيلة عربية قام نساخ التوراة بتغييب اسمها الحقيقي، ومعنى مؤاب أي (بلا أب) وطبعًا لا يتصور من قبيلة عظيمة في ظل مجتمع يزخر بالافتخار بالأنساب أن تنسب نفسها هكذا نسب (بلا أب).

وفي نصوص أخرى يؤكد نساخ العهد القديم على أن مؤاب هم أبناء عم لبني إسرائيل، لكن يعتبرونهم من نسل لوط ﷺ، والحقيقة التي توصلت إليها خلال

[1] إشعياء (١/١١).

دراسة مستوفية استغرقت أكثر من ٧٠٠ صفحة؛ أن مؤاب هي قبيلة إسماعيلية وليست من جهة لوط، وليس هنا محل التفصيل في ذلك إنما بالتنويه بالفكرة.

من هذا الوجه يمكن القول أن أصول داود ﷺ القريبة من جهة الأم هي أصول اسماعيلية، وهو من جهة الآباء إسحاقي.

نأتي الآن لـ(جذع وجذور)، فالنبوءة واضحة فقد نبت قضيب من جذع يسي، وقد يكون هذا النسب القريب، أما الغصن من الأصول أو الفرع من الجذور، فهنا الرمزية التي لم تخطر ببال بني إسرائيل، فجذور يسي تمتد من جهة نحو مؤاب الإسماعلية من جهة الجدة، وكذلك جذوره من جهة الآباء تمتد حتى إبراهيم ﷺ.

هذا المعنى الذي غفل عنه محققو العهد القديم نراه ينقلنا نحو الجهة الإسماعيلية، وإلا ما الداعي لذكر الأصول التي تحتمل الأصول البعيدة جدًا!؟ ولم لم تأت النبوءة مباشرة بالإشارة إلى فرع يسي المباشر، بل حددت أن الفرع جاء من جذور يسي!؟

ومن هذا الوجه لا يمكن تسمية المخلص أنه ابن داود ﷺ كما يزعم أهل الكتاب، لأن النبوءة صريحة في الإشارة إلى أن الفرع جاء من جذور والده التي تمتد حتى إبراهيم ﷺ، وتمتد مرة أخرة من جهة راعوت نحو إسماعيل ﷺ. فيكون جذع يسي هو النسب القريب، وجذور يسي هو النسب البعيد.

من هذا الوجه يمكن القول أن داود ﷺ فيه النسبان الشريفان، والمعهود عند اليهود أن الإسماعيليين يتميزون بالعلم اللدني، ولعل هذا من أسرار داود ﷺ الذي نال بركة جهتي النسب.

لكن النبوءة هنا قد جاءت بهذه الرمزية، إذ لو لم تكن موهمة ولو صرحت بجهة النسب، بعيدًا عن فكرة الجذور؛ لكان ذلك سبب في إخفاء تلك النبوءة وتغييبها، فكان قدر الله أن تخرج بهذه الرمزية، مما يسر لها البقاء دون تحريف، وجعل اليهود لا يسمحون بالتلاعب بها مع المحافظة عليها؛ لأنها أوهمتهم بظاهرها أن المسيح في آخر الزمان سيكون منهم ومن نسلهم.

بالرغم من أن رمزيتها تحمل معنى آخر واضح للعيان بعيد عن مدلولها المباشر، ولو كان المقصود النسب المباشر لجاءت النبوءة مباشرة بالمعنى بعيدًا عن الجذور والأصول. فهذه النبوءة هي ذاتها النبوءة التي تبشر بالمهدي أو القحطاني عند المسلمين. والنبوءة في سفر أشعياء هي ذات النبوءات عند المسلمين، والمبشر به في كل النبوءات هو شخص واحد.

لكن هنا أود أن أشير إلى أن هذه النبوءة تحدثت عن جهتي نسب: الأولى من جذع يسي والأخرى من جذوره، وجاءت نبوءات أخرى مبثوثة في العهد القديم والجديد تشير إلى حجر الزاوية الذي يرفضه البناؤون، وحجر الزاوية هو الحجر الذي يربط بين جدارين.

فلعل المقصود بذلك أن مخلص آخر الزمان سينال ولادة من جهتي النسبين الشريفين: الإسماعيلي امتدادًا بمحمد ﷺ والعترة الشريفة. والإسحاقي امتدادًا بيسي والنبي داود ﷺ، وهو يكون بذلك قد نال جهتي النسب عبر تقلبات التاريخ، ليجمع بين الغلام العليم والحليم فيكون هو إبراهيمي من الدرجة الأولى. وهو نفسه حجر الزاوية المبشر به.

والأمر الصادم لي أنني خلال تتبعي لعدد من الرؤى؛ وجدتها ترمز إلى أن المهدي إبراهيمي، وهذا المعنى وجدته في أكثر من خمسة رؤى، وكلها تدور حول ذات الرمز بشكل عجيب: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا".

فإبراهيم الأمة عليه السلام كان البداية، ثم الانفصال إلى فرعين: فرع الغلام العليم (إسحق) ومنه أهل الكتاب، والذين انتهى دورهم الرسالي ببعثة محمد عليه السلام، أو بشكل أدق في السنة الثانية للهجرة، وفرع الغلام الحليم (إسماعيل) ومنه الأمة الأمية ومحمد عليه السلام، ثم تلتقي سلسلة النسب عبر تقلبات الزمن المديد مرة أخرى بحجر الزاوية من الجهتين، وتلتقي جهتا النسب الشريفين في شخص الإمام في آخر الزمان، فتكون البداية إبراهيمية والنهاية إبراهيمية، وهذا معنى الفرع الذي يخرج من الجذور.

والحقيقة أن هذه النتيجة قد توصلت إليها عبر دراسة طويلة جدًا، وطبيعتنا العنصرية التي نتميز بها كانت تأبى مثل هذه النتيجة، لكن بعد ملاحقتي لكثير من الرؤى والإشارات وجدتها تدل بقوة على هذا المعنى.

بل وجدت عددًا من الآثار ترشد إلى هذا المعنى بوضوح، منها هذا الأثر في عقد الدرر، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدري؛ اللون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا" ([1])، فهذا الأثر مع ضعفه ربط بين اللون العربي والجسم الإسرائيلي، مما يشير إلى ولادة من الجهتين.

[1] السلمي: عقد الدرر (١٠٠).

كذلك وصف النبيُّ محمدٌ عليه السلام موسى عليه السلام، وشبهه بالقبيلة اليمنية أزد شنوءة، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ" ([1]).

فهذا الوصف له حكمته، وهو يؤكد على فرضية ذوبان قبائل بني إسرائيل الأوائل في الأمم المجاورة، فموسى عليه السلام كأنه من رجال شنوءة، فهنا ليس التوصيف برجل معين بل برجال قبيلة؛ مما يشير إلى تعلق نسبي بينهما، وقد تكون فروع من قبيلة لاوي هي جذور وأصول لقبيلة شنوءة اليمنية ([2]).

فتشبيه النبي عليه السلام له حكمته ومقاصده التي تخفى على الكثيرين، وهذا التوجيه ينقلنا إلى القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه، بل استوقفني كثيرًا تلك الرمزية العجيبة التي تربط بين العباءتين القطوانيتين وبين موسى عليه السلام والمهدي ([3])، وهذه الرمزية لم تتكرر في كل الآثار الواردة إلا معهما فقط، مما يشير إلى دلالة معينة قد تخفى على الكثيرين.

وهنا يجب أن ننتبه أن قول النبي عليه السلام عن المهدي أنه من ولده أو من عترته لا ينفي كونه حصل له ولادة من جهة أخرى، بل الواقع يصدق ذلك حيث اختلط نسب أهل البيت خلال التاريخ مع غيرهم، لكن في تصوري أن المهدي عبر تقلبات الزمان قد نال ولادة من جهات متعددة أوضح ما فيها: جهة ولد فاطمة رضي

---

[1] أخرجه مسلم.

[2] خلال دراسة مطولة لي أبرزت فيها ضياع أكثر قبائل بني إسرائيل وتداخلها وذوبانها في القبائل الأخرى، بعيدًا عن الديانة وذلك قبل قبل هدم الهيكل الأول، وهذه حقيقة تاريخية، مما يشير إلى أن عدد لا بأس به من بني إسرائيل قد ذابوا في الأمم الأخرى خاصة في الجزيرة العربية، وذلك قبل الإسلام وهم مغايرون لليهود الذين تواجدوا في يثرب وخيبر، والذين بقوا على دينهم بعد دمار الهيكل الثاني.

[3] والعجيب أن هناك أثرين يربطان بين العباءتين القطوانيتين وبين موسى والمهدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًا، منهم موسى كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان، وهو محرم على بعير من إبل شنوءة، مخطوم بخطام ليف له ضفران" [الطبراني في معجمه الكبير ج١١/ص٤٥٣ ح١٢٢٨٣]، وفي الأربعين لأبي نعيم الأصفهاني والطبراني: "يا رسول الله من إمام المسلمين يومئذ؟ قال: المهدي من ولدي، ابن أربعين سنة، كأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان، كأنه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك"، لا أعلم وجه المشابهة في الأثرين، وعلاقة العباءتين القطوانيتين بالشخصيتين، ولم يذكرا إلا مع موسى عليه السلام والمهدي!

الله عنها وجهة أخرى من بني إسرائيل؛ لذا كان اللون عربيًا والجسم إسرائيليًا، وكان حجر الزاوية المبشر به.

- "٢وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. ٣وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، ٤بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ٥وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ" ([1]).

هذا المقطع الثاني للنبوءة، والإشارات فيها واضحة، ومعنى يحل عليه روح الرب؛ جاء تفصيلها بثلاثة أمور: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ثلاث أمور مفصلية شرحت مدلول روح الرب، والتي يمكن أن يعبر عنها بالإلهام.

والمجدد الأعظم أولى الناس بالوصول إلى درجة التحديث والإلهام، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ» قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: "تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ" ([2]).

فدرجة التحديث أو الإلهام هي درجة دون النبوة، والأثر السابق يشير إلى أن في الأمة محدثون منهم عمر رضي الله عنه، والمهدي زبدة آل البيت وفاتح العالمية الثانية للإسلام، ومجدد آخر الزمان أولى الناس بهذه الدرجة، يضاف إليها الحكمة ومخافة الرب (التقوى) والمعرفة والفهم، فهذه المواصفات كلها سينالها الإمام ليفتتح بها مرحلة

---

[1] إشعياء (١١/٢-٣).
[2] أخرجه مسلم.

جديدة تعتبر من أخطر مراحل البشرية وأكثرها حساسية، بل هذه المواصفات يقتضيها العقل والتصور والمنطق في رجل آخر الزمان.

وقد استوقفتني رؤية تشير إلى نفس هذه الدلالات وزيادة، يقول الرائي فيها: (رأيت انني قمت من نومي في غرفتي فوجدت فوق وسادتي كتاب كبير ازرق مزخرف مثل المصاحف الكبيرة، فأخذته وبدأت أفتح صفحاته لأقرأه، ولكن لم استطع من شدة العتمة، وحاولت حتى بدأت اركز لأقرأ ما فيه، ولكن لم استطع فأظلمت كل السطور تماما، ووجدت نورًا أبيضًا ينير سطرًا واحدًا فقط في الصفحة: المهدي يؤتى ملكا وعلما وحكما ورابعة لا أدري ماهي، والكتابة كانت كأنها قديمة).

هذه الرؤية مشهورة وموجودة في كل منتديات الرؤى وعلامات الساعة، وهي رؤية عجيبة شاء الله أن تخرج من دائرة الغيب والوحي لكي نستنير بنورها وببركتها، والرؤية فيها رمزيات كثيرة، لعل أهمها: أن حقيقة ما ينتظرنا من غيب يتعلق بالمهدي ما زال في طور المجهول غير المكشوف، وأن ما نعرفه هو قليل جدًا عن المرحلة القادمة، وهذه رمزية (أظلمت السطور)، أما ما سمح الغيب بكشفه خلال هذه الرؤية فهو ذلك السطر المنير، وفيه المهدي يؤتى ملكًا وعلمًا وحكمًا ورابعة لا أدري ما هي!

أما الملك فهذا نعرفه، وأما العلم والحكم؛ فهذا شأن الخلافة الراشدة وأي ملك مؤيد من السماء؛ لذا جاء إيتاء هذا الوصف نفسه (الحكم والعلم) في حق داود وموسى ويوسف عليهم السلام، أما الرابعة التي لم يدري الرائي ما هي؛ فمقتضيات السنن ونهج القرآن يشير إلى تلك الرابعة التي أفصحت عنها عدة رؤى أخرى.

ولكي يستبين الأمر أقول: جاء الإيتاء في حق الأنبياء والأئمة في القرآن الكريم يتضمن من الدرجة الأولى أربعة أمور، يقول الله ﷻ: "وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ" [سورة البقرة٢٥١].

هذه الآية استوعبت في حق الخليفة الأول الثلاثة المذكورة في الرؤية وهي الملك والحكم والعلم، وباقي الآيات أشارت للإيتاء بطريقة جزئية (يؤتي الحكمة) (يؤتي الملك من يشاء)، وفي حق طالوت "وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ".

بقي الإيتاء الرابع للأنبياء أو الأئمة بالحق في الأرض، وهذا الإيتاء هو أكثر ما توسعت به الآيات وهو الأعظم لتعلقه بسنن الاختيار من جهة وتعلقه بالخير الباطن والظاهر في الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ: "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الحديد٢١].

"لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الحديد٢٩]، وفي حق النبي محمد ﷺ وإيتائه الحكمة والكتاب قال الله ﷻ: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الجمعة٤].

فالفضل هو الإيتاء الرابع، أما لماذا لم يذكر في الرؤية!؟ فلأن الفضل باب واسع يشمل الدنيا والآخرة، ويشمل الأمور الباطنة والظاهرة، وأكثر من يدري به صاحبه بخلاف الملك والحكمة والعلم؛ لذا جاءت هذه الرؤية العجيبة بهذه الرمزية الموافقة للواقع والحقيقة والسنن بصورة دقيقة جدًا.

وقد جاء في حق النبي محمد ﷺ: "وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" [النساء١١٣]، فإيتاء الفضل هو من أعظم أبواب الإيتاء وأشملها وأعمها، والمهدي كما نال خصوصيات في الحكمة والعلم والملك، أيضًا نال فضل الله الأوسع والأشمل من تلك الخصوصيات.

وكما لاحظنا الأمور الثلاثة التي اختص الله بها داود عليه السلام كخليفة أول، وهي التي صرحت بها الرؤية، أيضًا جاء ذكر الإيتاء الرابع له في آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ" [سبأ١٠]، فهذا هو الإيتاء الرابع، وهو الفضل كان تفصيله في حق داود عليه السلام ما ذكرته الآية.

أما في حق الإمام المهدي فالباب مفتوح على مصراعيه، لا نعلم وجه الفضل الخاص الذي سيناله، وهذا سر تغييبها في الرؤية؛ لأن الفضل الإلهي لا يعلم حقيقته إلا صاحبه، ولا ينكشف لنا إلا عندما نعاين تفاصيله خلال الأحداث.

أو بعبارة أخرى الفضل الذي يأتي بمعنى الزيادة، هو إشارة إلى حالة عطاء استثنائية يتميز بها كل نبي عن غيره، فلكل نبي نصيب من هذا الفضل لا يشاركه فيه غيره، فالفضل لسليمان عليه السلام مغاير عن الفضل لموسى عليه السلام، ومغاير للفضل لمحمد أو عيسى عليهم السلام، ولا يعلم وجه هذه الخصوصية والاستثناء إلا عند المعاينة؛ لذا أخفيت الرابعة هنا في الرؤية حتى تستبين مع الأحداث.

لكن يظهر لي من نصوص كثيرة، ومن أدلة متنوعة ومن رؤى مختلفة أن الإمام المهدي سينال حظًا قويًا من الفضل والتأييدات الخاصة؛ فهو الذي اختاره الله سبحانه وتعالى في مرحلة أعظم فتنتين على مدار التاريخ البشري (الدهيماء والدجال)، والسنن

تقتضي أن ينال تأييدًا بحجم المهمة المناطة به، والظروف التي يعاينها، وتفصيل ذلك ليس محله هنا لكن للتنويه فقط.

وهذا الفهم للوحي قد يستعصي على الكثيرين إدراك مدلولاته، لكن من استقرأ القرآن الكريم وفهم طريقة عرضه وإشاراته؛ يفهم مدلول تلك النتيجة التي وصلت إليها هنا، والإيتاء الرابع يستوعب كل الدلالات التي أبرزتها النبوة في سفر أشعياء السابقة.

- "٣وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، ٤بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ" ([1]).

هذا الجزء من النبوءة يشير إلى طريقة حكم الخليفة وقضائه، فهو لا يتأثر بما يشاهده مما قد يحتمل خداعًا وتحايلًا والتفافًا على الحق ومخاتلة، بل يكون ميزانه واضحًا في إقرار الحق في الأرض، ويضع نصب عينيه المساكين والبائسين والضعفاء والمستضعفين، فأهم شيء هو رد الحق لهؤلاء.

والعجيب في هذه النبوءة أنها أشارت إلى جانبين يتوافقان مع ما جاء عندنا في السنة النبوية، هنا نجد العدل والإنصاف، وفي السنة يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، والقسط هو ميزان كمي مبني على الإنصاف ويقابلها في الدلالة، أما العدل فهو ميزان كيفي.

فالنبوءة هنا والسنة النبوية توافقتا في المدلول للمعنيين، مما يشير إلى أنهما أهم ما يميز الخليفة وزمانه، ونلحظ أن النبوءة أول ما ركزت على هذا الجانب، وهو

[1] إشعياء (١١/٣-٤).

ذات التركيز في السنة النبوية (العدل والقسط)، مما يشير إلى أن كل تلك النصوص تشير إلى ذات الحقيقة في آخر الزمان.

أما مسألة المساكين والعناية بهم هنا في النبوءة، فقد أشارت إليها بعض الآثار، منها عن أبي رؤبة قال: "المهدي كأنما يلعق المساكين الزبد" ([1])، وعن طاووس قال: "علامة المهدي أن يكون شديدًا على العمال، جوادًا بالمال، رحيمًا بالمساكين" ([2])، وعَنْ طَاوُوسٍ قَالَ: «إِذَا كَانَ الْمَهْدِيُّ زِيدَ الْمُحْسِنُ فِي إِحْسَانِهِ، وَتِيبَ عَلَى الْمُسِيءِ مِنْ إِسَاءَتِهِ، وَهُوَ يَبْذُلُ الْمَالَ وَيَشُدُّ عَلَى الْعُمَّالِ، وَيَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ» ([3]).

فهذه الآثار هي تكرار لمضمون الرؤية بوضوح، وشدة المهدي على العمال؛ فصلته النبوءة بأنه لا يقضي بما بحسب ما ترى عيناه بل يقضي بالعدل.

- "وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ٥وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ" ([4]).

هذه الرمزية في النبوءة لها دلالات متنوعة؛ حيث تربطنا بالقحطاني الذي يسوق الناس بعصاه، فالقضيب هو العصا، وفي ترجمات أخرى جاء: (ويضرب الأرض بعصا فمه)، ولا أعلم هل الفم هنا مقحمة أم لها دلالات؟ وهل معه عصا حقيقية أم لا؟ لكن حتى عصا موسى عليه السلام كان سرها في أمر الله، وأمر الله يجعله الله بعصا وبدونها فالأمر كله إليه، لكن ضرب الأرض بالعصا يذكرنا بإمكانات موسى عليه السلام والتأييدات التي نالها.

[1] السلمي: عقد الدرر (٢٨٧).
[2] السلمي: عقد الدرر (٢٤٢).
[3] ابن حماد: الفتن (٣٥٩).
[4] إشعياء (١١/ تكملة ٤-٥).

ومن تتبع السنن يجد أن أشبه الناس بمرحلة المهدي هي مرحلة موسى عليه السلام، فموسى جاء لاستنقاذ أمة مستضعفة وكذلك المهدي، وفي عهد موسى يكون الطغيان واستضعاف أهل الحق بأعلى درجاته، والظلم في أحلك صوره، وكذلك في عهد الإمام المهدي التي تملأ الأرض قبله ظلمًا وجورًا، في مرحلة موسى عليه السلام كان أهل الحق لا يمتلكون أيًا من أسباب القوة مقابلة بقوة فرعون، وهذا الشأن يكون مع بداية عهد الإمام.

وأشارت النصوص صراحة بذلك في الأحاديث التي تشير إلى خسف جيش، فمواصفات المرحلتين متشابهتان تمامًا، وموسى عليه السلام تعرض لفتون كثيرة من باب الاستخلاص للمهمة، والرؤى المتواترة تشير إلى وجود ابتلاءات شديدة تحف بالمهدي.

استقصاء الأمر يطول لكن هناك تشابه كبير بين المرحلتين؛ لذا كنت لا أتعجب من تلك الرؤى التي ترمز للإمام المهدي من خلال سيدنا موسى عليه السلام وهي أكثر من عشر رؤى.

إذًا هناك تأييدات خاصة للإمام قد تكون شبيهة لتأييدات موسى عليه السلام وتأييدات سليمان عليه السلام كما أشارت بعض الرؤى، ولعله الفضل الذي اختص به الله الإمام المهدي في آخر الزمان، والتدليل على ذلك ليس موضعه هنا، بل موضعه في دراسة أخرى مطولة، تكشف لنا أسرار مهمة في قرآننا، لعلي أفرغها في موطن آخر.

والنبوءة هنا تؤكد على تلك القدرات الخاصة؛ فضرب الأرض بقضيب فمه وإماته المنافق بنفخة شفتيه؛ ترمز لتلك القدرات الخاصة، وذلك الفضل الذي يناله الإمام المهدي، في مرحلة تعتبر من أحلك المراحل وأشدها على مدار البشرية، تتخللها أعظم فتنتين على مدار التاريخ (الدهيماء والدجال).

- "٦فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا.٧وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ٨وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ٩لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. ١٠وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" ([1]).

هذا الجزء من النبوءة يشير إلى ثمرة جهود الخليفة والتي بدأت من الصفر، حيث استشرى الظلم والجور وامتلأت الأرض منهما، فبدأ مهمته الشاقة التي أهله الله ﷻ لها لتأسيس العالمية الثانية على أساس الشريعة الإسلامية ومبادئها العليا كالإيمان والعدل، إضافة إلى تأهيل الأمة التي ألفت حياة الظلم والجور ومظاهرها المتنوعة من المحسوبية والغش والاستقواء والاستغلال والطبقية الاقتصادية.

فقد ردحت الشعوب العربية والإسلامية وتشربت تلك الأخلاقيات الملتوية الفاسدة حتى النخاع، بل أصبحت هي المعيار العام وما يخرج عنها هو شذوذ، حسب ما فصلت بعض الأحاديث النبوية في السنوات الخداعة التي يؤتمن فيها الخائن ويخون الأمين، وحسب ما أشار إليه سفر أشعياء في نصوص أخرى.

فالمجتمع الذي يتنفس من خلال الظلم، ويراه معيارًا عامًا حتمًا سيرى الأمين خائنًا ويطرحه المجتمع على هامشه؛ لأنه يمثل حالة شاذة خارجة عن السياق، ففي ظل تلك الثقافة التي تسبق مرحلة الإمام يكون نقل الأمة نحو العدل والشفافية

[1] إشعياء (١١/٦-١٠).

والمساواة والحريات؛ كل ذلك يحتاج إلى تأهيل خاص يقوم به الإمام بحسب ما آتاه الله من فضل يؤهله للقيام بهذه المهمة على أكمل وجه.

وقد جاء في سفر أشعياء الإشارة إلى بعض جهود الإمام في ذات السياق وتفصيل آخر لهذه النبوءة، جاء في سفر أشعياء: "٢وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. ٣وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ»... ٤فَيَقْضِي –أي الخليفة– بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، (وفي ترجمة مارتن لوثر: ويؤنب ويدين كثيرًا من الشعوب)، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْد" ([1]).

هنا جبل بيت الرب أو بيت إله يعقوب هو بيت المقدس الذي يعمر بالخلافة في آخر الزمان كما ثبت لدينا، وهذه النبوءة تشير صراحة إلى ظهور دين الحق على الدين كله المذكورة في القرآن الكريم، والتي لم تتحقق بكمالها بعد كما صرح بذلك جمع كثير من المفسرين ([2])، وهي قوله ﷻ: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا" [الفتح٢٨]، "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [التوبة٣٣].

فهذه الآيات لم يأت تأويلها بعد، وهي تكتمل بظهور الحق على الدين كله، عندما يكسر الصليب ويذبح الخنزير، وتختار اليهودية أو الشرائح الحيوية منها

---

[1] إشعياء (٢/٢-٤).

[2] يقول الطبري: "وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (ليظهره على الدين كله). فقال بعضهم: ذلك عند خروج عيسى، حين تصير المللُ كلُّها واحدةً" [الطبري: جامع البيان (٢١٥/١٤)]، ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره عَنْ مُجَاهِدٍ "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" [التوبة: ٣٣]، قَالَ: "لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَلَا صَاحِبُ مِلَّةٍ إِلَّا الْإِسْلَامُ، وَحَتَّى تَأْمَنُ الشَّاةُ الذِّئْبَ وَالْبَقَرَةُ الْأَسَدَ وَالْإِنْسَانُ الْحَيَّةَ، وَحَتَّى لَا تُقْرِضُ فَأْرَةٌ جِرَابًا، وَحَتَّى تُوضَعَ الْجِزْيَةَ وَيُكْسَرُ الصَّلِيبُ وَيُقْتَلُ الْخِنْزِيرَ فَهُوَ قَوْلُهُ: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" [التوبة: ٣٣]" [تفسير أبن أبي حاتم (١٧٨٦/٦)].

الدجال؛ عندها تتكشف كل الحقائق، ويظهر الحق على ما هو دونه من أديان قد أصابها التحريف في صلب عقيدتها.

ويظهر من سياق النبوءة أنها تشير إلى المرحلة التي تكون بعد الدجال، وبعد انتهاء الملاحم العظمى، وفي تلك المرحلة تنزع العداوة حتى من الحيوانات؛ فالإشارة الموجودة في النبوءة هي نفس الإشارة الواردة في بعض الآثار لدينا بعد يأجوج ومأجوج، منها حديث أبي أمامة ﷺ الطويل عن الدجال وعيسى عليه السلام، وقد اختصرت الشاهد هنا منه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ ﷺ فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ وَحَذَّرَنَاهُ فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: "إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ... حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ. فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عليه السلام افْتَحُوا الْبَابَ فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ

ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ -إِلَّا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ- إِلَّا قَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الْآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ، فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ؟ قَالَ: تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطِّوَالِ؟ ثُمَّ صَلُّوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ: لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا قِيلَ لَهُ فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ: تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا" ([1]).

أقول:

هذا الحديث الذي اختصرت الجزء الأكبر منه، يحكي مدلول النبوءتين السابقتين في أشعياء بالضبط، مما يشير إلى أنه معهما يشيران إلى ذات المرحلة،

[1] أخرجه ابن ماجة بطوله برقم ٤٠٧٧ [السنن (١٣٥٩/٢)]؛ وأبو داود مختصرًا برقم ٤٣٠٠، وقال شارحه: «أما إسناد المؤلف حديث أبي أمامة فصحيح، ورواته كلهم ثقات» [عون المعبود (٤٤٩/١١ وما بعدها)]؛ وأخرجه أيضا ابن أبي عاصم برقم ٣٩٠، ورمز لسنده عند ابن ماجة بالضعف، ثم عقب عليه بقوله: «والحديث أخرجه ابن ماجه والآجري في الشريعة من طرق أخرى عن السبياني، ولي رسالة في تخريج هذا الحديث وتحقيق الكلام على فقراته التي وجدت لأكثرها شواهد نقويها [السنة لابن أبي عاصم (٣٩١/١)]؛ قال الألباني: الحديث غالبه صحيح قد جاء مفرقًا في أحاديث إلا قليلًا منه لم أجد ما يشهد له أو يقويه [قصة المسيح الدجال (٤٩)].

بل بنفس المواصفات الدقيقة، ففي نبوءة أشعياء: "٦فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ٧وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ٨وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ٩لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي)، وفي حديث أبي أمامة يقابلها: "وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا".

وفي النبوءة الثانية عند أشعياء: "فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ"، ويقابلها في حيث أبي أمامة: "وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ: لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا قِيلَ لَهُ فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ: تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا".

إنها نفس المواصفات كاملة، وكأن حديث أبي أمامة والنبوءتين صدرتا من مشكاة واحدة، والأنبياء أولاد علات، أب واحد وأمهات شتى.

والشرح الحيوي للنبوءة في أشعياء ببيان المرحلة والشخوص هو في حديث أبي أمامة، مما يشير صراحة إلى أن غصن الرب في نبوءة أشعياء هو الإمام المهدي ﵁، وهذا يجعلنا نطمئن قليلًا لباقي النبوءات التي تشير إلى خليفة آخر الزمان عند أشعياء، والتي تحكي مرحلة الفتون والاستخلاص التي يتعرض لها الخليفة قبل أن يستلم مهمته.

- "١٠وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" ([1]).

هذا المقطع الأخير من النبوءة الأولى التي تتحدث عن غصن الرب، وفيها تم التأكيد على أن الفرع هو من أصول الشجرة، وفي ترجمة مارتن لوثر: "وفي ذلك الوقت ينتصب فرع من جذور يسي راية للشعوب وإليه تسعى الأمم".

وسواء كلمة أصل أو كلمة جذور فهي تحمل ذات المعنى، فجذور يسى أو أصله البعيد يمتد إلى إبراهيم عليه السلام من جهة الآباء، ويمتد إلى إسماعيل في أصله القريب من جهة الأم، وهذه الرمزية تتوافق مع تصورنا أن الخليفة هو إسماعيلي من عترة النبي محمد عليه السلام.

ولولا النبوءة بهذه الرمزية بعيدًا عن التصريح لكتمها أهل الكتاب، فعظمة تلك النبوءة هو في تلك الرمزية التي تتضح للباحث الموضوعي، وفي ذات الوقت تحمل معنىً ظاهرًا يحفظها من التلاعب والكتمان.

- جاء في سفر أشعياء: "١فَتُمْسِكُ سَبْعُ نِسَاءٍ بِرَجُل وَاحِدٍ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاَتٍ: «نَأْكُلُ خُبْزَنَا وَنَلْبَسُ ثِيَابَنَا. لِيُدْعَ فَقَطِ اسْمُكَ عَلَيْنَا. انْزِعْ عَارَنَا». ٢فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْدًا، وَثَمَرُ الأَرْضِ فَخْرًا وَزِينَةً لِلنَّاجِينَ مِنْ إِسْرَائِيل" ([2]).

---

[1] إشعياء (١٠/١١).
[2] إشعياء (٤/١-٢).

هذا النص ذكرته هنا لبيان أن غصن الرب يمثل نفس المرحلة المتصورة في آخر الزمان للإمام المهدي ﷺ، فهذا الإصحاح الرابع بدأ بالإشارة إلى حال النسوة في ذلك الزمان، بعدما تأكل الحروب والمصائب الرجال فيكثر النساء ويقل الرجال، وهي ذات المرحلة التي أشبعتها تحليلًا في كتابي الموسوعة بعد الملاحم.

ويشهد لهذه النبوءة ما ورد في السنة النبوية في ذات السياق، منها على سبيل المثال: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنْ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ" ([1])، وفي رواية: "وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ" ([2]).

وسواء كانت الموازنة سبع نسوة كما في النبوءة، أو أربعين أو خمسين كما في الأحاديث؛ فكل ذلك يشير إلى ذات المعنى، عن مرحلة معينة يهلك فيها الرجال بشكل ملحوظ، وتصبح أكثر نسوة ذلك الزمان بلا رجل يحميها.

يقول النووي: «وأما سبب قلة الرجال وكثرة النساء، فهو الحروب والقتال الذي يقع في آخر الزمان وتراكم الملاحم» ([3])، ويعزز ذلك هذا الأثر الذي أورده ابن حجر عن علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه: «إذا عمت الفتنة ميز الله أولياءه، حتى يتبع الرجل خمسون امرأة تقول: يا عبد الله استرني يا عبد الله آوني» ([4]).

والمعنى في أثر حذيفة هو نفسه الذي أشارت له النبوءة في بداية الإصحاح، وهو نفسه زمن الملاحم العظمى والتي يقل بعدها الرجال، ففي النبوءة: «نَأْكُلُ خُبْزَنَا

---

[1] أخرجه البخاري برقم ١٤١٤ [البخاري مع الفتح (٣/٣٣٠)]؛ ومسلم برقم ١٠١٢ [مسلم بشرح النووي (٤/١١٦)].
[2] أخرجه البخاري برقم ٨١٢ [البخاري مع الفتح (١/٢١٥)].
[3] النووي: شرح مسلم (٤/١١٨).
[4] انظر فتح الباري (٩/٢٤٣).

وَنَلْبَسُ ثِيَابَنَا. لِيُدْعَ فَقَطِ اسْمُكَ عَلَيْنَا. انْزِعْ عَارَنَا»، وفي أثر حذيفة ﵁: «تقول: يا عبد الله استرني، يا عبد الله آوني».

وقد صرحت النبوءة أن ذلك في مرحلة غصن الرب (الإمام المهدي)، لذا كانت الفقرة الثانية في النبوءة والمذكرة بغصن الرب، وبدأت: في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدًا...، أما بقية بني إسرائيل فهي من التحريف الذي يعج به العهد القديم، أو هي رمزية لأمة الله في ذلك الزمان.

لكن ما يعنينا هنا أن النبوءة هنا تبرز مرحلة غصن الرب، وهي ذاتها مرحلة الإمام المهدي ﵁، وتضاف هذه القرينة لباقي القرائن المذكورة سابقًا. وهذه القرائن المتنوعة الصريحة والمستبينة؛ تجعلنا نكمل مواصفات حياة غصن الرب كما صورها سفر أشعياء.

حياة الخليفة قبل الظهور

وهذه المواصفات تشير إلى تلك المرحلة السابقة لقيام الخليفة بمهمته العظيمة، هي تبرز نوعية الاصطناع الذي مر به، والفتون التي عايشها قبل الخلافة.

جاء في سفر أشعياء:

"١مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ ٢نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. ٣مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.

٤لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا. ٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ (وفي ترجمة أخرى: لكن من كان يمكنه قياس قابلياته، اقتلع من أرض الأحياء بسبب ما عانى من آثام الناس وأعطي قبرًا مع الأغنياء). عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.

١٠أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.١١مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. ١٢لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" ([1]).

هذا النص كاملًا من سفر أشعياء في النسخة الموجودة لدي، وقد تتبعت النص من نسخ متعددة مترجمة عن اللاتينية والنص العبري؛ فوجدت اختلافات كثيرة في الألفاظ والتراكيب، بحيث تشعر أنك تقرأ نصًا آخر ومدلولات جديدة مغايرة في كل نسخة، وهذا سببه طريقة الترجمات والنسخ المتعددة القديمة التي تمت الترجمة منها، لكن هنا سأعتمد النص المتاح لدي على الوورد، مع بيان بعض الاختلافات في النسخ الأخرى مما يتيسر ويبرز المضمون الصحيح للنبوءة.

[1] سفر أشعياء: الإصحاح ٥٣ كاملًا.

وهذه النبوءة تحكي حياة الخليفة غصن الرب قبل توليه الأمر، وتبرز طبيعة الفتون والاصطناع الذي ناله في تلك المرحلة، وسأحاول هنا لكي نستفيد من هذه النبوءة الربط بين النص والسنن الإلهية والرؤى في عصرنا، بطريقة تكشف لنا أسرار هذه النبوءة التي تتحدث عن خليفة آخر الزمان.

المقطع الأول:

"١مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ ٢نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. ٣مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ".

هذا المقطع الأول: وفي ترجمة أخرى للنص بدأت: (لكن من يصدق ما أعلن لنا)، وهذه العبارة من أشعياء قالها متعجبًا بعدما انكشفت له النبوءة عن غصن الرب، وحياته وطبيعة اختياره، فقال متعجبًا هذه العبارات لتعجبه من أحوال الشخص الذي اختاره الله.

ثم بدأ يفصل في مدلولها، بأن غصن الرب (الخليفة الموعود) قد نبت في أرض يابسة قاحلة، وهذه الرمزية الأولى في النص، وتشير إلى عدة مدلولات، منها: أن المنطقة التي يولد ويسكن فيها الإمام فقيرة، وليس لها شهرة وهي أشبه بالأرض القاحلة.

والأمر الثاني: أنه نبت في منطقة كئيبة، يموت فيها العلم وتذوي فيها الطاقات، فهو كبذرة جيدة لكنها ليست في بيئتها المناسبة التي تكفل لها نموًا وترعرعًا مناسبًا، بل بذرة في أرض يابسة قاحلة، وهذه البيئة عززت من عمق المعاناة عند الخليفة خلال حياته، وزادت من ابتلاءاته المتنوعة.

أما الرمزية الثانية في النبوءة فهي تشير إلى أن الخليفة في مظهره كان بسيطًا وأقل قبولًا من غيره، وليس من أهل النفوذ والثراء حتى يهتم به، بل كان من عوام الناس، بل من أقلهم قبولًا؛ لذا وصفته النبوءة بأنه لا يهتم به أحد ولا يُلتفت إليه، بالرغم من أنه سيكون بيديه مصير العالم في ذلك الوقت ومفاتيح الحياة السعيدة.

ولعل الأوصاف المتعددة للإمام هنا: مخذول من الناس، محتقر أي ليس له شأن معتبر أو نفوذ محترم، بل هو من عوام الناس وأقلهم، وهو في ذات الوقت تعتريه كثير من الابتلاءات والأوجاع والأحزان...، وهذه الأوصاف للخليفة في بداية حياته يحق لأشعياء التعجب منها كل العجب؛ أي رجل بهذه الأوصاف لا يؤبه له ومن عوام الناس، بل من المغمورين الذين لا يهتم بهم أحد، كان هو في ميزان الله الرجل الموعود والمختار من قبل الله ﷻ.

وهذه الأوصاف للخليفة قبل الظهور تؤكد عليها السنن، خاصة سنن الاختيار، فطالوت عليه السلام كان مغمورًا ومن عامة الناس، وقد اختاره الله ملكًا على بني إسرائيل، والنبي عليه السلام قد بين أنه: "رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره".

فهذه المعاني الأولية التي تشير إليها بداية النبوءة يحتملها الواقع وتؤيدها السنن بقوة، بل ورد في بعض الآثار أن المهدي لا يؤبه له، أذكر أثرًا هنا عن ابن

الحنفية محمد بن علي رضي الله عنهما عندما سئل عن المهدي فقال: "والله ما هو أنا، ولا الذي تمدون إليه أعناقكم، ولا يعرف ولا يؤبه له" ([1])، فهذا الأثر يلخص كل ما سبق.

فهو رجل مغمور لا يؤبه له، ولا تمد له الأعناق وليس معروفًا، وهذه سنة الحفظ من الله، ولعل فيها معنى رؤية فيها هاتف وخطاب للمهدي وفيه: (لأحجبنك حجابًا ترضاه). فيكون المقصود بنبوءة أشعياء: "٣مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ"؛ هي أنه محفوظ ومغمور ومحجوب ومستور عن المعرفة، أي غير معروف للعامة.

لكن ما تضيفه النبوءة هنا أن الخليفة ستعتريه في حياته ابتلاءات كثيرة جدًا، فهو رجل أوجاع (ابتلاءات صحية)، ومختبر الحزن (ابتلاءات نفسية بسبب الواقع الكئيب حوله)، محتقر ومخذول من الناس (ابتلاءات اجتماعية)، وهذا متصور في مرحلة تختل فيها الموازين يؤتمن فيها الخائن ويخون الأمين، ويظهر أن هذا الواقع قد ألقاه على هامش المجتمع.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الخليفة هو بذرة مستخلصة نقية، تحمل كاريزما خاصة تحب الطهر وتأنف الظلم وتتألم لحال المساكين والضعفاء، يحمل بذرة قيادية عليا، ثم يجد نفسه لا يملك قدرة على التغيير، بل يعيش على الهامش يلاحظ ويتأمل، والواقع حوله يزداد قتامة وظلمًا، وهو منزوع الصلاحيات أو القدرة على التأثير؛ فهذا الوضع يضاعف الألم في أعماق قلبه، بما لا يحتمله إلا أصحاب النفوس العالية جدًا.

وهذا يذكرني بموسى عليه السلام الذي قدر الله له أن يخرج من مصر، ثم يتحول إلى مدين، وهناك أصبح غريبًا راعيًا للغنم، فكاريزما قيادية كموسى عليه السلام يصعب

[1] السلمي: عقد الدرر (٢٨٦).

عليها هذا التهميش، ثم يجد السنوات تمر عليه يرعى الغنم ولا يملك أي قدرة على التغيير؛ لذا وصفت هذه المرحلة بمرحلة الفتون لموسى عليه السلام، فقابلياته كانت أعلى بكثير من إمكاناته المتاحة، وهذا يخلق أزمة عميقة لكنها كانت مرحلة تدريبية لموسى عليه السلام، ويظهر أن الخليفة سيمر بذات الابتلاءات والفتون.

المقطع الثاني:

"٤لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا. ٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ (وفي ترجمة أخرى: لكن من كان يمكنه قياس قابلياته، اقتلع من أرض الأحياء بسبب ما عانى من آثام الناس وأعطي قبرًا مع الأغنياء). عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" ([1]).

وهذا المقطع من النبوءة هو تفصيل وإتمام للمقطع الأول الذي يحكي حياة الإمام قبل استلامه للمهمة، وهي مرحلة الاصطناع له، فكان قدر الله له أن يعيش بين الناس والضعفاء والعوام بعيدًا عن النفوذ والجاه، يعيش مع المهمشين ليحي

[1] إشعياء (٥٣/٤-٩).

معاناتهم عن قرب، وتتكشف له الحقائق بعيدًا عن جو النفاق والتملق والزيوف التي يفرضها المركز والنفوذ والمال.

ففي هذه الأحوال يكون أقدر على التشخيص وتقدير الحلول المناسبة وكشف الألاعيب في مرحلة إقراره للعدل، خاصة أنه أكثر من مورس في حقه الظلم، والمظلوم يستشعر مرارة الظلم الواقع على الآخرين، إنها حالة خاصة من التربية ليكون أدعى للقيام بالمهمة العظيمة التي كلفها الله بها، وهي نقل الناس بين نقيضين: من الظلم الذي ألفوه وعاشوا لا يرون غيره دهورًا إلى العدل بأبهى صوره، ومن الجور نحو القسط، فهذه مهمة صعبة تحتاج إلى تجربة خاصة.

لذا جاءت النصوص هنا لتفصل في تلك التجربة الخاصة: "٤لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا. ٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا"، أما حمله للأحزان والأوجاع فهذا إشارة إلى أنه ناله حظًا من تلك الأوجاع التي أصابت المستضعفين والمهمشين حوله، بل ناله حظًا منها جعل البعض يظن أن ما لحقته من ابتلاءات هي عقوبة له، وأن الذلة قد لحقته من الله لأسباب تخفى على الناس.

وهنا يذكرني الخليفة بتجربة النبي أيوب عليه السلام الذي عاش ذات التجربة، حتى شك الناس بصلاحه وبعضهم قال: لو كان صالحًا لما أصابته الابتلاءات بهذا الشكل، وهنا نفس العبارات تتكرر: "وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا".

ثم تكمل النبوءة أن ما أصاب الإمام هو جزء مما أصاب الناس بسبب وضع المجتمع المتردي، ويظهر أن الواقع المنكوس والقيم الهابطة التي يعج بها المجتمع قد ألقت بظلالها الكئيبة على الإمام، فكان أحد ضحاياه الكبرى، وتكمل النبوءة

المأساة الواقعة على الإمام: "تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا".

طبعًا لا تزر وازرة وزر أخرى، فهذا هو ميزان الله، لكن يظهر أن الإمام يعيش تجربة خاصة في مرحلة الاصطناع الرباني له (واصطنعتك لنفسي)؛ لذا عاش يذوق مرارة إثم من حوله، وينالهم ما ينالهم من تشديد.

ويظهر أن هذه المرحلة كانت من أشد المراحل على الإمام حيث الحيرة والشدائد، ويظهر أنه كان له جهود طيبة (وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا)، ويظهر أنه كان يحمل فكرًا مغايرًا لكل من حوله (مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ)، فلكل طريقته التي مال بها عن الحق، أما هو فلم تلبسه فتنة وكان بعيدًا عن هذه الطرائق المائلة فهو إبراهيمي بكل معنى الكلمة.

كذلك النبوءة تشير إلى أنه تعرض لظلم شديد: "٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ"، أحيانًا قد يغيب علينا مدلول هذه النبوءة، وكيف أن الإمام هنا قد رضي بالظلم وأصبح كشاة تساق إلى الذبح.

لكن يظهر أن المعنى الحيوي للظلم الواقع عليه له علاقة بالظلم الاجتماعي، وهو في مسيرته لم يكن ينتصر لمظالمه الاجتماعية الخاصة به، وهذا أظنه من فقهه ووعيه بطبيعة المرحلة، التي أشار لها النبي محمد ﷺ مبرزًا العلاج الأنسب لتلك المرحلة، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ" ([1]).

[1] أخرجه البخاري برقم ٣٦٠٣ [فتح الباري (٧٠٨/٦)].

فالأثرة وما يترتب عليها من مظالم اجتماعية قد تكون لحقت الإمام، ووفق الإرشاد النبوي، الصبر عليها وأداء الحق والطلب من الله الحقوق المضيعة. فيكون المراد بالنبوءة الإشارة إلى أن المظالم الواقعة على الإمام، تعامل معها الإمام بصبر واحتمال وعاش آثارها دون شكوى، بل أكمل مهمته في مرحلة انتكاس الموازين وتغلب فيها السفهاء، وكان أسعد الناس بها لكع ابن لكع.

لكن النبوءة لا تشير إلى ذلة الإمام أو خنوعه للظلم، بل على صبره واحتماله على المظالم الواقعة عليه.

ويظهر أن الواقع المنكوس قد أثر عليه كثيرًا، وتراكمت عليه الهموم والشدائد؛ لذا آثر في مرحلة معينة من حياته للاعتزال: "وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ (وفي ترجمة أخرى: لكن من كان يمكنه قياس قابلياته، اقتلع من أرض الأحياء بسبب ما عانى من آثام الناس وأعطي قبرًا مع الأغنياء). عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ".

فهذا المقطع يحكي تلك المرحلة، وجاء التعبير عن العزلة (قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ) وذلك إشارة للعزلة، وهي محطة من محطات التربية في مرحلة الاصطناع، وهي شبيهة بالمرحلة التي قدرها الله لنبي الله موسى ﷺ، حيث كانت قصة القتل ثم الهروب لمدين، ثم تلك العزلة عن معترك الحياة الصاخب نحو رعي الأغنام عشر سنوات، ترتقي فيها النفس وتزكو مع الطبيعة والموجودات المعززة للتأمل الذي يقود النفس نحو عظمة الخالق.

وهي ذات التجربة التي عاشها النبي محمد ﷺ في خلوته في غار حراء، ونحن عندما نتكلم عن مرحلة غار حراء قد لا نفهمها جيدًا، وإلا فهي أمر غريب

جدًا حتى بالنسبة للمجتمع؛ حيث يرون رجلًا من المجتمع يخرج ليقضي أيامًا من حياته في غار في جبل شاهق، ينكفئ على نفسه ويهرب من مجتمعه، إلى أين هناك على قمة جبل، لماذا!؟

إنها مرحلة عجيبة اختارها الله للأنبياء أولي العزم في مرحلة من مراحل حياتهم، وحُبب لهم الأمر، وكان فيه إرهاصات البداية للأمر العظيم.

ويظهر أن الظروف القاهرة ستسوق الإمام لتجربة جده، أو قريبًا من تجربة جده في مرحلة من مراحل حياته: "اقتلع من أرض الأحياء بسبب ما عانى من آثام الناس"؛ لذا يقطع في مرحلة من حياته من أرض الأحياء، كما قطع محمد ﷺ في مرحلة من حياته من أرض مكة نحو حراء.

أما عبارة (وأعطي قبرًا مع الأغنياء)، ففيها رمزية عجيبة جدًا تشير إلى أن ظاهره في المجتمع أنه غني، ويحسب مع الأغنياء وهو في الحقيقة يكون فقيرًا، ويكون أولى الناس بمدلول قوله ﷻ: "لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ" [البقرة٢٧٣].

فهو صاحب عفة بل هو أولى بها من غيره، يحسب مع الأغنياء ويظهر من السياق أنه يعيش حالة فقر لا يدركها من حوله، وليس المقصود بها أنه يقبر مع الأغنياء حقًا؛ لأن النبوءة بعد ذلك تشير إلى أنه يكون له ذرية ويعيش طويلًا. لكن يظهر من سياق النبوءة أنه يحسب مع بعض الأشرار في زمانه، بالرغم من أنه مغاير لهم وليس في فمه ظلم.

كذلك النص من ترجمة مارتن لوثر: (لكن من كان يمكنه قياس قابلياته)، فهذه العبارة تشير إلى أن الابتلاءات تكون على الإمام مركبة وعجيبة جدًا، وتعزز الضجر وكشف الآلام، لكنه كان صابرًا وعنده قابلية خاصة تؤهله على الصبر.

المقطع الثالث:

"١٠أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. ١١مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. ١٢لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِين" ([١]).

هذه العبارات التي ما زالت تشير إلى حال الخليفة قبل الظهور، وللأسف الترجمة المشوهة للنصوص قد غيرت معالمها، وجعلتها تستعصي على الفهم، وليس هذا غريبًا على أكثر ترجمات الكتاب المقدس عن اللاتينية؛ حيث تجد دائمًا ترجمات متناقضة وتحمل ثقافات متنوعة. والنص السابق يقابله في ترجمة مارتن لوثر: "وهكذا غمره الله بالبلوى، ولأنه قدم حياته للفداء، فستكون له ذرية، ويعيش طويلًا وسينجح مخطط الله على يديه، ولأنه أرهق نفسه فإنه سيبصر النور ويفيض الخير عليه" ([٢]).

فهذا النص وإن كان تكرارًا للنص السابق لكنه أوضح دلالة، في الإشارة إلى مرحلة الاصطناع وما بعدها، ويشير إلى عظمة البلاء الذي يتعرض له الإمام قبل الظهور، ثم كيف يكون سببًا للخير له وللأمة بعده، من خلال تلك التجربة الخاصة

---

[١] إشعياء (٥٣/١٠-١٣).
[٢] نقلًا عن أبو عبد الله: الكتاب الفريد (٢٣٩).

التي عاشها ونالت منه الكثير، فجازاه الله بصبره وإرهاقه لنفسه أنه أبصر النور وفاض بالخير لمن حوله، بل سينجح تدبير الله للأمة على يديه، فيملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

وفي النبوءة إشارة للعبد البار، وكيف أنه سينال حكمة ويكون سببًا لإرساء العدل، وفي ترجمة مارتن لوثر: "فإن عبدي المتمسك بالحق سيأتي بالعدل للكثيرين"، ويقابلها هنا في النص: "١١مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا".

خلاصة حياة الخليفة الخاصة قبل الظهور:

النص السابق يبرز لنا تجربة خاصة للإمام، فهو في عمق المعاناة، ويناله ما نال باقي الأمة إضافة إلى معاناته الخاصة، والتي يعايش من خلالها معاناة الضعفاء حوله، تلك المعاناة التي تزيد من همومه، كذلك يبرز النص السابق أن الإمام أصابته ابتلاءات متنوعة عمقت من ظرفه النفسي والروحي والاجتماعي.

ولا يمتنع أن يكون عليه تسليط روحي ما، كذلك لا يمتنع أن يتسلط عليه مجرمو الإنس والجن لنورانيته الخاصة التي تميز بها، ويظهر من النص أنه في بيئة كئيبة تنعف ظلمًا، تحول دون فك قيوده وانطلاقه النفسي والروحي، وأشمل وصف لتلك المرحلة أن النبوءة قد أشارت بأن الله غمره بالبلوى.

كذلك النبوءة تشير إلى أن الخليفة فيما قبل الظهور يكون مغمورًا بعيدًا عن الأضواء، لا يؤبه له ولا تتجه له الأنظار، صابرًا على ابتلاءاته، غني النفس، فهو مقبور مع الأغنياء وليس منهم، ويحسب مع الأشرار وليس في فمه غش، مما يشير إلى أن الموازين في عهده تكون كلها منكوسة.

ويظهر من النبوءة أنه ذاق أشكالًا متعددة من الظلم، وهذا تهيئة له لكي يشعر بإحساس المظلومين وينتصف لهم عندما يقتدر، فمن ذاق مرارة الظلم علم قيمة العدل، وسلفه بذلك الفاروق عمر ﷺ الذي كان من قبيلة بني عدي التي لاقت ظلمًا شديدًا من بني مخزوم، فعمر ﷺ عاش تلك التجربة الخاصة، فكانت ممهدة لشخصيته التي تميزت بالعدل لأبعد الدرجات، ورجل كالمهدي يحتاج مثل تلك التجربة؛ ليكون أقدر على تغيير موازين الأرض التي امتلأت ظلم ليملأها عدلًا.

ولعل تلك المواصفات التي حملتها النبوءة عن الخليفة قبل الظهور، هي ذاتها التي شاء الله أن تتكشف عنه عبر الرؤى خلال السنوات الثلاثة السابقة، حيث فصلت الرؤى في تلك المعاناة بشكل يطابق ما أشارت إليه هذه النبوءة قبل ٢٨ قرنًا من الزمان.

والمجال هنا لا يتسع للاستقصاء إنما للتمثيل، ففي رؤيا بتاريخ ٢٠١٤/١/٢١، يقول فيها الرائي: (رأيت أن سيدنا عمر مبتلى ابتلاء شديد وحزين فقال له رسول الله ﷺ: اصبر. ثم رأيت المهدي يصعد جبلا راكضا بشكل سريع وقد قطع أكثر من نصف المسافة. هذا ما رأيت والله على ما أقول شهيد)، ورمزية عمر هنا تتعلق برمزية المهدي المرتبطة بالعدل والخلافة. وفي رؤية أخرى لرجل سوداني: (رأيت قبل ٩ شهور تقريبا رؤية مكتوب على صندوق، يظهر المهدي بعد ٣٠ ضربة).

ولا أعلم المقصود بالضربات الثلاثين: هل هي ضربات اقتصادية ونفسية وروحية وصحية، أما مزيج بينها!؟ لكن كلمة ضربات تشير إلى تنوع ما أصاب الخليفة من ابتلاءات.

وهذه رؤية بتاريخ اليوم ١٨-٢-٢٠١٤، يقول الرائي: (رأيت كأن رسولا من رسل الله يحدث الله ﷻ، جاء بنفسي أنه أحد من أنزل عليه كتاب من الكتب فقال له الله ﷻ: أنه سيميته. فقال الرسول ﷺ أنه راض بحكم الله مهما كان، فقال له الله ﷻ: أنه سيميته و يحييه ١٠٠ مرة في حياته قبل أن يحين أجله فرضي الرسول بحكم الله).

وهذه الرؤية ظاهرة في بيان عظمة الابتلاء الذي غمر الله به الخليفة الإمام قبل الظهور، أو قبل أن يحين أجله، ومائة ميتة ترمز إلى شدة الابتلاء حتى أشبه الموت.

وقد مر علي كثير من الرؤى تحمل تلك الرمزية، بعضها يشير إلى قفل الأبواب في وجه المهدي، وبعضها يشير إلى شدة اقتصادية، وبعضها يشير إلى معاناة روحية ونفسية، منها رؤية الأمة بحاجة إلى قائد والقائد نائم على أريكة، وبعضها يشير إلى قيود شديدة على الإمام، وبعضها يشير إلى أنه محصور، وبعضها يشير إلى أنه لا يؤبه له ولا تراعى حقوقه، بل بعض الرؤى أشارت إلى أنه مقبور.

وهذه الرؤى كلها هي بمدلولها تؤكد كل شطر حملته هذه النبوءة عن حياة الخليفة قبل الظهور، بل أدق تأويل لها هو ما تضمنته نبوءة أشعياء التفصيلية. والحقيقة لو تم التعامل مع تلك الرؤى بطريقة موضوعية، بحيث يتم جمع كل رؤى الابتلاء، لوجدناها تعطينا تصور كامل عن حياة الخليفة قبل الظهور بدقة. وهنا تتلاحم الرؤى خاصة في السنوات الثلاثة الأخيرة مع نبوءة إشعياء، وكأنهما صدرا من مشكاة واحدة في توصيف حياة الإمام قبل الظهور.

وكما أن نبوءة إشعياء قد حملت رمزية ابن يسي وهو داود (عليه السلام) الخليفة الأول، فيظهر أن تجربة داود (عليه السلام) الخاصة ستتكرر مع المهدي (عليه السلام)، فداود (عليه السلام) حصلت بينه وبين طالوت قطيعة بسبب بعض الواشين، واضطر في مرحلة من حياته للهروب والاعتزال في الجبال، خاصة جبل الزليقات وهناك بدأت حالة من المناجاة والإيتاء، عبرت عنها بعض نصوص المزامير، والتي أكثرها تشير إلى آهات داود (عليه السلام).

هذه الآهات والآلام والافتقار والضراعة وقعت من صوت جميل شجي، صرخات بين جنبات الجبال؛ جعلت داود في غربته في حالة من الأنس ليس مع البشر بل مع الموجودات حوله، عبر القرآن عن هذه الحالة بقوله: "وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ" [سبأ ١٠]، إنه الفضل الملابس للابتلاء، الفضل النابت من رحم المعاناة.

وهكذا تتمازج الموجودات وتتفاعل مع المناجاة، يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ...؛ هكذا لو أتيت بآلاف المرادفات لتستخدمها هنا بدل كلمة أوبي لن تأتي لا بالجرس الموسيقي ولا الدلالة، أوبي معه.. أوبي معه..؛ إنه ترديد الجبال مع كل مناجاة وصرخة، أوبي مع آهات داود.

سأترك الموضوع وأدخل مباشرة لآهات داود التي فصلت بها المزامير، والغريب أن أكثرها يحكي المعاناة التي عاشها داود (عليه السلام)، أذكر القليل جدًا منها من مواطن متعددة، وهي تبرز الظروف التي عايشها داود (عليه السلام) وابتلاءاته المتنوعة، أذكرها للاعتبار والاستئناس مع علمنا أن كتب الأنبياء كلها أصابها التحريف، إنما للاستئناس من باب حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

جاء في سفر المزامير: "يَا رَبُّ، مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ! كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ. ٢كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي: «لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلهِهِ" (المزمور الثالث).

وهذه النصوص تشير إلى تلك الأزمة التي يعايشها داود عليه السلام، وأهم ما فيها أن الشانئين يرونه قد ضُرب من الله وليس له خلاص به.

(المزمور السادس الفقرة ٢-٧): "لأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ، ٣وَنَفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ، فَحَتَّى مَتَى؟ عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. ٥لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟ ٦تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي. ٧سَاخَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ".

وهذه الآهات تبرز عظمة ما تعرض له داود عليه السلام من الشدائد وطول أمدها، واستعجال الفرج الذي طال ليله، يكفينا في النص الإشارات التي تدل على الدموع الكثيرة والذوبان في الفراش والغم الشديد الذي ظهرت آثاره على النبي داود عليه السلام.

(المزمور١٣ فقرة ١-٤): "١إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ؟ إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟ ٢إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُومًا فِي نَفْسِي وَحُزْنًا فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ؟ إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟ ٣انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ، ٤لِئَلاَّ يَقُولَ عَدُوِّي: «قَدْ قَوِيتُ عَلَيْهِ». لِئَلاَّ يَهْتِفَ مُضَايِقِيَّ بِأَنِّي تَزَعْزَعْتُ".

وهذه المناجاة تبرز حال النبي داود عليه السلام، وقد طالت همومه وأحزانه وزاد شمت الشامتين به، وطال أمد استجابة السماء لدعائه، وهو معتصم على باب العبودية لله طالبًا منه راجيًا له.

(المزمور ١٨): "٤اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. ٥حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي. ٦فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ".

وهذه المناجاة تبرز عظمة الآلام التي كانت تعتري النبي داود ﷺ، حتى أصبح كل ما حوله وكأنه الموت والهلاك.

(المزمور ٢٢): "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ ٢إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي. ٣وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ... ٧كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: ٨«اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ»".

وهذه المناجاة تبرز طول انتظار داود ﷺ للفرج بعدما اشتد الأمر عليه، فها هو يدعو في الليل والنهار، وقد تأخرت عنه الإجابة مما عزز عند المجرمين التشفي والاستهزاء بحاله.

(المزمور ٢٥ فقرة ١٦-٢٠): "١٦اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي، لأَنِّي وَحْدٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا. ١٧أُفْرُجْ ضِيقَاتِ قَلْبِي. مِنْ شَدَائِدِي أَخْرِجْنِي. ١٨انْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي، وَاغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ. ١٩انْظُرْ إِلَى أَعْدَائِي لأَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا، وَبُغْضًا ظُلْمًا أَبْغَضُونِي. ٢٠احْفَظْ نَفْسِي وَأَنْقِذْنِي".

وهذه المناجاة تبرز مدى تذلل النبي داود ﷺ بين يدي الله ﷻ، وهي ما سبقها توضح أن النبي داود ﷺ كان في تجربة خاصة جدًا لا يفهمها من حوله؛ حيث تترادف عليه البلاءات وتتعمق آثار الشدائد في نفسه، دون أن يجد بصيص أمل لحاله، فيزداد تعلقًا بالله ولجوءًا إليه لكن يطول الفرج في مرحلة الاصطناع.

هذه بعض آهات داود عليه السلام وجزء من مناجاته التي تحكي معاناته، والعجيب أن المزامير كلها تحكي شدة وابتلاءات عجيبة وشديدة، تعرض لها داود عليه السلام قبل استلامه الأمر، والأنبياء هم أشد الناس ابتلاءً ثم الأمثل فالأمثل؛ فهذه سنة الله في عباده المخلَصين، ويظهر أن مدلول هذه التجربة الداودية في مرحلة الاستخلاص والتي انتهت بقوله سبحانه وتعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" [ص٢٦]، وهي نفس النهاية لمرحلة استخلاص المهدي أو غصن الرب.

وقد أعجبتني رمزية رؤية حديثة تربط بين داود عليه السلام وبين المهدي وهي بتاريخ ٢٠١٦/١/٢، يقول الرائي فيها: (رأيت رجلا عاديًا يقف أمام سيدنا داود عليه السلام، والدنيا من حولهم خراب: مباني مهدمة، وأرض خراب، ورأيت سيدنا داود معه سيف شكله ليس من الدنيا على شكل أسطوانة من الأمام، ويده جميله وقويه ولون السيف من البلاتين، ووضعه في يد هذا الرجل وقال له: هذا السيف لخليفة الله وكان الرجل لا يتكلم وحزين).

طبعًا هذه الرؤيا لها دلالات كثيرة ليس محلها هنا خاصة السيف الأسطواني.

جاء في سفر إشعياء: "٤أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ الْمُتَعَلِّمِينَ لأَعْرِفَ أَنْ أُغِيثَ الْمُعْيِيَ بِكَلِمَةٍ. يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ لِي أُذُنًا، لأَسْمَعَ كَالْمُتَعَلِّمِينَ. ٥السَّيِّدُ الرَّبُّ فَتَحَ لِي أُذُنًا وَأَنَا لَمْ أُعَانِدْ. إِلَى الْوَرَاءِ لَمْ أَرْتَدَّ. ٦بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ.

٧وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يُعِينُنِي، لِذلِكَ لاَ أَخْجَلُ. لِذلِكَ جَعَلْتُ وَجْهِي كَالصَّوَّانِ وَعَرَفْتُ أَنِّي لاَ أَخْزَى. ٨قَرِيبٌ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُنِي. مَنْ يُخَاصِمُنِي؟ لِنَتَوَاقَفْ! مَنْ هُوَ صَاحِبُ دَعْوَى مَعِي؟ لِيَتَقَدَّمْ إِلَيَّ! ٩هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ يُعِينُنِي. مَنْ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَيَّ؟ هُوَذَا كُلُّهُمْ كَالثَّوْبِ يَبْلَوْنَ. يَأْكُلُهُمُ الْعُثُّ.

١٠مَنْ مِنْكُمْ خَائِفُ الرَّبِّ، سَامِعٌ لِصَوْتِ عَبْدِهِ؟ مَنِ الَّذِي يَسْلُكُ فِي الظُّلُمَاتِ وَلاَ نُورَ لَهُ؟ فَلْيَتَّكِلْ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ وَيَسْتَنِدْ إِلَى إِلهِهِ. ١١يَا هؤُلاَءِ جَمِيعُكُمُ، الْقَادِحِينَ نَارًا، الْمُتَنَطِّقِينَ بِشَرَارٍ، اسْلُكُوا بِنُورِ نَارِكُمْ وَبِالشَّرَارِ الَّذِي أَوْقَدْتُمُوهُ. مِنْ يَدِي صَارَ لَكُمْ هذَا. فِي الْوَجَعِ تَضْطَجِعُونَ" ([1]).

هذه النبوءة ما زالت تشير إلى ابتلاءات الغصن، وإن كان ظاهرها أنها تتكلم عن النبي إشعياء نفسه، وهي تشير إلى أهم ما تميز به الغصن أو خليفة آخر الزمان، في ظل مرحلة تميزت بانتكاسة على مستويات عدة، وقد جاءت الإشارة إلى تلك الانتكاسة في مواطن متعددة من إشعياء، وكذلك صدر السفر الخمسين الذي منه هذا النقل: "٤أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ الْمُتَعَلِّمِينَ لأَعْرِفَ أَنْ أُغِيثَ الْمُعْيِيَ بِكَلِمَةٍ. يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ لِي أُذُنًا، لأَسْمَعَ كَالْمُتَعَلِّمِينَ".

فالإمام يكون من أهل العلم، ويتميز عن غيره أنه صاحب قلب سؤول، لا يشبع من العلم بل يطلبه في كل حال، وتشير النبوءة أن هدفه من العلم هو علاج حال الأمة وإغاثة المتعبين فيها بكلماته وإرشاده، كذلك تشير النبوءة أنه يكون صاحب فكرة وتأمل، وهذا معنى يوقظ لي كل صباح أذنًا، وفي العبارة إشارة إلى فتوحات خاصة ينالها الإمام فيزداد علمًا، وقد مرت علينا رؤيا أن المهدي ينال ملكًا وعلمًا وحكمة...

[1] إشعياء (٥٠/ ٤-١١).

فمرحلة العلم أساسية للمصلحين، ومرحلة التأمل من مبادئ العلم غير التقليدي الذي يناله الإمام، لكن في النبوءة السابقة إشارة واضحة إلى أن هناك تلازمًا بين أمرين في حالة الإمام: وهما اجتهاده في طلب العلم من جهة، وفتوحات الله عليه بالإلهام خلال اجتهاده في ذات الوقت. وقد مرت علي أكثر من رؤية تشير إلى هذا المعنى بالذات في حق الإمام، وهذا المعنى هو سنة ماضية في حق كل المصلحين.

ويظهر من السياق أن الغصن أو المهدي سيكون له شأن في العلم يتميز به عن الآخرين، ولعله نال لقب المهدي لأجل ذلك، وأنا وفق فهمي لمدلول آيات القرآن الكريم أرى أن أول سورة فيه (العلق) جاءت لتتحدث عن نوعين من القراءة، الأولى كانت للنبي محمد ﷺ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ"، والثانية تكون للمهدي في آخر الزمان: "اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ"، وهذا الفهم قد يستهجنه البعض؛ لكنني سأفرد له دراسة مطولة بالأدلة الدالة عليه.

"٥السَّيِّدُ الرَّبُّ فَتَحَ لِي أُذُنًا وَأَنَا لَمْ أُعَانِدْ. إِلَى الْوَرَاءِ لَمْ أَرْتَدَّ"، هذه العبارة تشير إلى أن الإمام له تجربة مطولة مع العلم، ويظهر أن هذه التجربة كان فيها معاناة، لكنه أكمل مسيرته العلمية باستسلام كامل؛ حيث كان ينتقل من مرحلة إلى أخرى دون تراجع، بل كان ينفعل وينساق لكل باب علمي فتحه الله عليه، ويظهر أنها علوم متنوعة نالها الإمام، أما ما هي طبيعة هذه العلوم!؟ فهذا أمر لم تفصح عنه النبوءة ولا ندري عنها شيئًا، لكن إن كتب الله لنا حياة وعايشنا مرحلة الإمام، فسنعلم حقيقة هذه العلوم التي فتحها الله عليه.

"٦بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ". يظهر من هذا النص أن الإمام في تجربته تعرض لانتقاد كثير ولشامتين

كثر، ويظهر أنه رافقت مسيرته ابتلاءات كثيرة، لكنه صبر على تلك الابتلاءات وأكمل مسيرته، ويظهر أن هذه المواقف السلبية التي تعرض لها كانت تؤثر فيه داخليًا، لكنها لم تثنه عن مسيرته التي اختارها الله له.

"٧وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يُعِينُنِي، لِذلِكَ لاَ أَخْجَلُ. لِذلِكَ جَعَلْتُ وَجْهِي كَالصَّوَّانِ وَعَرَفْتُ أَنِّي لاَ أَخْزَى"، هذه العبارة تظهر أنه كان متوكلًا على الله ﷻ في كل شأنه، ويظهر من السياق أنه كان بالنسبة لمن حوله كأنه يسبح بعكس التيار وهذا ما عمق مأساته، لكنه بتوكله كان يشعر بالطمأنينة التي تجعله لا يخجل مما يحمله من أفكار وعلوم ومبادئ، وفي النبوءة إشارة إلى عظيم توكله على الله ﷻ.

وقد بينت كثير من الرؤى أنه سيكون إبراهيميًا، ودللت على هذا المعنى خلال حديثي عن غصن الرب الذي يجمع بين النسبين الشريفين، فيكون إبراهيميًا حتى في نسبه، وإبراهيم الخليل كان عنوانًا في التوكل على الله ﷻ؛ لذا أشارت النبوءة بأن الإمام في ضيقته كان يعلم بانتصاره المبدئي، كما كان جده إبراهيم عليه السلام يعلم ذلك في مراغمته لقومه عندما ألقوه في النار.

"٨قَرِيبٌ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُنِي. مَنْ يُخَاصِمُنِي؟ لِنَتَوَاقَفْ! مَنْ هُوَ صَاحِبُ دَعْوَى مَعِي؟ لِيَتَقَدَّمْ إِلَيَّ! ٩هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ يُعِينُنِي. مَنْ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَيَّ؟ هُوَذَا كُلُّهُمْ كَالثَّوْبِ يَبْلَوْنَ. يَأْكُلُهُمُ الْعُثُّ" ([1])، هذه العبارات تشير إلى توكل الإمام في معركته، فهو يتكلم هذه الكلمات وهو في ضيقته وضعفه وآلامه، ينتظر فرج الله به ويراه قريبًا.

ثم يظهر من النبوءة أن الإمام يعلم قوة منطقه وعظمة استقامته؛ فيخاطب هؤلاء الشامتين أو الناتفين أو المثبطين أو الكائدين به بأنهم لا يملكون حجة في

[1] إشعياء (٥٠/٨-٩).

مخاصمته، فهو صفحة بيضاء لا يملكون تشويهها حتى لو حاولوا؛ لذا تتكرر كلمة (الرب يعينني).

ثم يظهر أن يقين الإمام بربه قد وصل منتهاه، حيث يعلم أن كل من كاد له في النهاية سيتهاوون أمامه وسيخسرون معركتهم؛ لأنه مستنده الحق وهم مستندهم الكيد والباطل، يقول الله ﷻ: "وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" [الأنبياء٧٠].

نبوءة إشعياء في مرحلة الاستخلاص

جاء في سفر إشعياء: "١٣هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا. ١٤كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. ١٥هكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ" ([1]).

هذه النبوءة تشير إلى مرحلة استخلاص الإمام، حيث يرتقي في العلم والتعقل ويتسامى جدًا في دروب الحكمة، ويلحظ أن الترجمة هنا قد شوهت مدلول النبوءة بما يغير معالمها، ولعل مثل هذا التشويه يوقع بعضهم في الدجال وليس المهدي، وفي ترجمة مارتن لوثر نقلًا عن أبو الخليل عبد الله في كتابه الكتاب الفريد: (وسوف يفزع الكثيرون منه، لأن شكله ومنظره يكون أقل قبولًا من باقي الناس) ([2]).

مما يشير إلى أن الخليفة يكون في الشكل متواضعًا، أو في الخلقة أقل جمالًا من الآخرين، أو أقل قبولًا من الآخرين كما في نبوءة أخرى، وهذا يذكرني بالأثر أن المهدي يشبه النبي في الخُلق وليس الخَلق.

[1] سفر إشعياء (٥٢/ ١٣-١٥).
[2] أبو الخليل عبد الله: الكتاب الفريد (٢٤٦).

ويتضح من آخر النبوءة أن الإمام سينال علمًا ومعرفة، وسننية مميزة تخضع لها الملوك ولا يستطيعون إلا التسليم له ومجاراته، فهم سيطبقون أفواههم في حضرته لأنهم سيشهدون ما لم يخبروا، وسيرون ما لم يسمعوا عنه.

وهذه الرمزية تحمل مدلولًا متكررًا لحقبة سليمان عليه السلام الذي وصل لتلك الدرجة، وقد أبرزت الآيات كيف خضعت له بلقيس، بل تشير النصوص إلى خضوع كثير من الملوك له بنفس الطريقة. وهذه النبوءة إن صدقت نفهم منها أن ملك المهدي يكون فيه تأييدات خاصة، والحكمة تتجلى خلالها بأبهى صورها.

نبوءة إشعياء المتعلقة باستلام غصن الرب الأمر

هذه النبوءة أنقلها من المتوفر لدي من نسخ الوورد لسفر إشعياء، وهي نسخة أصابها بعض التحريف في مدلولاتها، هذا التحريف يعكس عقليات منحرفة للمترجمين لتلك النبوءات، جاء في السفر: "٢اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. ٣أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً. ٤لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ. ٥لأَنَّ كُلَّ سِلاَحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ مُدَحْرَجٍ فِي الدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلًا لِلنَّارِ. ٦لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا.. أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. ٧لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ

دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا" ([1]).

هذه النبوءة تشير إلى حال الأمة في مرحلة خروج الإمام المهدي (غصن الرب)، وقد عبرت عنه بأنه شعب سالك في الظلمة، وهي رمزية للظلمات التي كقطع الليل المظلم والتي يصبح فيها الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، وفي مرحلة المهدي بالذات تكون فتنة الدهيماء، وهي من الدهيم أي الليل المظلم.

إنه توصيف رائع ودقيق يمثل ذات المرحلة التي يخرج فيها المهدي، والتي تملأ الأرض فيها ظلمًا وجورًا، وقد عبرت النبوءة أن الشعب السالك في الظلمة سيبصر نورًا، ولعل رمزية الإمام المهدي في الرؤى بالقمر المنير لها دلالاتها في المقصود بالنور الذي ستبصره الشعوب العربية والإسلامية.

(الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ)، وهذه العبارة رمزية لتلك الفتن والهرج الذي يحصد الأمة في كل مكان، حتى أصبح أكثر الأمة وكأنهم جالسون في ظلال الموت ينتظرون أجلهم الغامض، ولعل الواقع الحالي الذي يعصف بالعراق والشام واليمن يرشدنا إلى جزء من ظلال الموت تلك.

وفي ثنايا هذه الظروف القاهرة عندما تعم الفتن، ولا يجد منها أهل البلاد ملجأ؛ تبصر الأمة النور الجديد بخروج الإمام المهدي (غصن الرب)، الذي بخروجه يقلب كل الموازين (٣أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ.) هذه النصوص تبرز فرحة الأمة بالإمام بعد إياس شديد وظلم عميم، ومعاناة عميقة، فيكون بخروجه كأنه أكثر الأمة لأنه سيكون كفة الميزان الراجحة في آخر الزمان، خاصة للأمة الهزيلة التي تكالبت عليها الأمم كهجوم الأكلة على القصعة الصغيرة...

---

[1] إشعياء (٩/٢-٧).

فالإمام يكثر الأمة لأنه عنوان النصر والعزة والحكمة المفضية للتمكين والغلبة على الأمم، وتكون فرحة الأمة بخروجه كفرحة الفلاح بموسم الحصاد، ولعل هذه العبارة تشير إلى أن جهود كثير من المصلحين قبل خروج المهدي وكأنها تذهب سدى دون جدوى، أو تأثير حيوي فعال ينقل الأمة للتغيير الصاعد داخلها.

كذلك في العبارة إشارة إلى أن جهود كثير من المخلصين كأنها تفرغ في آنية هجينة عليهم بعيدًا عن الإناء الصحيح، وهكذا تذهب الطاقات وتتوزع في غير محلها، وتعم الحيرة ويتعزز اليأس، وفجأة بخروج المهدي تتكاتف الجهود وتلتف الطاقات وتتمحور حول القائد الحق.

ويشعر الجميع بفرحة عارمة لأن خروجه أشبه بموسم الحصاد لفلاح طالما عانى لأجل إنجاح زرعه، (عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً.)؛ فهذه صورة الأمة عند خروج المهدي فيها، إنها بهجة النصر بعد قدومه وبهجة الفلاح لرؤيته لزرعه وقد أينع وحان حصاده وجني ثماره.

(٤لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ.)، وهذه العبارة تشير إلى سبب الفرحة، لأن بقدوم المهدي تتوالى الانتصارات وتتكاثف التأييدات لصالح الأمة، وتتهاوى القوى الطاغية التي تسلطت على رقاب الأمة سواء من خارجها أو من داخلها.

ويظهر أن هناك تزامنًا بين خروج المهدي وبين هذه الأحداث خاصة الحدث الكوني، وعلامة الدخان التي تشبه الطوفان في تأثيرها على البشرية، فالبشائر الربانية مترادفة مع خروج الخليفة أو تهيؤه للأمر، فخروجه يرتبط بالتأييد الأول وهو

الخسف بالجيش الغازي لمكة، كما أن ميلاد النبي محمد عليه السلام كان مرتبطاً بطير الأبابيل التي أرسلها الله للغازي الأول لمكة (أبرهة الحبشي).

أما يوم مديان في النبوءة فأراه مقحمًا، وهو يرمز لمعركة انتصر فيها الإسرائيليين على المديانيين نصرًا عظيمًا، وفي ذلك اليوم تكاتفت التأييدات والبشريات مع مسلمي ذلك العهد في نصرتهم على عدوهم، فهذه الرمزية هي المقصودة هنا.

(٥لأَنَّ كُلَّ سِلاَحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ مُدَحْرَجٍ فِي الدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلًا لِلنَّارِ.) هذا النص فيه إشارة إلى الحروب التي أكلت الجميع قبل المهدي، وترمز بوضوح أن الإمام سيجلب السلام والأمن، بحيث يتم الاستغناء عن أدوات الحرب في عهده أو في آخر عهده.

وتمضي النبوءة في الإشارة للخليفة مبرزة بعض مواصفاته ومؤهلاته الخاصة، (٦لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا.. أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ)، هذا النص الذي صيغ بعبارات غنوصية إلا أنه يوحي بالمضمون، فالفرحة وتغير الموازين له علاقة بميلاد الخليفة وتؤهله للخلافة؛ حيث تكون الرئاسة على كتفيه، وهذه الرمزية تذكرني بخاتم النبوة الذي كان للنبي محمد عليه السلام، فلعلها تتكرر مع الإمام.

وقد ورد أثر عن علي رضي الله عنه يذكره عن المهدي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "المهدي مولده بالمدينة، من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي، ومهاجره بيت المقدس، كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، أقنى أجلى في كتفه علامة النبي" ([1]).

[1] السلمي: عقد الدرر (١٠٤).

فهذا الأثر عن علي ﷺ يشير إلى علامة النبي في كتف المهدي، لكنني أرى أن المعنى المذكور في النبوءة قد يرمز إلى أمر آخر، يذكرني برؤية الوشاح الأحمر وفيها يقول الرائي: (رأيت رسول الله ﷺ يمشي مسرعا في السماء الرابعة وهو يحمل في يده وشاح كبير جدا من الحرير ولونه احمر قاني أو قل داكن، وهو يهم أن يمد يده عبر السماوات ويلقي بالوشاح من السماء الرابعة إلي كتف شخص من اولاده وأحفاده حتي يحسم أنه المهدي المنتظر للناس ورأيت الوشاح يتحرك من السماء وهو يتجه لكتف شخص من الأشراف ويسقط علي كتفه الأيمن فيمسكه بيديه، ويحاول أن يصلحه ويضعه علي كامل كتفيه الاثنين، وكان هناك عدد من الناس يتحركون حول هذا الشخص غير عابئين به ولا يعرفون قصة الوشاح).

هذه الرؤية، وقد أولتها أن الوشاح هو ذاته عمود الكتاب الذي ارتفع في العهد النبوي ثم عمد به إلى الشام، وفي الحديث النبوي إشارة إلى شيء مغاير للكتاب (القرآن الكريم)، فالكتاب لم يرفع لكن عمود الكتاب الذي من خلاله يتم التلاحم بين المسطور والمنظور من خلال قراءة فريدة، وقعت مع النبي الكريم بما حقق الخلافة التسخيرية له بوصفه عبد رسول.

وهو ذات التلاحم ضمن قراءة فريدة تتحقق مع الخليفة في آخر الزمان، ضمن الخلافة التسخيرية الممتدة من لدن داود وسليمان عليهما السلام مرورًا بمحمد عليه السلام، وتنتهي بالمهدي وعيسى عليه السلام، هذه الخلافة التسخيرية تحصل للمهدي بوصفه ملك مجدد في الأمة ومنشئ العالمية الثانية للإسلام، وتحليل هذه المعلومات يحتاج لموضوع منفصل، لكنها إشارات سريعة مع النصوص هنا.

فهذا الوشاح الذي يرتبه المهدي في الرؤية على كامل كتفيه هو عمود الكتاب، وهو الرياسة التي تكون على كتفي غصن الرب، والعجيب أن بعض

النبوءات في إشعياء تربط بين غصن الرب وبين اللون الأحمر، جاء في سفر إشعياء: "١مَنْ ذَا الآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ، الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. «أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ، الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ». ٢مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ" ([1])، فرمزية اللون الأحمر إضافة لرمزية الرئاسة بين كتفيه، هي ذاتها مضمون رؤية الوشاح المذكورة.

(وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا.. أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ)، هذا النص ينقلني مباشرة إلى حجر الزاوية الذي يدعى اسمه عجيبًا، وقد بينت أن حجر الزاوية المبشر به في العهدين القديم والجديد هو ذاته غصن الرب، لكن ما هو الاسم العجيب الذي يدعى به غصن الرب، هل هو المهدي؟ هل هناك اسم آخر عجيب يتلقب به!؟ الأيام ستكشف لنا المعنى الحقيقي له.

أما كلمة مشير هنا فهي رمزية للحكمة، والحكمة هي جماع كل خير لذا "يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ" [البقرة٢٦٩]، فالآية صريحة بأن العطاء الإلهي الأعظم والجامع لكل خير هو الحكمة التي من نالها نال كل خير، وسيكون للمهدي حظ وافر منها حتى أنه يوصف بها بكلمة المشير.

أما عبارة الأب الأبدي ورئيس السلام؛ فهي إشارة إلى الأثر العظيم والثمرة اليانعة التي يخلفها المهدي لأمة تشتت وأصبحت يتيمة بلا أب، وبدلًا من أن يرعاها الرعاة في مواطن الخير، وبدلًا من أن يقوم الرعاة بخدمتها؛ تحول القطيع كله لرعاية مصالح الرعاة، وأروده الرعاة في مواطن الهلاك.

---

[1] سفر إشعياء (٦٣/١-٢).

فالأمة بلا أب بلا قائد رباني ملهم، فيأتي المهدي ﷺ ويستلم الأمانة وفق أمر الله ﷻ، فيكون للأمة نعم الأب الحاني الذي ينقلها نحو العدل والقسط، نحو الأمن غير المعهود حتى على مستوى الكائنات والحيوانات حولهم، فالأمن في عهده يعم كل شيء حتى المتناقضات، وهذا الوصف لم يقع منذ بداية الخليقة، ففي عهد المهدي لا تنزع العداوات بين البشر، بل أيضًا بين الموجودات كلها كما صرحت النصوص في النبوءة وفي السنة النبوية..

من هذا الوجه استحق غصن الرب وصف رئيس السلام؛ لأن ما يقدره الله ﷻ على يديه هو سلام لم تعهده البشرية من قبل: (رَئِيسَ السَّلاَمِ. ٧لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ)، ورمزية كرسي داود لها دلالات عديدة، ولعل من دلالاتها: أن داود عليه السلام هو أول خليفة ملك نال الخلافة التسخيرية بنص القرآن الكريم، وورثها لابنه سليمان عليه السلام.

فيكون الملك المهدي (غصن الرب) امتدادًا للطريقة أو للخلافة التسخيرية ذاتها؛ لذا جاءت رمزية (كرسي داود) المتعلقة بالملك وطبيعة الخلافة التسخيرية، لكن المنهج هنا مع المهدي هو ذاته منهج النبي محمد عليه السلام؛ فدستوره القرآن الكريم والسنة النبوية أو الحكمة النبوية، أما نوع الملك فهو الخلافة التسخيرية التي كان عليها داود وسليمان عليهما السلام.

وهنا يجب التفريق بين المنهج وبين طريقة الحكم، فالقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم والنبي محمد عليه السلام هو خاتم النبيين، حتى عيسى عليه السلام في مرحلة حكمه سيحكم بشريعة محمد عليه السلام ومنهاجه، أما طريقة الحكم والخلافة التسخيرية فهي شيء آخر.

وقد لبس الأمر على الشيعة حيث جاء في بعض كتبهم أن المهدي سيحكم بشريعة داود عليه السلام، فقد يكون أصل الرواية أنه في الملك سينال الخلافة التسخيرية على طريقة داود وسليمان عليه السلام، والشريعة الطريقة، أما المنهج فهو حتمًا منهج محمد عليه السلام وسنته الماضية إلى قيام الساعة.

والأب الأبدي الحقيقي الخاتم للأمة هو الرسول الأعظم محمد عليه السلام، لكن يتحقق مدلول الأبوة ومنافعها من خلال التجديد الحاصل في عهد المهدي رضي الله عنه، والمهدي في حقيقته هو غصن من الشجرة العظيمة (محمد عليه السلام) وبذرة منه وامتداد لتعاليمه، وما يقع في عهده من خير وفضيلة فهي في الحقيقة راجعة للأصل الأول محمد عليه السلام، فتكون النبوءة هنا قد أشارت بالمعنى البعيد للأصل الأول للأمة الإسلامية، وبيان فضلها من خلال أينع بذورها.

تعقيب

- أود أن أوضح بعض الأمور في هذه المقالة بسرعة:

أولًا: بخصوص غصن الرب والذي أنزلته في ١١ مقالة، الموضوع في حقيقته وزنه أكثر من مائتي صفحة، وإنما اختزلته هنا في المقالات ليتسنى القراءة للموضوع، لكن الموضوع بأكمله سيتيسر بإذن الله ضمن منهج علمي هادف مطول، ويلاحق بالأدلة كل عناصر الموضوع، وهذا المنهج المطول لا يتناسب حاليًا مع المدونة، لكن ما طرحت الموضوع هنا إلا عندما اكتملت لدي القرائن القوية الدالة عليه، وفي جعبتي الكثير في هذا الباب، لكن ليس هذا وقته.

ثانيًا: سبق أن فتحت موضوعًا بعنوان: اجتماع الأهلة بتاريخ ٦ يناير، وقد طلبت ستة شهور ليستبين الأمر لدي، ويظهر أنه من الشهر الأول قد بدأت تظهر أمامي دلالات تشير إلى صدق حدسي وفهمي للأحداث وتتابعها، لكن الانتظار أفضل حتى يستبين الأمر من كل جوانبه.

ثالثًا: لاحظت في أكثر الخائضين في علامات الساعة أنهم يخلطون الغث بالسمين، وأحيانًا تنتشر مكذوبات كثيرة بدأت تعيد رسم الخارطة الفكرية لدى البعض بعيدًا عن المنهج العلمي المقنع، وللأسف هؤلاء يركبون قطارًا بلا سكة حديد، فالأصل أن الخوض في هذا العلم يحتاج إلى قدرات خاصة تستطيع التمييز بين الأمور بدقة.

وللأسف أجد البعض يأتي بمكذوبات معاصرة، قام بعض الدجالين بنسجها واختلاقها ونسبها إما لابن عربي الصوفي، وإما لأبي هريرة الصحابي، وإما للجفر الملعون، وإما لأحد أئمة أهل البيت، وكل هذه النصوص هي مكذوبات معاصرة، وبعض الناس لهوى في أنفسهم يجارون هذه المكذوبات وينشرونها.

آخر هذه التقاليع مكذوبة معاصرة منسوبة لابن عربي، وفيها إشارة إلى رئيس السودان السابق النميري وغيرها من الأمور، وتم ربط الأمور بالمهدي...، أقول: هذا كذب معاصر، أنا أعرف بعض من اختلقه وروجه بين الناس، مستغلًا سطحيتهم وعواطفهم وجهلهم، فلينتبه البعض للأمر، فكثير من الناس يركبون قطارًا بلا سكة.

رابعًا: البعض يظن أن علم علامات الساعة علم بسيط هين، لكنني أقول لكم من واقع تجربة طويلة عمرها عشرات السنين، هذا علم من أعز العلوم وأصعبها منالًا، وبعض المعلومات التي يقرأها البعض هنا لا يعلمون كم كلفتنا من جهود وطاقات لكي نخرجها بعيدًا عن الهوس والدجل ومحاولة لضبطها بطريقة علمية.

على سبيل المثال: موضوع غصن الرب عمره عندي قرابة الخمس سنوات، لكن ما بدأت بإظهاره إلا بعد قرائن طويلة، وملاحقات قد تغفل على القارئ العادي، وغيرها من الأمور على نفس الشاكلة، وللأسف يحزنني كثرة الخائضين بهذا العلم دون امتلاكهم لأدنى الأدوات العلمية، إنهم يتهوكون من خلال النصوص بما يعزز الاضطراب في المجتمعات.

خامسًا: بالنسبة لموضوع الرؤى والأحلام، هذا علم قدر الله لي أن أخوض به خلال الخمس سنوات الأخيرة، لكن كلمة حق أقولها: لقد وقفت مذهولًا أمام بعض الرؤى، ومتعجبًا بطريقة عرضها لرموز حيوية هامة جدًا، وخرجت بقناعة: علم الرؤى وعلم الوحي هما جزءان لا ينفصلان، إنها مدرسة الصديق يوسف عليه السلام.

لكن للأسف هذا العلم من خلال التأويل الفوضوي خرج عن مساره الحقيقي، وقد أجتهد في هذا الباب العظيم مخرجًا لكتاب متكامل في هذا الفن مستقبلًا، لأنه بالفعل مدرسة العقول الراقية المستنيرة، والتي تحسن قراءة الرموز ووحي السماء عبر الرؤى.

*****

تساؤل عن حديث في الفتن

هذ تساؤل من أحد الأعضاء، أضعه هنا وأجيب عليه بإذن الله:

(ما تقول في طرح يدعي أن المهدي سيظهر وقد حكم الاسلام ولا حاجة لفكرة معاناته تلك.. واستدل بحديث موت الخليفة واختلاف الناس، وان الخليفة ليس

حاكم دوله وانما بمعناه الحقيقي وعليه فلن يظهر الا وقد حكم الاسلام ويكون هناك خليفة يموت فيختلف الناس ليظهر هو؟؟).

الإجابة:

هذا الكلام مبني على حديث: "يكون اختلاف عند موت خليفة..."، وهذا الحديث فهم بطريقة خطأ، فظن البعض أن كلمة خليفة هنا يراد بها خليفة المسلمين جميعًا، ولو كان كذلك لما كانت صيغة الحديث هكذا، بل لكان الحديث يكون اختلاف عند موت الخليفة. لتكون أل التعريف هي أل العهدية التي تدل على خليفة المسلمين، أما كونها نكرة (خليفة)؛ فهي إشارة لملك يتوارث ويخلف بعضهم بعضًا، وليس خليفة المسلمين جميعًا.

كذلك لو اعتبرنا أن هناك خليفة للمسلمين، وانتصار للإسلام وحكم به في الأرض، فكيف نفهم كل الأحاديث التي تشير إلى أن المهدي لا يخرج حتى تملأ الأرض ظلمًا وجورًا!؟ فهل الظلم والجور هو بوجود حكم الإسلام في الأرض، أم بما نعايشه من هرج وقتل، وفرقة وشرذمة، وضياع للحقوق وضياع للعدل والأمن، وقد يتزايد الأمر...

كذلك الفهم السابق يتنافى والحكمة في بعث الإمام المهدي، فإذا كان الحكم إسلاميًا فما قيمة بعث المهدي!؟ أقول: صيغة الحديث وسياقه ودلالات الأحاديث الأخرى كلها تشير إلى فهم غير الذي يطرحه المتسائل.

آية الدخان

والحدث الكوني

آية الدخان والعجب

عندما كتبت كتابي الموسوعة كانت المعضلة الأساسية فيه هو ترتيب العلامات بطريقة علمية تدعمها الأدلة، في تلك المرحلة قبل أكثر من ١٢ عامًا حيث كانت أكثر كتب الفتن والملاحم عبارة عن جمع أكثر من كونها ترتيب صحيح

وفهم متواصل للعلامات، وكانت المعضلة الكبرى أمامي هو فهم المرحلة التي نعيشها، وأي العلامات الكبرى العشر هي الأولى.

لذا جعلت أول فصول الباب الثاني في ملاحقة موضوع العلامات العظام، وتعمقت المعضلة مع آية الدخان التي لم تنل أي جهد من الدراسة، وبعد جهد جهيد في هذا الباب قد لا يتصوره بعض الدارسين، حيث أحيانًا كان الحديث الواحد يستوقفني أشهر حتى أفهم لغزه، المهم توصلت إلى احتمالية قوية أن علامة الدخان هي من أهم العلامات، وهذا الحدث لأهميته تناولته سورة قرآنية حملت نفس اسم العلامة، وكانت مغامرة مني في ربطي بين الحدث الكوني وعلامة الدخان، وليس كما فهم البعض أنها عبارة عن زكام بين يدي الساعة.

وبعد اكتمال الموضوع لدي في قرابة ٧٠ صفحة عن علامة الدخان اعتمدت الموضوع في كتابي، وذلك بعد ملاحقة الموضوع من كل الجوانب للتأكد من مصداقية ما توصلت إليه من نتائج، في حينها كانت غريبة لكنها مقنعة بحسب ترتيبي وأدلتي للموضوع، وكان هو الطرح الأول للموضوع في كل ساحة العلم أو الإنترنت بعد ذلك.

وتمر الأيام وتكتمل الفكرة، ولاحظت الكثيرين يتكلم عن نفس الفهم الذي توصلت إليه، وذلك بعد تقريبًا أربع سنوات من طباعتي للكتاب.

لكن الأهم من ذلك أنني وجدت خلال الأعوام الثلاثة السابقة رؤى كثيرة تربو على ٥٠ رؤية كلها تشير إلى ذات الحدث، وكنت أبحث عن إشارات مهمة ترشدني مزيدًا من الفهم، لكن كل الرؤى كانت تشير إلى ذات الحدث وتفاصيله الدقيقة بطريقة جزئية، بحيث كل رؤية تشير إلى جانب بحيث لو جمعنا كل الرؤى فإنها تعطينا تصور كامل لأمر كتبته قبل ١٢ عامًا، والعجب كل العجب!!

طبعًا حتى بالرغم من وضع مساحة للكذب واختلاق الرؤى، إلا أنه لا يتصور اختلاق كل هذه الرؤى هذا من جهة، أما من جهة أخرى فأنا أعتبر نفسي –والله أعلم– من صيارفة النقد في مجال الرؤى، وكشف الصادقة من المختلقة، لكن حتى لو هذه القدرة غير موجودة؛ فلا يتصور هذا التواطؤ من بقاع الأرض كلها.

لكن ما لفت انتباهي في بعض الرؤى أنها تشير إلى قرب الحدث، وهذا ما يجعلنا أكثر توترًا، خاصة في ظل كذب كثير من التوقعات المطروحة في النت يجعلنا على حذر شديد جدًا حتى لو كان فهمنا صحيحًا، لكن ما بدأت أجزم به لنفسي فقط هو أن الأمر قريب، والعجب كل العجب!!

أخشى أنه قد فار التنور، أو اقترب أن يفور، وهكذا العقوبات مفاجئة، ومن يقرأ أو يتضلع بعلم السنن الربانية، ويفهم المرحلة جيدًا، ويمتلك تصورات واضحة لطبيعة المرحلة قد يصل إلى ما وصلت إليه، لا أريد أن أحدد شيئًا والغيب لا يعلمه إلا الله؛ لكن العلامات المسبقة للحدث في ظني قد اكتملت، وقد نكون في غفلة من أمرنا! هذا الحدث سيكون ما بعده مغايرًا لما قبله، بل القوانين والسنن التي تحكم العالم حاليًا وفق القدر الإلهي ستتغير إلى قوانين أكثر استعصاءً على الإنسان بعدما كانت أكثر استجابة له، لله الأمر من قبل ومن بعد.

بالرغم من أنني أكتب هذه الكلمات وأنا أعلم أنني في مرحلة هي من أشد المراحل ضبابية، إلا أنني شعرت أنني بحاجة لرصد هذا التنبيه، ووضعه في مدونتي، لعل الله يفهم من خلاله غيري، ورب مبلغ أحفظ له من سامع.

الحدث الكوني أو أمر الله قريب منا، قد يختلف ببعض أوصافه لكنه سيكون عظيمًا ومؤثرًا على الكرة الأرضية بأكملها؛ لتبدأ الحياة فيها من خلال دورة جديدة شبيهة

بدورة ما بعد الطوفان، قد يحتمل الأمر سنوات لكنها ليست بعيدة، وللحديث بقية... أو العجب كل العجب ما بين جمادى ورجب!!

سبحان الله! وفق اجتهادي الدهيماء بدأت في رجب، ووفق فهمي الحالي من خلال قرائن متعددة قد تنتهي أو تقارب الانتهاء من خلال أهم أحداثها بين جمادى ورجب، لكن أي جمادى ورجب لا أعلم. الله أعلم.

*****

هل نحن على أبواب الحدث الكوني؟

كتبت عن آية الدخان والحدث الكوني قبل قرابة العشر سنوات، واستندت في دراساتي على النصوص والوحي، ولم أستشعر قرائن تفيد قرب الحدث، لكني أقول الآن أن الإشارات والقرائن المتعددة؛ بل حاولت تتبع أكثر من خمسين رؤيا، كلها تؤيد بمجموعها نفس الفكرة التي طرحتها.

والرؤى جزء من ٤٦ جزء من النبوة، ولئن كانت واحدة أو اثنتان أو أكثر كاذبة أو حديث نفس أو تلاعب شيطان إلا أنها بمجموعها تفيد التواتر بحيث يصعب التواطؤ في نفس الفكرة، وأنا أكرمني الله قدرة جيدة على تأويل الرؤى وكشف الدخيل من الأصيل، عمومًا مجموع الرؤى يشير إلى قرب أمر ما. **هذه القرينة الأولى.**

القرينة الثانية: تسارع الأحداث خلال العشر سنوات، وانكشاف أمور وإرهاصات كنت ذكرتها في دراساتي عزز عندي قرب الحدث.

القرينة الثالثة: الإشارات الدالة على قرب ظهور المهدي، ووفق الترتيب عندي أن المهدي يكون بعد الحدث الكوني.

القرينة الرابعة: كل الدلائل تشير إلى أننا في فتنة الدهيماء، وهذه قرينة قوية على قرب الحدث الكوني وآية الدخان.

القرينة الخامسة: وهي خاصة بي، وهي ذلك الإحساس القوي في داخلي أن فوران التنور (علامة نوح) قد اقترب، وهو الإشارة على بدء الحدث.

القرينة السادسة: وفيها سأكتفي بالآيات: "اسْتِكْبارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ٤٣ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤ وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا".

"فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ". "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ".

"هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ١٥٨ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ١٦٠ قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفًا وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ

إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ١٦٢ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١٦٣ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١٦٥".

هذه الآيات تحتاج إلى تدبر، ففيها من الأسرار الكثير، وما يعقلها إلى العالمون.

*****

الحدث الكوني وآيات القرآن الكريم

آيات بحاجة إلى قراءة جديدة

القرآن الكريم جاء ليستوعب الزمان والمكان، وهو في ثناياه يحمل أسرارًا غير متناهية تتعلق بالمسيرة الإنسانية عبر التاريخ، وفي كل زمان يكشف القرآن عن خباياه وإشاراته العظيمة، وكما أن للسموات والأرض مقاليد (الكتاب المنظور)، كذلك للقرآن مقاليد ومفاتيح من علمها أدرك أسرار المرحلة بدقة، وقد جاءت الآيات صريحة بأن هناك كثير من الآيات لم يأت تأويلها بعد، يقول الله ﷻ: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ" [الأعراف٥٣].

يوم يأت تأويله؛ أي ذلك اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق الدالة عليها الآيات، وهذا باب مستقبلي مفتوح إلى ما بعد قيام الساعة، وكلما رأينا حقيقة أرشدت إليها آية يكون بذلك قد حصل تأويلها الحقيقي.

وبخصوص علامات الساعة الكبرى، خاصة آية الدخان التي تعتبر عندي هي القيامة الصغرى؛ فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم ترشد إليها، وهذا الآيات تم تفسيرها بشكل عام بعيدًا عن الحاضنة الحقيقية لأحداث هذه الآيات، وهنا أذكر بعض الآيات التي تشير إلى هذا الحدث العظيم، وهي ما زالت عندي محل اجتهاد وفهم.

سورة الأنعام:

يقول الله ﷻ: "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" [الأنعام٦٥].

هذه الآية تضمنت أشكالًا من العقوبة، في الأثر عن كعب أن هذه العقوبات حاصلة في الأمة، وقد وقع الإلباس شيعًا وذاق بعضنا بأس بعض، وبقيت اثنتان: العذاب الفوقي (النيزك والحاصب والكسف)، والعذاب التحتي الخسوفات.

يقول الله ﷻ: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ" [الأنعام١٥٨].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن حدث جوهري يتعلق ببعض آيات الله الكونية، ولهذا الآيات تأثير جوهري على الإنسانية، حيث لا ينفع أي نفس إيمان ما لم تكن آمنت من قبل، وقد أرشد النبي ﷺ إلى بعض هذه الآيات في آثار متعددة، ذكر منها الدجال والدخان وشروق الشمس من مغربها.

سورة يونس:

في سورة يونس جاءت الإشارة إلى حقيقة الحياة الدنيا من خلال مثل، لكن هذا المثل ليس عامًا بل هو مثل خاص، يمثل مرحلة معينة تتعلق بالعقوبة الربانية المفاجئة التي ستصيب الكرة الأرضية بمجملها، وهذا المثل مغاير لمثل الحياة الدنيا في سورتي الكهف والحديد.

يقول الله ﷻ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [يونس٢٤].

هذا المثل ختم بأنه لأهل التأمل والتفكر، فهو آية مفصلة لهم تحكي مرحلة زمانية لها خصائص محددة:

١- تأخذ الأرض زخرفها.

٢- تتزين بأبهى صورها، وتعطي أعظم ثمرتها، وتكون في أعلى درجات بهجتها قياسًا لتاريخ البشرية.

٣- إحساس الإنسان باستغنائه عن السماء، واستشعاره بقدرته الخاصة في التحكم بالأرض ومقدراتها كيف يشاء.

وهذه المواصفات الدقيقة لا يخفى على كل ذي لب أنها تحققت في زماننا بكامل عناصرها، وبالفعل الأرض وتزينها، والقدرات الإنسانية في التحكم والإنتاج والسيطرة لم يتحقق كما هو في هذا العصر التكنولوجي، بحيث لو جاء رجل قبل مائتي عام ونظر لحالنا لظن أن ما نحن فيه هو أشبه بحالة سحر، وأن ما يراه كأنه جنة مصغرة.

والمثل بين أن الأرض وهي في كامل زينتها، والإنسان وهو في كامل غروره وطمأنينته لقدرته؛ يأتيها أمر الله فجأة، والأمر عام يشمل الكرة الأرضية لأن الآية استخدمت العطف بين الليل والنهار في أمر الله، بمعنى أن الحدث أو أمر الله سيصيب ما بلغ الليل والنهار في ذات اللحظة، لذا تكون الضربة في حق البعض نهارية وفي حق البعض الآخر ليلية، مما يشير إلى أن الضربة أو الأمر سيكون عامًا على كل الأرض في ذات اللحظة.

سورة سبأ:

يقول الله ﷻ: "أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ" [سبأ٩]، هذه الآية تشير إلى التهديد بالكسف والربط بين الحدث وبين ضرورة الاتعاظ والإنابة، ويقول الله ﷻ: "وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ" [سبأ٥١]، وهذه الآية تشير إلى الصيحة وإلى الخسف وهو الأخذ من مكان قريب.

سورة النحل:

يقول الله ﷻ: "أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [النحل١]، "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"، [النحل٣٣]، "وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [النحل٧٧].

هذه الآيات الثلاثة تحكي عن ذات الحدث، والأمر المذكور في سورتي الأنعام ويونس.

أما عن هذا الأمر فهو يفرق في ليلة مباركة:

في سورة الدخان يقول الله ﷻ: "فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ" [الدخان٤]، وبعد هذه الآية جاءت الإشارة إلى الأمر بقوله ﷻ: "بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦".

سورة الإسراء:

هذه السورة أشارت إلى أن النبي ﵇ قد هدد بنزول كسف من السماء، مما يشير إلى أن الفكرة كانت مطروحة؛ لكن توقيتها علمه عند الله يقول الله ﷻ: "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلًا" [الإسراء٩٢]، بل الآية تربط بين حدثين هما نزول الكسف ومجيء الملائكة.

مما يشيران بوضوح أنه ذات الأمر الذي أشارت إليه سورتي الأنعام والنحل، وأن الفكرة كانت حاضرة في دعوة النبي صاحب الرسالة الأول ﷺ؛ وأن الكفار اعتبروها زعمًا من النبي عليه السلام، والنبي لا يقول إلا الحق ولا يهدد إلا بالحق؛ لكن التوقيت لأمر الله هو لله وحده. فالتهديد كان مستقبليًا من النبي عليه السلام.

سورة الطور:

أما سورة الطور فقد كشفت جزء من الأمر وطبيعته، وبعض الأحداث المتعلقة به، وهي الربط بين الكسف وحالة الدخان العظيم والسحاب المتراكم، مما يشير إلى أن نزول نيزك يترتب عليه دخان عظيم يلف الكرة الأرضية، وهذا ما أثبته العلماء، يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذكر حال البشرية من خلال ١٥ استفهام استنكاري لحالهم؛ يقول الله سبحانه وتعالى: "وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ" [الطور ٤٤].

سورة النجم:

وهي السورة التالية للطور أي بعد آيات قليلة من الطور جاءت الإشارة إلى نجم يهوي، والإشارة إلى نذير من النذر الأولى وهو الآزفة أي القريبة، أو القيامة الصغرى قبل البطشة الكبرى وهي آية الدخان، وبعد الآزفة جاءت الإشارة إلى اقتراب الساعة وانشقاق القمر، ثم الإشارة إلى مهالك الأقوام السابقة...

هذا كله بترتيب عجيب وترابط حكيم يقول الله ﷻ: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ٢"، ثم في ثنايا السورة جاء التذكير بمهالك القوم، وذكر الشعرى وهو نجم، ثم بين هلاك عاد الأولى الموحي بقرب هلاك عاد الثانية أو الآخرة: "وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٥٠".

والذي أهلك عادًا الأولى قادر على أن يهلك عادًا الآخرة، لذا جاءت الآيات مباشرة للتذكير بنذير هو من النذر الأولى للساعة، أو الإنذار الأولي للساعة أو ما قبل البطشة الكبرى، يقول الله ﷻ: "هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ٥٦ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠".

هذا النذير من النذر الأولى، هو الذي يكون قبل الساعة، وهو الآزفة أي القريبة أو الحد الأقرب للساعة، وهو ما قبل البطشة الكبرى، أما عن توقيته فهذا فصلت به سورة الإنذار الأولى، وهي سورة المدثر وقم فأنذر، يقول الله ﷻ: "كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧".

هنا الآية أقسمت بالقمر الذي ارتبط باقتراب الساعة في سورة القمر، ثم حددت التوقيت للحدث الذي يعتبر إحدى الأمور الكبر أو العلامات الكبر([1])، وهو عندما يدبر الليل ويسفر الصباح، أي الحدث أو الأمر سيقع بعد الفجر بعد إسفار الصباح...

ولعله نفس الموعد والتوقيت الذي أصاب قوم لوط بالرجم السماوي، يقول الله ﷻ: "قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

[1] يرى المفسرون أن إحدى الكبر هي سقر، وهذا الرأي في ظني ليس دقيقًا.

بِقَرِيبٍ" [هود٨١]، وكأن سنة العقاب بالرجم من السماء التي حصلت ضمن توقيت معين مع قوم لوط هي ذاتها ستتكرر في ذات التوقيت.

عمومًا: هذه مفاتيح كتبتها هنا على عجالة، وإلا الأمر يحتاج إلى دراسة متأنية للقرآن الكريم واكتشاف أسراره، خاصة فيما يتعلق بالأحداث المستقبلية، والأمر أوسع مما ذكرت هنا؛ لكنها إشارات سريعة تساعد في فهم المرحلة وتثوير القرآن الكريم.

*****

الطارق وآية الدخان

القرآن العظيم، كتاب الله من أوصافه أنه كريم وكرمه لأصالة جوهره، وكيف لا يكون كذلك وهو من عند الله، وكونه كريم أي إذا سألته يعطيك فهو عنوان للعطاء بلا حدود، وهو قرآن مجيد، والمجيد يشير إلى ديمومة العطاء في كتاب الله، من هذا الوجه القرآن الكريم حمال لأوجه عدة لكي يؤتي عطاءه في كل زمان ومكان، وبما يفوق الزمان والشخوص والمكان؛ فهو كتاب مطلق من لدن حكيم خبير، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا تنتهي عجائبه ولا تشبع منه العلماء.

وكما أن لكل زمان وعيه، فقد جاء الكتاب المهيمن ليخاطب كل زمان بحسب وعيه، وليفوق حتى الأفهام وما أوتيت من وعي، على سبيل المثال: يقول الله ﷻ: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ" [الواقعة٧٥]، هذه الآية فسرها السابقون بأنها تشير إلى ساعات سقوط النجوم ومغيبها، وبعضهم فسرها بالشهب التي تصيب الجن المتلصص.

وعندما زاد علم الإنسان ووعيه في عصرنا، وانتبه الإنسان أن النجم الذي يراه في السماء لا يشير إلى النجم حقيقة، بل إلى موقعه في ذلك المكان المرئي فيه قبل آلاف السنين بحسب بعده الضوئي عنا، وقد يكون النجم حاليًا قد انفجر او اندثر أو غير مكانه، فما نراه هو موقع النجم في الماضي، وليس النجم على حقيقته في لحظة الرؤية، فهذا معنى تراءى للعلماء بحسب مستوى العلم والوعي.

ولا تقف الآية هنا بل النجوم أيضًا هي الآيات المنزلة، فالقرآن الكريم نزل منجمًا أو نجومًا، ووفق هذا التأويل مواقع النجوم هو مواطن نزول القرآن الكريم، حيث أن كل مكان نزل به القرآن الكريم هو إشارة إلى خروجه من عالم الغيب إلى عالم المشاهدة لأول مرة، وقد يتسع المعنى لتكون مواقع النجوم أيضًا هي المواطن والأحداث التي تحكي تأويل القرآن أو آياته المنجمة، فهناك جزء من القرآن الكريم لما يأت تأويله بعد.

وهكذا نجد أن الدلالات تتسع بحسب الفهم للآية، وبحسب مستوى الوعي، وبحسب ما يفتحه الله على عباده الملهمين من دلالات لكتابه الخالد الذي وصفته الجن بأنه (قرآنًا عجبًا).

وفي هذا المقالة تجول بصائرنا في دلالات سورة الطارق، بحسب ما فهمنا من معاني جديدة ترشد لها السورة، وهي تضفي عمقًا جديدًا لما فهمه الأولون من دلالتها.

يقول الله ﷻ: "وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨" [الطارق].

هنا أقسم الله بالسماء والطارق، ثم جاءت الآية التي بعدها لبيان ما هو الطارق؛ بأنه النجم الثاقب، فما هو الطارق؟ الطارق كلمة تستخدم لكل ما يطرق ليلًا، ولا يكون الطارق في النهار، وفي الدعاء: (ونعوذ بك من طوارق الليل).

وقد بينت الآية المقصود بهذا الطارق الليلي أنه نجم ثاقب، وقد استخدمت الآية صيغة التعظيم لأمر هذا الثاقب، أي هو طارق عظيم الشأن رفيع القدر. والمفسرون القدامى اختلفت آراؤهم في المراد به، يقول الماوردي: "وفي قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) ستة أوجه: أحدها: المضيء، قاله ابن عباس. الثاني: المتوهج، قاله مجاهد. الثالث: المنقضّ، قاله عكرمة. الرابع: أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها، قاله الفراء. الخامس: الثاقب؛ الشياطين حين ترمى، قاله السدي. السادس: الثاقب في مسيره ومجراه، قاله الضحاك. وفي هذا النجم الثاقب قولان: أحدهما: أنه زُحل، قاله عليّ. الثاني: الثريّا، قاله ابن زيد" ([1]).

ويشير ابن عاشور إلى معنى الثاقب بقوله: "وَالثَّقْبُ: خَرْقُ شَيْءٍ مُلْتَئِمٍ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِظُهُورِ النُّورِ فِي خِلَالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. شَبَّهَ النَّجْمَ بِمِسْمَارٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَظُهُورَ ضَوْئِهِ بِظُهُورِ مَا يَبْدُو مِنَ الْمِسْمَارِ مِنْ خِلَالِ الْجِسْمِ الَّذِي يَثْقُبُهُ مِثْلَ لَوْحٍ أَوْ ثَوْبٍ. وَأَحْسَبُ أَنَّ اسْتِعَارَةَ الثَّقْبِ لِبُرُوزِ شُعَاعِ النَّجْمِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْقُرْآنِ. وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُهُ ﷻ: فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ" ([2]).

هذه المعاني التي طرحها المفسرون في معنى النجم الثاقب، وضعتها لنعود مرة ثانية للآيات لبيان المراد بهذا الطارق الذي أقسم الله به. فهو ليس نجمًا عاديًا كما تشير الآيات، وتفريده إشارة إلى أنه يقصد به شيء بعينه، والثقب لم يستخدم في

---

[1] الماوردي: النكت والعيون (٦/٢٤٦).
[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٩).

القرآن إلا إشارة إلى الشهاب الذي يثقب الغلاف الجوي، ويرصد جنيًا فيحرقه أو يطرده من تخوم السماء.

لكن هنا لم تكن الإشارة إلى شهاب بل إلى نجم ثاقب يشتد توهجه عند ثقبه للغلاف الجوي، وكما ذكرت أن ذكره هنا مفردًا وبعيدًا عن موضوع تلصص الجن على أخبار السماء؛ يشير صراحة إلى أن المقصود به مهمة أخرى غير مهمة الشهب الثاقبة.

ونلحظ أن ختام فقرة الطارق انتهت بقوله ﷻ: "إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ"، فما هو الذي حفظ كل نفس هنا؟ يقتضي السياق أن تكون الأعمال خيرها وشرها هي الحافظة للإنسان، مما يشير إلى أن هذا الثاقب مرتبط بالهلاك وأنه لحظة حصاد مقدرة، أما الحفظ فهو حالة تخصص في ظل حالة عامة؛ وهذه الخاتمة تشير بوضوح إلى أن هذا الطارق له تعلق بأمر حيوي عام يصيب الأرض، ويحفظ فيها أهل الله على وجه الخصوص، أو الذي يحفظ إنما يحفظ بحسب أعماله السابقة التي قدمها بين يدي هذا الأمر.

فوجود حافظ على كل نفس وهو ما قدمت من عمل؛ يشير تمامًا إلى أن الطارق هنا لا يراد به شيئًا هينًا أو إشارة لكواكب السماء فقط، بل فيه إشارة لنجم أو نيزك عظيم يثقب الغلاف الجوي فيتوهج خلال ثقبه لها، ثم يثقب الأرض كالمسمار عند اصطدامه بها، فهذه المعاني يرشد لها السياق بقوة وتدل المعاني عليها، لذا استحق هذا النجم القسم به هنا لأنه متعلق بحدث عظيم يطرق الأرض جميعًا.

وهذا المعنى وإن لم يتوسع به المفسرون، بالرغم من أن الدلالة اللغوية ترشد إليه بقوة، بل سياق السورة كلها يرشد إليه، وفي ظني أن الأوائل أو بعضًا منهم كان عندهم تصور مبدأي للحدث؛ لكن ترك تأويله لزمانه، ويرشدني إلى ذلك هذا الحدث

مع ابن عباس ﷺ، عن عبد الله بن مليكة قال: غدوت على ابن عباس ﷺ ذات يوم، فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع النجم ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت». ([١]).

إذًا الحديث يشير إلى نجم ذو ذنب، وفيه خشية ابن عباس من هذا الطارق بقوله: "فخشيت أن يكون الدخان قد طرق..."، وهذا حديث صحيح عن ابن عباس، وفيه إشارة جميلة تربط بين الطارق وبين النجم ذو الذنب وبين آية الدخان.

وقد جاءت سورة الطارق لكي ترشد لهذا النجم الثاقب، الذي سيطرق سماء الأرض ليلًا ويثقب أرضها ويدقها كالمسمار، فالطارق معناها في أصل اللغة من الدق؛ لذا يسمى الشي الذي ندق به بالمطرقة لهذا المعنى. فالكلمة جاءت بدلالات عظيمة ترشدنا للهدة وللثقب، وللدق وللطرق ليلًا، وللتوهج الشديد (الثقب) عند دخول الغلاف الجوي، فكل هذه المعاني أرشدت لها دلالات كلمات السورة بقوة، مع ما تحمله من تعظيم للحدث بقوله ﷻ: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ".

فهذا المعنى ترشد له الآيات بقوة، ومن تتبع سياق سورة الطارق يجد كل آية ترشد لذلك؛ بحيث تكون هذه السورة هي تتمة لنفس الحدث الذي أرشدت له كل من سورة النجم والطور المتعلقة بنزول كسف أو نجم يهوي نحو الأرض.

ولكي يتضح لنا الأمر نلاحق مدلول السورة كاملة لنجد مدى التلاحم والتلازم في دلالاتها التي توصف لنا هذا الحدث العظيم. يقول الله ﷻ بعدما أشار إلى النجم الثاقب: "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧" [الطارق]. هذه الآيات مباشرة جاءت بعد آيات النجم الثاقب، لكن ما وجه العلاقة بين النجم الثاقب وخلق الإنسان؟ العلاقة في أربعة معاني:

---

[١] أخرجه الحاكم في الفتن، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي [المستدرك (٥٠٦/٤)]؛ وذكره ابن كثير بسنده في تفسيره، وقال عنه: هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. [التفسير (١٤٢/٤)].

١- نلحظ المشابهة العجيبة بين اختراق النيزك للغلاف والكرة الأرضية، وبين اختراق الحيوان المنوي للبويضة، ومن ينظر في تصوير تلفزيوني دقيق لعملية الاختراق يجد مدى التشابه، بل نلحظ أن الحيوان المنوي له ذيل يجري خلفه، وكذلك النيزك يكون له ذيل من الدخان يجري خلفه، فهناك تشابه قوي بين الأمرين.

٢- دخول الحيوان المنوي داخل البويضة إنما يشير إلى دورة حياة جديدة ستبدأ بهذا الدخول، وكذلك النيزك وإن كان يحمل معنى الهدم والهلاك من أوجه إلا أنه يمثل دورة حياة جديدة للأرض، قد تكون أحوج ما تكون إليها.

٣- الحيوان المنوي المختار هو واحد من ملايين الحيوانات السابحة، والنيزك المختار هو واحد من ملايين النيازك السابحة في السماء.

٤- نلحظ من الآيات التالية أنها مزجت بين الفكرتين: فكرة خلق الإنسان وإرجاعه وفكرة النيزك، أو ما ترجعه السماء وتتصدع به الأرض، وفي كلٍ تبلى السرائر ولا يكون للإنسان من قوة ولا ناصر، سواء يوم البعث حال رجوع الإنسان أو حتى عند رجوع السماء بنيزكها الصادع

يقول الله ﷻ: "إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤" [الطارق]، فما هي السماء ذات الرجع!؟ وما هي الأرض ذات الصدع التي يعتبر حدثها من باب القول الفصل!؟

هنا سأسوق أقوال العلماء ثم أرشد للدلالة المناسبة منها، يقول الماوردي: "(والسماءِ ذاتِ الّرجْعِ) فيه أربعة أقاويل: أحدها: ذات المطر؛ لأنه يرجع في كل عام، قاله ابن عباس. الثاني: ذات السحاب؛ لأنه يرجع بالمطر. الثالث: ذات

الرجوع إلى ما كانت، قاله عكرمة. الرابع: ذات النجوم الراجعة، قاله ابن زيد. ويحتمل خامسًا: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد" ([1]).

إذًا هذه معاني رجع السماء، ونلحظ في القول الرابع لعكرمة أنه اعتبرها الراجعة بالنجوم، والخامس ربطها بالملائكة وكلا المعنيين لدي مهمان في الموضوع، وفي ظني أن تأويلها بالمطر والسحاب محتمل، لكنه بعيد رعاية للسياق العام في السورة بأكملها.

أما الأرض ذات الصدع فيقول الماوردي: "(والأرضِ ذاتِ الصّدْعِ) فيها أربعة أقاويل: أحدها: ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله ابن عباس. الثاني: ذات الأودية؛ لأن الأرض قد انصدعت بها، قاله ابن جريج. الثالث: ذات الطرق التي تصدعها المشاة، قاله مجاهد. الرابع: ذات الحرث لأنه يصدعها. ويحتمل خامسًا: ذات الأموات، لانصداعها عنهم للنشور" ([2]).

وأرى أن هذه التأويلات كلها نظرت للمعنى اللغوي لكلمة الصدع التي تحمل معنى التشقق، وهذا يتصور مع ظاهرة النبات والحرث والأودية بحسب التفسير، لكن السياق العام للسورة قد يرشد لمدلول آخر، وإذا كانت السماء ذات الرجع بحسب عكرمة أي ذات النجوم الراجعة؛ فيقابلها ذات الصدع أي المتصدعة بسبب تلك النجوم الراجعة.

مما يشير إلى أن ظاهرة سقوط نيازك عظيمة على الأرض كانت في الماضي وهذا ثابت علميًا، ورجع السماء بها بما يحدث تصدع في الأرض؛ هو ما يرشد له السياق العام للسورة، والوحدة الموضوعية التي تهيمن عليها من بدايتها التي ارتبطت بالنجم الثاقب.

---

[1] الماوردي: النكت والعيون (٦/٢٤٨).
[2] الماوردي: النكت والعيون (٦/٢٤٩).

كذلك نلحظ في السورة أنها بدأت بالسماء والطارق، وختمها الله ببيان كيد الكائدين مقابلة بكيده وإمهاله؛ مما يشير صراحة إلى الترابط بين صدر الآية ونهايتها يقول الله ﷻ: "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ١٧".

فالسورة التي بدأت بالحدث العظيم وهو النجم الثاقب، أي بدأت بلحظة الحسم، جاء في آخرها إلى بيان أنه يسبق الحدث أو وقوعه كيد عظيم لم يبين الله أصحابه وتركه على عمومه ليشمل كل كيد متصور، وقابله بكيده الذي يحيط بالكافرين ويأتيهم من حيث لا يدركون.

*****

الآية مع الشمس

يقول الله ﷻ: "إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" [الشعراء٤]، هذه الآية الكريمة جاءت في صدر سورة الشعراء، ومن اعتبر طسم قسم اعتبر أن المقسم به هو هذه الآية الكريمة.

والآية جاءت في معرض طلب الكفار لآية من السماء وهذا الطلب مذكور في كثير من الآيات في كتاب الله ﷻ، والآية أسندت نزول الآية للمشيئة الإلهية. بمعنى أن الآية التي طلبها الكفار مرجعها الحكمة الإلهية التي تقدر الوقت المناسب

لحدوثها، وكونها بينت الآية والأثر المترتب عليها إشارة قوية إلى أن هذه الآية حادثة عبر الزمان قبل قيام الساعة.

وسياق الآية ينوع في الأزمنة من الاستقبال للماضي، فقد بدأت بصيغة الاستقبال: "إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ" هنا للاستقبال، لكن جاء الجواب بصيغة الماضي: "فَظَلَّتْ"، بمعنى أن الآية إذا حصلت وفق المشيئة؛ تكون أسرع مما يتوقع الإنسان، بحيث لسرعة حصولها تكون كأنها من الماضي الذي يترتب عليه مباشرة خضوع الأعناق.

وإسناد الخضوع للأعناق من باب المجاز العقلي؛ لأن الخضوع يكون لأصحاب الأعناق، لكن استخدام الأعناق هنا لأنها موطن الشموخ والصلابة، لذا ارتبط الخضوع بها من باب اللين والتطامن والسكون ذلًا وانكسارًا، فهو خضوع طبع وليس مبنيًا على التأمل، وذلك لعظمة الآية التي يرون. فالأعناق الخاضعة هي إشارة لحال الخائف المنقاد الذي يخشى أن تصيبه قاصمة تقصم رأسه، فهو يطأطئ رأسه ويحنيها اتقاءً لنزول المصيبة عليها.

هذا المعنى العام للآية، لكن تفصيل ذلك هو أن الآية أشارت لحالة خاصة تتعلق بطبيعة هذه الآية السماوية المفاجئة والغير معهودة والمخوفة، وهنا تتدخل الأعناق بحالة انقياد في النظر لهذه الآية، فالذي يحدد اتجاه البصر هو العنق فحركته تحدد مسار البصر، خاصة إذا كان توجه البصر إلى أعلى، وعظمة الآية تجعل الأعناق خاضعة لهذه الآية انبهارًا بها وخوفًا من آثارها، أنهم يتسمرون في أماكنهم نظرًا لهذه الآية، وقد انقادت لها الأعناق خوفًا وانبهارًا بشكل لا إرادي.

والتوصيف الأخير في نظري هو الأدق في فهم الآية؛ لأن الآية المنزلة سماوية، ويحتمل أنها كشيء غير معهود تبقى في السماء، هنا تلتف الأعناق نحوها

لكي تبصرها، وهي في حالة انقياد تام وخوف وانبهار لا إرادي، مما سيتبع هذه الآية غير المعهودة من نتائج.

أما الذي جعل بعض المفسرين يفسر خضوع الأعناق يراد بها تنكيسها وانكسارها؛ هو بالنظر للأثر المترتب على تلك الآية، لكن خضوع الأعناق للآية نفسها وليس منها، هنا قرينة قوية ترشد إلى أن الأعناق تنقاد لهذه الآية انبهارًا لها وخوفًا منها. إنها توحي بالتسمر في المكان وتصلب الأعناق نحو هذه الآية، نظرًا إليها وخوفًا منها ومن آثارها.

واستخدام لفظة (ظلت) هنا إشارة إلى طول الأمر وجلالته، وهيبته وعظمة المفاجأة به، فهي آية غير معهودة تحمل وراءها معاني كثيرة تفوق التصورات. هذه الدلالات السريعة لهذه الآية المقيدة بالمشيئة، لكن ما هي هذه الآية!؟ لم تصرح الآيات بطبيعتها إلا أنها سماوية، تتنزل من جهة السماء بشكل غير معهود، والآيات السماوية دائمًا تشير إلى حدث عظيم له ما بعده.

أما لماذا تم طرح هذه الآية في سورة الشعراء على وجه الخصوص!؟ فهذا راجع لطبيعة سورة الشعراء، فهذه السورة تميزت بعدة أمور مهمة جدًا:

١- أنها بدأت بهذه الآية المستقبلية كتهديد مستقبلي لحالة من الكفر والتكذيب والصدود، وهي تشير إلى عقوبة مستقبلية حادثة ختمت بأول لاحقة متكررة وهي قوله ﷻ: "وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" [الشعراء٩]، وهذه اللاحقة استمرت خلال سياق السورة كاملة، بعد الإشارة إلى حالات هلاك وقعت مع الأمم السابقة، من خلال قصص موسى وإبراهيم ونوح ولوط وثمود وعاد ومدين، سبعة أقوام أهلكها الله بعد تكذيبها لأمر الله، وانتهت كل قصة بنفس اللاحقة: "وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" [الشعراء٩].

فهو عزيز منيع يمهل المكذب والظالم لكنه لا يهمله بل يأخذه بالعذاب الأليم، وهو رحيم بعباده الصادقين لا يتركهم تحت سطوة أهل الظلم وطغيانهم وجبروتهم، بل تنالهم رحمته فتكون العقوبة نفسها من باب العزة في حق الكافرين والرحمة في حق المؤمنين. ووجود هذه اللاحقة بعد الآية الرابعة في السورة والتي تشير إلى الآية السماوية؛ قرينة قوية إلى أن هذا الحدث واقع بإذن الله من باب العزة والرحمة، شأنه شأن تلك العقوبات التي فصلت بها السورة.

فسياق سورة الشعراء كله في إشارات واضحة لأمرين: تكذيب ثم عقوبة مستقبلية، مقيدة بالمشيئة والحكمة الإلهية المقدرة للظروف والوقت المناسب، وهذه العقوبة تأتي من مقام العزة والرحمة الإلهية، ثم سبع عقوبات حصلت في الماضي خضعت لذات السنن.

٢- نلحظ أن سورة الشعراء بدأت بهذه الآية السماوية المستقبلية، كعقوبة عظيمة تظل لها الأعناق خاضعة، وكأنها الموضوع الحيوي الأساسي التي سيقت له السورة، ثم بعدها بدأ التفصيل في سبع عقوبات في الماضي تتضمن نماذج متعددة، وعقوبات لأسباب شتى، يهيمن عليها كلها ظاهرة التكذيب والكفر، إضافة لفواحش ومظالم وطبائع خاصة لكل أمة؛ فعندنا النموذج الفرعوني وعندنا النموذج الثمودي والعادي، وعندنا فواحش قوم لوط ومظالم قوم مدين الاقتصادية وطغيان قوم نوح.

سبع نماذج تفصيلية جاءت كلها بعد ذكر الآية العظيمة المستقبلية، والتي ظاهرها أنها آية عامة عظيمة على مستوى البشرية كلها، وكأن هذه النماذج التفصيلية جاءت لتحكي طبيعة بشرية استوعبت كل العلل السابقة، ففيها فاحشة قوم لوط وطغيان قوم نوح، وتحايل قوم مدين في الجوانب الاقتصادية واستكبار فرعون، وتعالى قوم عاد وثمود.

فكما أن كل عقوبة في الماضي استوعبت نموذجًا من هذه النماذج؛ جاءت العقوبة المستقبلية لتستوعب هذه النماذج كلها مرة واحدة في عقوبة واحدة، وإن ربك لعزيز رحيم. وهذا المعنى يذكرني بسورة الإسراء التي ذكرت عقوبتين بين الوصايا العشر واحدة في الماضي كعقوبات عامة وسنة ماضية، وأخرى في المستقبل كعقوبة عامة يقول الله ﷻ: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا" [الإسراء١٧].

فهنا إشارة إلى العقوبات في الماضي، واستخدام كلمة (كم الخبرية) هنا إشارة للكثرة، ولسننية العقوبة الماضية على مدار التاريخ، ثم بعد هذه الإشارة دخلت الآيات في الوصايا العشر، التي نزلت في الكتاب الأول على موسى عليه السلام، وهي الوصايا المنجية للأمم، ثم بعدها جاءت الإشارة إلى العقوبة المستقبلية بقوله ﷻ: "وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا" [الإسراء٥٨].

فهذه الآية تضمنت عقوبة عامة على مدار كل البشرية، بحيث تنال القرى كلها نصيبها منها كل حسب جرمه، فالسياق هنا في سورة الإسراء شبيه بالسياق في سورة الشعراء، مع فوراق بسيطة هي أن العقوبة المستقبلية كانت هي في بداية الشعراء، ثم بدأ التفصيل في العقوبات في الماضي، أما في الإسراء فجاء التذكير بالعقوبات في الماضي ثم بعد ذلك جاء بيان العقوبة المستقبلية.

والعمومية في سورة الإسراء وربط الحدث بقبل يوم القيامة؛ إشارة إلى آية عظيمة تستوعب الكرة الأرضية قبل الساعة، ولعلها إشارة إلى بداية الآيات العظام العشر، والتي من أهمها آية الدخان، وهي أيضًا آية سماوية: "يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ"، فهل هي الآية نفسها التي تظل الأعناق لها خاضعة!؟

الاحتمال قوي جدًا، خاصة أن آية الدخان تبرز حال البشرية وهي تقول: "رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ"، فالحدث قبل يوم القيامة كما في سورة الإسراء؛ وهو آية عظيمة تخضع لها الأعناق كما في سورة الشعراء، وفي سورة الدخان بيان أنه يراد به أحد العلامات العظام وهي آية الدخان.

يأتي تساؤل مهم هنا، ما هي هذه الآية التي تخضع لها الأعناق!؟ لم يأت ذكر لآية في الآثار إلا لآية عجيبة تكون بين يدي المهدي عليه السلام، وهي عن علي بن عبد الله بن العباس قال: «لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية» ([1]).

وهذا الأثر الصحيح استوقفني كثيرًا، فالآية هنا تكون مع الشمس، وهذا لا يتصور إلا إذا كانت الآية نهارية، وإلا لو كانت ليلية لقال مع القمر. وهذا يشير إلى وضوح هذه الآية حتى في وضح النهار، بحيث تكون جلية واضحة مع الشمس نفسها، وهذا أمر يدعو للعجب، فهل هي انفجار نجمي يصدر ضوءًا كالشمس، ويصبح كأنه شمس ثانية في لمعانه!؟ السياق يرشد لذلك بقوة. هل هو نيزك كبير جدًا، ويكون ظاهرًا لنا في كبد النهار من جهة أخرى غير جهة القمر، بحيث يتبدى ظهوره للناس في وضح النهار!؟ أيضًا الأمر محتمل.

هل هذه الآية التي تطلع مع الشمس هي ذاتها الآية التي ينزلها الله فتظل الأعناق لها خاضعة!؟ الأمر محتمل جدًا، وطلوع آية مع الشمس ليس بالأمر السهل الهين، بل هذا الأمر وحده كفيل بإفزاع البشرية كاملة، وبث الخوف فيها انتظارًا لما سيأتي المسكونة من أحداث بسببه.

ونلحظ أيضًا أن هناك قرينة أخرى تشير إلى انتشار الزلازل أيضًا مع خروج المهدي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله عليه السلام: "أُبَشِّرُكُمْ

---

[1] أخرجه عبد الرازق في مصنفه برقم ٢٠٧٧٥ (٢٧٣/١١)؛ ونعيم في الفتن برقم ٩٠٥ (٢٣٠)؛ وقال عنه البستوي: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات [البستوي: المهدي المنتظر (٢٢٠)].

بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا" ([1])، فالزلازل هي أثر طبيعي لدخول أي جرم سماوي في المعادلة؛ لما يترتب عليه من اختلال في الميزان الأرضي.

* * * * *

الهدة والصيحة والحدث الكوني تجميع الخيوط

هذا موضوع نناقش فيه الأمور بهدوء، نحاول أن نجمع من خلاله الخيوط الخفية التي قد تشير إلى أمور مستقبلية، فقد طرحت موضوعًا بعنوان مهمة ملائكية خاصة، تحدثت خلاله عن المهمة الوحيدة في القرآن الكريم التي نزل فيها الملائكة لتحقيق بشارة وتنفيذ نذارة، وهي قصة الملائكة التي نزلت على إبراهيم عليه السلام وبشرته بالغلام العليم، وفي ذات الوقت ذهبت لإهلاك سدوم قوم لوط.

وقد ذكرت أن هذه المهمة ستتكرر، وهذا كلام لم أقله اعتباطًا، بل فهمًا للسنن وملاحقة للقرائن المتعددة. لكن أترك موضوع المهمة الملائكية وأذهب لموضوع الحدث الكوني، وهو موضوع لاحقته خلال سبعين صفحة متكاملة، طرحت الموضوع من جميع جوانبه، وربطت بين نزول نيزك وآية الدخان المذكورة في القرآن الكريم.

[1] أخرجه أحمد برقم ١١٣٣٢ (٤٦/٣)؛ قال الهيثمي: رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات [مجمع الزوائد (٣١٤/٧)].

نأتي الآن لمسألة ارتطام نيزك أو كويكيب في الأرض، وحتى لا أسرح بعيدًا أريد أن أذكر بأقرب نيزك صغير ارتطم في الأرض قبل سنتين، وهو النيزك الذي سقط في روسيا وكان يزن عشرة أطنان (وزن خفيف جدًا قياسًا لغيره)، المهم هذا النيزك اخترق الأرض بسرعة ٤٤ ألف ميل في الساعة، سرعة جنونية تحقق صوتًا شديدًا وارتطامًا قويًا، ولكن نظرًا لخفته كان آثاره محدودة.

فنزول نيزك كبير بمثل هذه السرعة؛ يحقق هدة قوية في الأرض، وصوتًا وتفريغًا هوائيًا ضخمًا جدًا، والأمر نسبي يتعلق بحجم النيزك وسرعته.

هذا ينقلنا للآثار التي تربط بين الصوت والهدة، وهي آثار ضعيفة، حتى لو حسن البعض أحدها إلا أنني سأنظر إليها إلى أنها كلها آثار ضعيفة، لكن يستوقفني سؤال مهم جدًا: وهو أنه بالرغم من ضعفها إلا أنها فكرة غريبة على المسلمين، فمن أين أتت لهم هذه المعلومة حتى تداولتها الألسن والكتب!؟ فالآثار وإن كانت ضعيفة إلا أنها بمجموعها تشير إلى حدث ما كان في الذاكرة وتناقلته الألسن، وهذا الحدث غريب عن السياق العام للذاكرة الإسلامية، مما يشير إلى أن أصل الفكرة المتداولة صحيح، لكن طريقة التعامل معها قد تعتريه بعض الزيادات في التفاصيل.

وسياق الفكرة المطروحة في الآثار تربط بين هدة وبين صوت، ويترتب عليه موت عظيم، وهذا الصوت يسمعه الجميع، هنا اختلط الأمر بين الهدة وبين صوت جبريل، لذا أود هنا أن أذكر بعض هذه الآثار وأعقب عليها:

١- وعن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: "سيكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وعلامته ينهب الحاج، وتكون ملحمة بمنى، يكثر فيها القتلى، وتسيل فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على الجمرة، حتى يهرب صاحبهم، فيؤتى بين الركن والمقام، فيبايع

وهو كاره، ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك. يرضى به ساكن السماء وساكن الأرض" ([١]).

٢- وعن أبي هريرة ﷺ -أحسبه رفعه- قال: "يسمع في شهر رمضان صوت من السماء، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تحزب القبائل، وفي ذي الحجة يسلب الحاج، وفي المحرم الفرج" ([٢]).

٣- وعن شهر بن حوشب، قال: "كان يقال: في شهر رمضان صوت، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تميز القبائل، وفي ذي الحجة تسفك الدماء، وينهب الحاج وفي المحرم. قيل له: وما الصوت؟ قال: هاد من السماء يوقظ النائم، ويفزع اليقظان، ويخرج الفتاة من خدرها، ويسمع الناس كلهم، فلا يجيء رجل من أفق من الآفاق إلا حدث أنه سمعه" ([٣]).

٤- وعن كعب الأخبار ﷺ قال: "تكون في رمضان هدة توقظ النائم، وتفزع اليقظان، وفي شوال مهمهة، وفي ذي القعدة المعمعة، وفي ذي الحجة يسلب الحاج، والعجب كل العجب، بين جمادى ورجب" ([٤]).

٥- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "تكون هدة في شهر رمضان، توقظ النائم وتفزع اليقظان، ثم تظهر عصابة في شوال، ثم معمعة في ذي الحجة، ثم تهتك المحارم في المحرم، ثم يكون موت في صفر، ثم تتازع القبائل في ربيع، ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة تغل مائة ألف" ([٥]).

[١] أخرجه الإمام أبو عمرو الداني في سننه. [عقد الدرر (١٦٨)].
[٢] عقد الدرر (١٦٨).
[٣] أخرجه الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي في كتاب الملاحم. [عقد الدرر (١٦٩)].
[٤] عقد الدرر (١٧٢).
[٥] أخرجه الحافظ الإمام أبو عبد الله الحاكم في مستدركه. [عقد الدرر (١٧٢)].

شرح:

هذه المجموعة الأولى في الآثار، ونلحظ فيها توقيت للأحداث من رمضان إلى رجب السنة التي بعده، وموضوع التوقيت لا يعنيني كثيرًا هنا، لكن المهم أن الآثار هنا تربط بين هدة وصوت، والصوت ملأ الآفاق، ثم تشير النصوص إلى تغير الحال بعد الصوت أو الهدة، وسرعة ربطها بالبيعة والحرم والمهدي. يحتمل من مجموع النصوص أن الهدة هي صوت الارتطام الشديد للنيزك عند ملامسته للأرض، ويظهر من نصوص أخرى أن توقيته الصبح بعد الفجر.

أما كيف ربطت بين الصوت والنيزك!؟ فهناك آثار كثيرة ترشد إلى ذلك، لكن أكتفي بأثر واحد هنا وهو عن أمير المؤمنين علي ﵁ قال: "انظروا الفرج في ثلاث. قلنا: يا أمير المؤمنين، وما هي؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والقزعة في شهر رمضان. فقيل: وما القزعة في شهر رمضان؟ قال: أو ما سمعتم قول الله ﷻ في القرآن: (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)، وهي آية تخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان" ([1]).

نلحظ أن هذا الأثر يسير بذات السياق والفكرة، لكن الإمام علي ﵁ يربط بين الحدث وبين الآية القرآنية الرابعة في سورة الشعراء، والسورة فيها سر عجيب ليس محله هنا، لكن الآية صريحة في إمكانية نزول آية تظل أعناق الناس لها خاضعة وناظرة إلى السماء، مما يشير إلى أن النيزك في بدايته يكون له دورة في الغلاف قبل سقوطه.

وهذا ترشد له آثار أخرى منها: عن أبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال: "إذا رأيتم علامة في السماء، نار عظيمة من قبل المشرق، تطلع ليالي،

---

[1] عقد الدرر (١٦٩).

فعندها فرج الناس، وهي قدام المهدي عليه السلام"، وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، أنه قال: "إذا رأيتم نارًا من المشرق، ثلاثة أيام أو سبعة، فتوقعوا فرج آل محمد إن شاء الله تعالى. ثم قال: ينادي منادٍ من السماء باسم المهدي، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، حتى لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه، فزعًا من ذلك، فرحم الله عبدًا سمع ذلك الصوت فأجاب؛ فإن الصوت الأول هو صوت جبريل الروح الأمين عليه السلام"([1])، وعن كعب قال: "إنه يطلع نجم من المشرق، قبل خروج المهدي، له ذنب يضيء" ([2]).

نلحظ أن الآثار ما زالت في ذات السياق، وهي تتوافق مع الأثر الصحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: "لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية" ([3]).

إذًا النصوص بمجموعها تعطينا فكرة متكاملة لبداية الحدث، لكن رواية محمد بن علي ربطت بين الصوت وبين صيحة جبريل عليه السلام، وهذا يذكرنا بالمهمة الملائكية الخاصة (النذارة والبشارة)، وجاءت نصوص كثيرة ترشد إليها في ذات السياق.

منها: عن محمد بن علي عليهما السلام، قال: "الصوت في شهر رمضان، في ليلة جمعة، فاسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس، ينادي: ألا إن فلانًا قد قُتل مظلومًا. يشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير، فإذا سمعتم الصوت في رمضان –يعني الأول– فلا تشكوا أنه صوت جبريل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم المهدي واسم أبيه"، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: "إذا نادى مناد من السماء: إن الحق في آل محمدٍ؛ فعند ذلك يظهر المهدي"،

[1] عقد الدرر (١٧١).
[2] عقد الدرر (١٧٥).
[3] أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي [عقد الدرر (١٧٠)].

قال الزهري: "وقالت أسماء بنت عميس: إن أمارة ذلك اليوم؛ أن كفًا من السماء مدلاة، ينظر إليها الناس" ([1]).

وهنا فقط أنوه للأمر، لكن بإذن الله قد أفرده بموضوع آخر مطول. لكن يظهر أن هناك تلازمًا بين البشارة والنذارة والمهمة الملائكية في الحدث الأول، والذي بعده تبدأ مرحلة جديدة من الأحداث.

أما توقيت الحدث ونزول النيزك أو الحجارة من السماء؛ فيظهر أنه سارعت السور الأولى في القرآن بالإشارة إليه، وهي سورة الإنذار: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ"، وقد جاء التوقيت فيها بقوله ﷻ: "كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧" [المدثر].

إذًا الضربة تكون بعد إدبار الليل وإسفار الصبح، أي بعد الفجر مباشرة وقبل الشروق، وهي إحدى العلامات الكبر العظام المنذرة للبشر ([2])، أما لماذا هذا التوقيت وهو بعد الفجر مباشرة!؟ فتلك السنن في القرآن، خاصة فيما يتعلق بالرجم من السماء، وهي ذاتها اللحظات التي أهلك الله بها قوم لوط، وأغرق فرعون مع الشروق، وذاتها المتعلقة بجانب النذارة في المهمة الملائكية: "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ" [هود٨١].

أما لماذا الصبح أو الرجم من السماء!؟ فهذا في مقالة أخرى.

---

[1] عقد الدرر (١٧٠).

[2] يرى كثير من المفسرين أن المقصود بإحدى الكبر هو سقر، وهذا موضوع طويل لا يتسع المجال هنا لطرحه، لكن ما توصل إليه اجتهادي أن السياق لا يخدم هذا الرأي الذي قال به كثير من المفسرين.

الخلاصة:

١- هذه الآثار لم تأت عند الرعيل الأول من فراغ، وبمجموعها ترسم صورة لمهمة ملائكية خاصة، لها علاقة بالبشارة والنذارة أشبه بما حصل مع إبراهيم ولوط عليهما السلام، ولعل ذكر هذه المهمة في القرآن الذي لا تنتهي عجائبه هو تعزيز لفكرة متكررة تحصل مع هذه الأمة، وهذا هو سر القرآن الكريم الذي قال عنه الله ﷻ: "الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" [هود١].

فالحكمة الإحاطة الكلية بالأشياء وهي تقابل عالم الغيب، والخبرة هي معرفة التفاصيل الظاهرة والباطنة للأشياء، والقرآن نزل من لدن حكيم خبير، من هذا الوجه القرآن جاء ليحكي الماضي ويعايش الحاضر ويتنبأ بالمستقبل في نفس اللحظة من خلال المثلات، وهذا سر القرآن الأعظم، ففيه ما لا تبلغه أفهام البشر إلى قيام الساعة.

٢- متابعة هذه النصوص بمجموعها يرسم لنا صورة يتضح من سياقها أن لها علاقة جوهرية بالحدث الكوني كما فصلته، لكنها تشير إلى بداية الحدث وأثره على الشرق الأوسط والجزيرة العربية على وجه الخصوص.

٣- في السياق أعجبتني رؤية أرى أن أسترشد بها، وفيها يقول الرائي: (رأيت بفضل الله أني أتسلم رسائل من رسول من الله، [ووقر في قلبي أنه ملك من الملائكة]، وأسلمها للمهدي عليه السلام وكذلك أيضًا عن طريق بنت كانت تستلم الرسائل من الملاك في بعض الأحيان وتسلمها لي لأسلمها للمهدي إلى أن كان هناك أخر رسالة سلمها الملاك إلى المهدي يدًا بيد وعند استلام المهدي للرسالة اهتزت الكرة الأرضية بأكملها وشعر بها كل الناس وفي وقت تسليم

الرسالة جثوت على ركبتي ورفعت يدي لأدعو الله أن تكون هي الرسالة الأمرة للمهدي ﷺ وأنا أقول في دعائي اللهم اجعل هذا الخير بهذه الرسالة، اللهم اجعل هذا الخير بهذه الرسالة، اللهم اجعل هذا الخير بهذه الرسالة، اللهم اجعل هذا الخير بهذه الرسالة، اللهم ائذن بشرعك أن يعود وكررت هذا الدعاء كثيرًا وبعد تسليم الملاك للرسالة ذهب ليشكر هذه البنت، وتسلم المهدي الرسالة ودخل بيته وكانت الملابس في الرؤيا كما نراها في الأفلام الدينية القديمة وكان مع المهدي رجل انجليزي يرتدي ملابس الجيش الانجليزي وقت الاحتلال يحمل له أنبوبة بوتاجاز ليوصلها إلى داره وأعطاه المهدي صرة من الدنانير نظير هذه الخدمة وتنحى المهدي جانبًا وهو يهمً بقراءة الرسالة ولكن الرجل الإنجليزي استل سكينًا وهمّ بقتل المهدي وأخذ الرسالة ولكن المهدي كان منتبه ويعلم بكل شيء ويأخذ باله انتهت الرؤية).

وهذه الرؤية الذي يعنيني بها أن الرسالة اهتزت لها الأرض بأكملها، وشعر بها كل الناس؛ فهذا الشاهد القوي نستأنس به في فهمي للمهمة الملائكية الخاصة. إضافة لشواهد أخرى لا يتسع لها السياق.

* * * * *

الكوكب ذو الذنب واللحظة الأخيرة [1]

ليس من السهل قراءة المستقبل القريب بدقة، وليس من السهل معرفة ما يخبئه لنا الغيب، وذلك لقصورنا وعدم إحاطتنا في السننية التي نخضع لها من كل الجوانب، ولكننا نحاول أن نعطي تصورًا مقاربًا للحقيقة، أو هو ليس بعيدًا عنها بحسب ما تعطينا دوائر المعرفة الثلاثة (الحس والعقل والوحي) من إشارات وقرائن، قد نكون قريبين من الحقيقية المغيبة عنا، قد نصيب بعض جوانبها وقد نخطئ في نواحي منها، لكن ما نصيبه قد يكون كافيًا لإعطائنا تصورًا عن القادم.

هنا في هذه المقالة أعصر فهمي من خلال قراءتين: قراءة للوحي باسم الله وقراءة للكون المنظور بمعية الله، بحسب ما فصلت في سلسلة سورة العلق: البداية والنهاية.

بدايةً: قد أكون وضحت كل تصوراتي عن الحدث الكوني وآية الدخان، وما أطرحه هنا يدور في ذات الفلك عن أعظم أمر قد يباغتنا في كل لحظة، لكنني هنا سأقرأ الموضوع قراءة جديدة تدور في فلك القراءة القديمة، وإن كانت تعطينا بعض الإشارات الجديدة.

فهناك طرح قوي يذكر في منتديات وفي صفحات على الإنترنت، يتحدث عن قدوم كوكب ضخم نحو الأرض، وهذه القصة قديمة جديدة، وقد تم استغلالها في الماضي أي من ٢٠٠٢م لتمرير إشارات كاذبة ووهمية عن هذا الكوكب الضخم، وكانت لا تمر علينا سنة إلا ويقول البعض أنها سنة قدوم هذا الكوكب، حتى أضحى الموضوع أشبه بخدعة كبيرة يتم تسويقها غربيًا ويلاحقها البعض عندنا، وقد يكون وراءها أهداف معينة.

---

[1] ملاحظة: هذه المقالة لها علاقة مسبقة بسلسلة سورة العلق، وسلسلة الحدث الكوني وسلسلة اللحظة الأخيرة، من قرأ تلك المقالات يسهل عليه التعاطي مع هذه السلسلة.

لكنني تابعت موقعًا أظنه موقعًا محترمًا، موضوعيًا في الطرح قد أشار إلى أن هذا الكوكب هو حقيقة وهو في الطريق، وأن ما تم طرحه سابقًا يراد به التشتيت للفكرة؛ بحيث لو جاء أمدها لا يتعاطى الناس معها بجدية، وقد أبرز أن هناك مواقع ضخمة معنية بتشتيت الموضوع، وعدم إعطاء صورة حقيقية له من خلال نشر أكاذيب كثيرة حوله.

أنا هنا سأتعامل مع معطيات هذه القضية الفلكية –في حال كونها حقيقة–، من خلال ملاحقتها بحسب النصوص التي بين أيدينا.

الفكرة المطروحة:

هناك كوكب ضخم جدًا دخل مدار المجموعة الشمسية، وهو في طريقه نحو الأرض، لكنه ما زال بعيدًا عنه؛ حيث يتصور البعض أنه في حزام سيرس تقريبًا، وهذا الكوكب الضخم سيجر خلفه ذيلًا طويلًا جدًا من النيازك والحجارة الضخمة جدًا، إضافة لبداية توهجه من خلال ذيل بلازمي يجعله يكتسب اللون الأحمر مع ذيله.

ويرى صاحب الموقع الذي أتابعه (الأستاذ وسام فيزياء فلكية)، أنه بمجرد ظهور الذيل البلازمي؛ فمعنى الأمر أنه يحتاج لستة شهور حتى يكون في أقرب نقطة من الأرض، ثلاثة شهور متابعة تلسكوبية، وبعدها ثلاثة شهور متابعة عيانية بالعين، حيث سيظهر بحجم أكبر من القمر بكثير وبذيل أحمر طويل جدًا، وسيتم معاينته نهارًا أيضًا.

ويرى هذا الباحث أن الكوكب يمر بين القمر والأرض، وأن ذيله المليء بالحجارة كالجبال هو الذي سيضرب الأرض بشكل كبير جدًا، وقد قدر له مدة ساعة كاملة من غزو نيزكي للأرض، وللقمر بسبب طبيعته سيكون له الحظ الأكبر من تلك الرجوم والنيازك، إضافة للضغط الكهرطيسي الذي ينجم عن هذا الجرم العظيم، مما يحرك البراكين بشكل كبير ويؤثر على الصفائح التكتونية مسببًا الزلازل، ويرى هذا الباحث الكريم أن الأرض حينها ستقف تمامًا عن الدوران، ثم تدور بشكل عكسي، وطبعًا تصوراته مبنية عن دراسة علمية فلكية فيزيائية للحدث.

رابط الموقع الذي استقيت منه المعلومات:

https://www.facebook.com/wisam.wis.92?fref=ts

هذه مجمل الفكرة التي سأناقشها هنا من خلال معطياتها، وما لدينا من إشارات قرآنية وحديثية أو غير ذلك، وما يتوافق مع ما يتعارض.

المجموعة الأولى: قرائن من القرآن الكريم.

أولًا: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ".

فكرة هذا الكوكب الذي له مدار خاص به، ينطلق فيه خلال آلاف السنين يتوافق ظاهريًا مع قوله ﷻ: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ"، فهذا الكوكب يسير في مدار واسع جدًا، يستغرق منه آلاف السنين وبمروره يكون الأثر الأكبر وضوحًا على الأرض، وهو كثرة الصدوع فيها. كذلك الخسوف الثلاثة العظيمة، وهذا يذكرنا بسنوات الزلازل أو السنة كثيرة الزلازل التي تكون مع خروج المهدي رضي الله عنه.

فالسماء ذات الرجع قد تكون إشارة للرحلة الطويلة لهذا الكوكب، والتي من خلالها سيكون له رجعة نحو مدار الأرض، أما الأرض ذات الصدع فقد تكون إشارة لأهم آثاره على الأرض، إذا من حيث المبدأ تتوافق القراءتان هنا في الدلالة.

ثانيًا: "أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [النحل ١].

هذه الآية التفسير الطبيعي لها أن كل ما هو آت فهو قريب، وأن النسبية الزمنية التي نخضع لها لا تعادل شيئًا في معيار الزمن؛ لذا النبي ﷺ عبر عن الساعة بقوله: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ قَالَ وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى" ([1])، وفي رواية: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ وَإِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي" ([2])، فمسألة الزمن مسألة نسبية ويوم عند ربك كألف سنة مما تعدون، لذا أتى أمر الله هنا يراد بها قرب الأمر.

لكن نبهني أحد طلبة العلم إلى أن الآية قد تكون على حقيقتها، بمعنى أن الأمر الإلهي للكوكب قد وقع مع نزول الآية أو قبله، وهو في طريقه الطويلة نحو هدفه؛ لذا جاءت الآية بصيغة الماضي، فهي أشبه برؤية الأرصاد الجوية لغيوم أو منخفض قادم فتنبئ به بقولها جاءكم المطر، ولله المثل الأعلى، وهنا المطر يحتاج ليومين لوصوله، وهذا الكوكب يحتاج لألف وأربعمائة وزيادة لوصوله.

فأتى أمر الله معناها جاءكم الأمر وهو في طريقه إليكم. أما لماذا نهانا الله عن استعجاله بقوله: (فلا تستعجلوه)!؟ لأن الإنسان المسكين لا يعلم مدى عظمة هذا الأمر المطروح في الآية، إنه مما يشيب منه الولدان؛ لذا لا داعي لاستعجال أمر هو فوق كل تصوراتكم، تتجلى فيه القدرة الإلهية والعظمة الربانية، ويظهر معه مدى ضعف الإنسان وجهله.

[1] أخرجه البخاري برقم ٦٥٠٤ [البخاري مع الفتح (٣٥٥/١١)]؛ ومسلم برقم ٢٩٥١ [مسلم بشرح النووي (٢٧٩/٩)].
[2] أخرجه أحمد برقم ١٨٧٩٧ [المسند (٣٨٠/٤)]، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار. ورجال أحمد رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥٦٠/١٠)].

ووفق هذا التقدير الآية على حقيقتها في الدلالة على المقصود بها وفق الزمان المقدر للوصول.

ثالثًا: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" [النمل٨٨].

هذه الآية قرأت كل تفسيراتها في الماضي والحاضر، وما يطرحه العلماء من إعجاز علمي فيها يتعلق بحركة الأرض، أو بما يتصوره البعض من حصوله في ساعة قيام الساعة.

والحقيقة أن كل التفسيرات لم تشف غليلي في فهم مدلولها، فعند قيام الساعة تتحول الجبال إلى كثيب مهيل أو إلى عهن منفوش، فهي بذلك قد تحولت ماهيتها ولم تبق جبالًا لتعبر عنها الآية هنا بالجبال، وموضوع حركة الأرض وحركة الجبال معها أنه المقصود به الآية أيضًا بعيد أو تعسف في الدلالة؛ لأن الآية تشير إلى جبال تمر من أمام الإنسان كما يمر السحاب، فما علاقة ذلك بما نراه حاليًا في الجبال من حركة غير ملموسة تبعًا لحركة الأرض.

وهنا خطر ببالي ربط الآية بموضوع ذيل الكوكب النيزكي، فهي جبال صخرية عظيمة سابحة في السماء، تحسبها واقفة ولكنها تتحرك كما يتحرك السحاب، فالذيل الطويل للكوكب وآلاف الصخور الضخمة التي تتبعه؛ تشير إلى تلك الآية المخوفة التي سيعاينها الناس.

يحتمل عندي أن تأويل الآية هو هذا الحدث، وهذه اللحظات الرهيبة التي تتبدى فيها أمامنا تلك الجبال السابحة في السماء.

وما يعزز عندي هذا الفهم هو طبيعة السورة، والسياق الأخروي الذي سبق آية الجبال السابحة، فسورة النمل هي سورة الآيات والعجائب في الماضي والمستقبل،

حيث بدأت بنملة تتكلم وتحذر، وثنت بهدهد يتحدث ويحاور، ثم بعفريت يبدي قدراته ويناور، ثم بإنسي يجلب العرش بطرفة عين... وهذه كلها عجائب يذهل الفؤاد في كنهها ودلالاتها.

وفي آخر السورة كانت العجيبة التي تأتي في سياق العلامات العظمى، وهي خروج دابة عظيمة تكلم الناس في آخر الزمان، ثم يتركز الحديث على جانب الأمور الأخروية، وفي عمق السياق يأتي ذكر مرور الجبال مر السحاب، ثم تختم السورة بقوله: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" [النمل٩٣].

إنها سورة الآيات والعظام والتي ختمت بأن هذه الآيات سنراها ونعرفها، وفي عمق السورة يتردد صدى العظمة الإلهية في آيات متعددة كانت تختم باستفهام استنكاري تقريري في آن واحد وهو قوله ﷻ: "أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ"!!؟ فهذه سورة النمل وسياقها العام المليء بالعجائب والآيات العظام، بما يوحي بأن آية الجبال السابحة هي آية عظيمة تستمد من هذا السياق دلالاتها.

رابعًا: "إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" [الشعراء٤].

هذه الآية أفردت لها موضوعًا مطولًا، لكن أقول هنا أنها تتوافق تمامًا مع الفكرة المطروحة، وهي آية سماوية مهيبة تمر أمامنا، ويصيب الأرض منها فزع كبير جدًا وآلام كثيرة وتتجلى معها العظمة الإلهية. نعم إنها آية تخضع لها الأعناق وتنخلع معها القلوب، وتزيغ معها الأبصار ويشيب لها الولدان، وتذهل بسببها كل مرضعة عما أرضعت...

وهي ذاتها الآية التي بين يدي خروج المهدي ﷺ، وهي عن علي بن عبد الله بن العباس قال: «لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية» ([1])، وهذا الأثر الصحيح استوقفني كثيرًا، فالآية هنا تكون مع الشمس، وهذا لا يتصور إلا إذا كانت الآية نهارية، وإلا لو كانت ليلية لقال مع القمر.

وهذا يشير إلى وضوح هذه الآية حتى في وضح النهار، بحيث تكون جلية واضحة مع الشمس نفسها، وهذا التوصيف ذاته يصدق على مرور هذا الكوكب ذي الذنب العظيم؛ حيث سيراه الناس عيانًا في النهار بحجم أكبر من القمر بكثير، لأنه أصلًا أكبر من الأرض ذاتها عدة مرات، فكيف سيكون منظره لو كان قريبًا من الأرض أو بين الأرض والقمر. وهذا الأمر الأخير ما زلت أستبعده لكنه هو المطروح حاليًا.

أقل الأحوال: أن الآية والحديث يتوافقان مع الموضوع ومع دلالاته بشكل كبير جدًا.

خامسًا: يقول الله ﷻ: "فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ٥٩" [الدخان].

القرآن الكريم عجيب في دلالاته وإشاراته، نحاول أن نفهمه ونؤوله التأويل الصحيح الذي ينفعنا في دنيانا وآخرتنا. في سورة الأنعام عندما تكلمت عن آيات الله وعلامات الساعة الكبرى جاءت الصيغة فيها: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ" [الأنعام١٥٨].

---

[1] أخرجه عبد الرازق في مصنفه برقم ٢٠٧٧٥ (٢٧٣/١١)؛ ونعيم في الفتن برقم ٩٠٥ (٢٣٠)؛ وقال عنه البستوي: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات [البستوي: المهدي المنتظر (٢٢٠)].

قبل الشرح أريد أن أؤكد قضية لغوية مهمة، وهي أن الاسم في الدلالة أقوى من الفعل وأكثر ثباتًا واستمرارية، فعندما تقول انظر أو انتظر؛ فهنا تفيد أن الانتظار يقع لو مرة واحدة. لكن كلمة منتظر وهي اسم فاعل فهي تشير إلى ثبات الانتظار ودوامه واستمراريته من صاحبه فهو نظر متواصل.

هنا الآية تتحدث من دائرة الوحي والغيب، والمؤمنون بالغيب هم أولى بالانتظار المستمر، لذا جاءت الصيغة: "انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ"، فهذه الآيات ينتظرها المؤمنون منذ نزول القرآن الكريم ففيها استمرارية الانتظار حتى وقوعها؛ لذا كانت الصيغة لبيان حال المؤمنين هنا (منتظرون)، التي توحي بالثبات والاستمرارية، أما فعل الأمر (انتظروا) فهو أمر يفيد التحدي، يخاطب به الكفار الذين لا يؤمنون بالقضايا الغيبية.

لكن في سورة الدخان كان الأمر مختلف؛ لأن الموضوع يتعلق بآية تقع تحت المراقبة أولًا، والمراقبة هنا توحي بملاحظة حذرة لشيء يرتقب حصوله. والملاحظة تكون بالحواس، إذًا هي تخضع لمجال دائرتي الحس والعقل، لذا كانت الصيغة عجيبة "فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ"، إذًا الارتقاب من جهة المؤمنين سيكون فرديًا (فارتقب)، لكن من الجهة الأخرى الارتقاب أخذ صفة الثبات والاستمرارية (مرتقبون).

ما السر في هذه الصيغة!؟ السر أن الارتقاب يحتاج إلى أدوات مراقبة؛ لذا يسمى المركز الذي يراقب الزلازل أو البراكين (مرقب)، فهي ملاحظة حذرة تلاحق كل تغير حتى لو كان صغيرًا، وهي ملاحظة متخوفة من الأمر القادم.

في سورة الدخان جعلت جهة المراقبة من المسلمين جهة فردية، لكنها من الآخرين جهة جماعية تتميز بثبات واستمرارية مراقبتها. فالآية أثبتت أنهم مرتقبون

أي هم في حالة ثابتة مستمرة من المراقبة الدؤوبة لأمر ما، والسبب لأنهم هم الذين يمتلكون أدوات المراقبة الأقدر لملاحقة بداية آية الدخان، فمراقبهم وصلت للسماء.

الآية في سورة الدخان قلبت المعادلة التي كانت في سورة الأنعام، ففي الأنعام أمر غيبي من دائرة الوحي؛ لذا كان المنتظرون هم أهل الإيمان، أما في الدخان فالموضوع مراقبة حسية بأدواتها المتوفرة من دائرة الحس، والآخرون هم الأقدر على تلك المراقبة؛ لوجود مراكز ضخمة جدًا كوكالة ناسا على سبيل المثال، وكمرقب أو مرصد هالي الفضائي والأقمار الصناعية والسفن الفضائية والمسابير المتعددة...، فإنهم مرتقبون.

هذه الآية تتوافق مع الحدث، ومع احتمالية إخفاء معلومات من خلال تلك الوكالات المهيمنة على الأمر، وتشير صراحة أن المراقبة منهم تتميز بوجود أدواتها وبالثبات والاستمرارية، والواقع يرشد إلى ذلك. وقد تكون الآية فيها إشارة مهمة إلى ضرورة التعامل مع الأمر بجدية، فهناك من يراقبه بجدية كبيرة من الأمم الأخرى.

كذلك توحي لك الآية أن موضوع آية الدخان قد يستشعر البعض بسبب مراقبتهم لها بداية الإنذار بها، فهم يراقبون شيئًا قادمًا يرصدونه ويتتبعون كل ما يتعلق به يومًا بيوم.

إذًا آية سورة الدخان تتوافق تمامًا مع الحاصل في أيامنا، فنحن نمتلك إمكانات مراقبة فردية محدودة وبالمقابل الطرف الآخر يمتلك حينها أدوات ومراكز ضخمة للمراقبة.

لكن الآية في سورة الدخان كأنها تشير إلى أن هذه المراقبة كان لها مدى زمني بعيد، فالمسألة ليست رصد لنيزك قادم، بل كوكب ضخم قادم ويحتاج لمدة

طويلة لكي يصل، وهذا يتوافق مع فكرة أن أول بداية رصده كانت في سبعينات القرن السابق.

وقد تكون فكرة اليوم الأسود لديهم وأفلامهم عن يوم القيامة أو اليوم الأخير، وسعي الكثيرين منهم لإعداد ملاجئ ودفع مبالغ ضخمة لذلك، وسعي بعض هذه الدول لبناء ملاجئ ضخمة للنخبة؛ بذريعة الحفاظ على النخبة حال الكوارث أو الحرب النووية، أو تخزين جميع أنواع البذور في الأرض ضمن مخازن خاصة.

وآخر ما سمعته أن عددًا من المترفين يبنون ملاجئ خاصة تحت الأرض مكلفة جدًا في نيوزيلندا، قد تكون كل هذه الاستعدادات التي علمنا بها أو لم نعلم بها هي من آثار ونتائج (إنهم مرتقبون)، وأن مراقبتهم أوصلتهم لمعلومات ما ترشد إلى قرب الأمر.

الخلاصة:

لا أعلم قد تكون فكرتي هنا فيها بعض الغموض؛ لذا أيسرها مرة أخرى في هذا التلخيص، الآية في سورة الأنعام تتحدث عن الآيات العظام القادمة، هذه يؤمن بحصولها المؤمنون من الدرجة الأولى على مدار التاريخ، سواء حصلت في زمانهم أو في زمان الأجيال اللاحقة؛ لذا جاء التحدي وطلب الانتظار من الجميع، أما المؤمنون فجاء في حقهم (إنا منتظرون)، التي توحي بالإيمان بصدق ما يبلغ به الله وبثبات الانتظار واستمراريته منهم.

في سورة الدخان الحديث هو عن آية الدخان وهي آية لن تكون مفاجئة، بل سيتسنى مراقبتها قبل حصولها، والمراقبة الحسية يشترك فيها أهل الأرض كلهم، لكن لأن هذه المراقبة تحتاج لأدوات، وهذه الأدوات والمراكز في عصرنا هي من حظ العالم الغربي؛ لذا جاءت الآية هنا بطريقة أخرى "فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ".

معنى الآية: أنها ترشد المسلمين لأن يتطوعوا لمراقبة هذا الحدث، وتشير وتثبت أن غيرهم هو في حالة ثابتة دائمة في المراقبة (إنهم مرتقبون)، وهذا هو الحاصل في زماننا، فالعرب ما زال ليس لديهم الاهتمام القوي، ولا الأدوات والإمكانات اللازمة للمراقبة على مستوى احترافي، أما الغرب فقد تميز بذلك بما يمتلكه من طبيعة مهتمة ومن أدوات لازمة.

لذا كأن الآية تطالبنا بالاهتمام بالأمر، وحصول المراقبة حتى لو كانت فردية (فارتقب)، وذلك مقابلة للعالم الغربي الذي يراقب بشكل جمعي من خلال مراكز ضخمة (إنهم مرتقبون)، وصيغة الآية واستخدام كلمة مراقبة فيها إشارة قوية إلى أن الحدث العظيم لن يكون مفاجئًا، بل هو يخضع للملاحظة والمراقبة الحسية له قبل حصول نقطة الصفر فيه.

هذا المعنى العجيب يتوافق تمامًا مع تلك المراقبة وأهلها وحيثياتها لأمر الكوكب ذي الذنب الطارق والزائر لنا خلال مداره الطويل.

سادسًا: "وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا" [يونس]، "وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" [العنكبوت٢٢].

آية سورة يونس التي تحكي مثال الحياة الدنيا، إنما تشير إلى اللحظة الأخيرة قبل الحدث الكوني، وهذه الآية كنت أريد شرحها ضمن سلسلة اللحظة الأخيرة في مقال مطول أشرح فيه كل دلالاتها، لكن قدر الله أن أذكرها هنا مسبقًا.

وملخص الآية أنها تشير إلى أن الإنسان سينسى نفسه، حيث ستتعاطى معه السنن الكونية بأكثر مما يتوقع، فيصل لدرجة من العلم تجعله يدخل في مرحلة الطغيان والاستغناء عن الله، والتمحور حول ذاته باعتبار نفسه مطلقًا ذاتيًا بديلًا عن الله.

والنتيجة التي استدرج إليها هي يقينه المطلق بذاته وبقدراته، والتي عبر عنها جزء الآية الذي طرحته "وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا"؛ لذا نلحظ أن كثيرًا من الكوارث والزلازل والبراكين وغيرها من الأمور، استطاع الإنسان المعاصر التغلب على نتائجها الكارثية، وهذا ما أورثه الغرور.

وفي مسألة النيزك يسير في ذات السياق؛ حيث يطرح علماء من أمريكيا فكرة أنه لو قدم نيزك واتجه نحو الأرض، فهناك فرصة لتفتيته بالسلاح النووي قبل وصوله الأرض (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا)؛ إذا لا داعي للقلق.

وحسب الفكرة المطروحة في بداية المقال عن هذا الكوكب العظيم، الذي يفوق الأرض عدة مرات، وذيله الضخم جدًا الذي يجر معه آلاف النيازك، كيف لهؤلاء أن يدبروا أمرهم مع هذا الغزو العظيم الذي يفوق كل تصوراتهم!؟

وبخصوص أمريكيا بالذات، والتي تقبع على فوهة أكبر بركان بالعالم (يولستون)، وهذه الفوهة التي طولها ٨٠ كيلو متر وعرضها ٢٨ كيلو متر، ومحيط مقذوفاتها قرابة الألف كيلو متر كيف سيتعاملون معها!؟ والمعلوم أن هذا الكوكب كلما اقترب كلما انبعجت الأرض، وحصل ضغط شديد على جوفها وصهارتها الداخلية، بما يحفز كل البراكين على الثوران بشكل غير معهود، فكيف بأكبر فوهة في العالم هذه الفوهة الكفيلة بتغطية كل القارة!؟

إذًا هذا الذي اعتقد أنه قادر عليها، وقد وصف الله قوته بأنها خيوط العنكبوت، تأتيه الآية من سورة العنكبوت نفسها لتخاطبه: "وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" [العنكبوت٢٢].

وذلك ليعلموا أن القوة لله جميعًا. لذا عندما تأتي تلك الثقة العمياء التي لا تستند إلى مصدر حقيقي للقوة، يأتي الأمر الذي لا يغالبه أحد، وما هم بمعجزين في

الأرض؛ ليواجهوا تحديات كيولستون، ولا معجزين في السماء ليواجهوا الكوكب ذو الذنب.

وهكذا يهمس في آذانهم قوله ﷻ: "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" [الأنعام٦٥]، فالعذاب الفوقي والتحتي في الآية من الأمور التي لم يأت تأويلها بعد، وما داموا ظنوا أنهم قادرون عليها؛ لذا بدأت الآية هنا بالقادر الحقيقي.

الخلاصة أن فكرة الكوكب وذيله الطويل؛ تتوافق مع مضمون الآيات ومع ما تشير إليه من دلالات، وأقل أحوالها أنها لا تتعارض معها.

خلاصة المجموعة الأولى من القرائن:

هذه قراءة سريعة للآيات ذات العلاقة، وأغفلت الكثير لأنني سبق أن شرحتها، لكن ما أسوقه هنا من دلالات؛ إنما أقصد به بيان القرائن والإشارات الدالة على مصداقية فكرة الكوكب ذي الذنب.

انتهينا في قرائن المجموعة الأولى إلى بيان عدم تعارض فكرة الكوكب ذي الذنب العظيم، مع كثير من النصوص القرآنية التي تشير إلى ذات الفكرة، بل الملاحظ في النصوص أنها تتوافق مع أصل الفكرة بشكل كبير جدًا، وهذا ينقلنا للمجموعة الثانية من القرائن.

وأنا هنا ألاحق كل الدلالات والاحتمالات التي قد تصيب وقد تخطئ، أو قد تكون صوابًا يحتمل بعض الجوانب الخطأ، فنحن نتحدث عن أمر غيبي عظيم

ونتحرك بحسب ما لدينا من أدلة وإشارات، وقيمة الطرح أنه به تكتمل لدينا كل الاحتمالات في تصورنا للحدث الكوني وآية الدخان. وسواء حصل بحسب ما يراه بعض ذوي الشأن والخبرة في الموضوع أم لم يحصل، فمسألة وقوع نيزك وآية الدخان هي من الأمور ذات الدلائل القوية جدًا ومسألتها فقط مسألة وقت.

المجموعة الثانية: قرائن من الآثار.

ذكرت بعض كتب الفتن بعض الإشارات لحدث عظيم له علاقة بنجم ذو ذنب، وهذه الآثار لا يمكن تصورها إلا أن تكون توقيفية، لكن يظهر أن الفكرة كانت أكثر وضوحًا، ولم يتبق منها إلا نزر قليل من الآثار الدالة عليه، لكنها كافية هنا في بيان المراد:

أولًا: عمود أحمر وآثار تبرز مساحة زمنية للحدث.

عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ عَمُودًا مِنْ نَارٍ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّمَاءِ؛ فَأَعِدُّوا مِنَ الطَّعَامِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّهَا سَنَةُ جُوعٍ» ([1]).

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: «إِنِّي لَأَنْتَظِرُ لَيْلَةَ الْحِدْثَانِ فِي رَمَضَانَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ: عَلَامَةٌ تَكُونُ فِي السَّمَاءِ، يَكُونُ اخْتِلَافٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا فَأَكْثِرْ مِنَ الطَّعَامِ مَا اسْتَطَعْتَ. ([2]).

عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: «آيَةُ الْحِدْثَانِ فِي رَمَضَانَ، وَالْهَيْشُ فِي شَوَّالٍ، وَالتَّزَائِلُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَالْمَعْمَعَةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ عَمُودٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِنْ نُورٍ» ([1]).

---

[1] الفتن: المروزي ٢٣١.
[2] المرجع السابق ٢٣٢.

عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: «هَلَاكُ بَنِي الْعَبَّاسِ عِنْدَ نَجْمٍ يَظْهَرُ فِي الْجَوْفِ، وَهَدَّةٌ، وَوَاهِيَةٌ، يَكُونُ ذَلِكَ أَجْمَعُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، تَكُونُ الْحُمْرَةُ مَا بَيْنَ الْخَمْسِ إِلَى الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْهَدَّةُ فِيمَا بَيْنَ النِّصْفِ إِلَى الْعِشْرِينَ، وَالْوَاهِيَةُ مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ إِلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ، وَنَجْمٌ يُرْمَى بِهِ يُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْقَمَرُ، ثُمَّ يَلْتَوِي كَمَا تَلْتَوِي الْحَيَّةُ، حَتَّى يَكَادَ رَأْسَاهَا يَلْتَقِيَانِ، وَالرَّجْفَتَانِ فِي لَيْلَةِ الفسحين، وَالنَّجْمُ الَّذِي يُرْمَى بِهِ شِهَابٌ يَنْقَضُّ مِنَ السَّمَاءِ، مَعَهَا صَوْتٌ شَدِيدٌ حَتَّى يَقَعَ فِي الْمَشْرِقِ، وَيُصِيبُ النَّاسَ مِنْهُ بَلَاءٌ شَدِيدٌ» ([2])، وَقَالَ كَعْبٌ: هُوَ نَجْمٌ يَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَيُضِيءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَإِضَاءَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ" ([3]).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «تَكُونُ عَلَامَةٌ فِي صَفَرٍ، وَيَبْتَدِأُ نَجْمٌ لَهُ ذِنَابٌ» ([4]).

هذه مجموعة من الآثار وردت عن صحابة أو تابعين، ولست بصدد تحكيمها هنا، لكن أقول هنا: أن هذه الفكرة لم تأت من فراغ خاصة بهذه الأوصاف الغريبة المطروحة في هذه الآثار، وهذه الآثار بمجملها تحتمل الزيادة والنقصان، أو أن يكون هناك تبديل وتغيير في بعض مدلولاتها.

لذا أنا أتعامل معها بمجموعها كفكرة مطروحة في الرعيل الأول، تدور في فلكها ليس فقط هذه الآثار، بل هناك عشرات الآثار تحمل نفس الدلالات، بما يوحي بقوة أن هذه الفكرة كانت حية واضحة المعالم في الرعيل الأول، ولم يصلنا منها إلا القليل الكافي بإذن الله.

وتتلخص الدلالات في هذه الآثار فيما يلي:

---

[1] المرجع السابق ٢٣١.
[2] المرجع السابق: ٢٣٠.
[3] المرجع السابق: ٢٢٩.
[4] المرجع السابق: ٢٢٥.

١- عمود من نار من جهة المشرق وعلامة في السماء، وهذا المعنى يتوافق تمامًا مع فكرة الكوكب ذو الذنب؛ حيث أن المجال والذيل البلازمي يكون فيه توهج ناري أحمر كأنه نار. وهنا الفكرتان توافقتا.

٢- السياق يشير إلى أن بعض التابعين كان يتعامل مع هذه الآية بجدية عالية وأسماها آية الحدثان وكان ينتظرها من سبعين سنة.. وهذا يشير إلى عظمة الحدث في تصور الأولين فهو ليس أمرًا هينًا، بل هو أمر محوري فيصل عظيم جدًا. وهذا يتوافق مع ذات التصورات العلمية عن نتائج مرور هذا الكوكب بالقرب من الأرض.

٣- نلحظ من الآثار أن الحدث لن يكون مفاجئًا، بل يبدأ بشكل تدريجي؛ لذا بداية دخول الكوكب في مرحلة الرؤية العيانية والتي تمتد لثلاثة أشهر قد تعطي فرصة للبعض للإعداد له؛ لذا نلحظ في الآثار الربط بين عمود النار والإعداد والتخزين للطعام لمدة عام، مما يشير إلى أن هناك مساحة من الوقت بين بداية الأمر ونقطة الصفر. هنا الآثار تتوافق مع طبيعة الكوكب ذو الذنب والمساحة الزمانية بين رؤيته وآثاره الكبرى.

٤- نلحظ من الآثار السابقة وغيرها من الآثار أنها ذكرت لذات الحدث أشهرًا مغايرة، بما يوحي بالاضطراب في الروايات، فبعضها ربطه بصفر وبعضها بجمادى الأولى والآخرة وبعضها برجب وبعضها في رمضان، هذا الاضطراب يمكن تصوره لو كان الحدث عاديًا.

لكن مع حدث كهذا ووفق ما طرحته من توصيف له أنه يستمر لأشهر من بداية رؤيته حتى نقطة الصفر ثم في انطلاقه الجديد في مداره، فوفق هذا التوصيف للحدث تكون الروايات هنا قد نقلت الحدث بكامل تفاصيله، هذا مع جعل مساحة للخطأ والاضطراب فيها طبعًا، خاصة في تحديد الشهور، لكنها بمجموعها تتحدث

عن حدث له امتداد زمني قرابة الست شهور، وكل رواية تحدثت عن حدث متعلق به.

وهنا أنقل الرواية الأخيرة لكي نفهم المراد. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «تَكُونُ عَلَامَةٌ فِي صَفَرٍ، وَيَبْتَدِأُ نَجْمٌ لَهُ ذِنَابٌ» ([1])، هنا الرواية تحدثت عن بداية الحدث؛ لذا العلامة أول إشاراتها قد تكون في صفر –نضع احتمالا للخطأ في الأشهر في الرواية–، وجاءت الرواية بإشارة عجيبة وهي يبتدأ نجم له ذناب. إذا هذه الرواية تتحدث عن بداية الأمر، وبداية انتباهنا له، أما الروايات الأخرى فتبرز آثاره.

الخلاصة: مجموع الروايات والمساحة الزمنية التي تحملها تتوافق تمامًا مع فكرة الكوكب ذي الذنب البلازمي والنيزكي المطروح في الساحة حاليًا، وكل رواية تتحدث عن طبيعة زمنية لهذا الحدث وآثاره.

٥- هنا بعض الروايات ربطت بين الصوت والهدة وبين سقوط حجر من السماء مع الحدث، وسياق الآثار كلها يشير إلى أن حجرًا عظيمًا فقط هو الذي سيسقط على الأرض، وليست كل تلك الصخور والجبال السابحة في ذيل الكوكب، فالتخمين العلمي هنا لا بد من تقييده بأن هذه الحادثة هي من لدن حكيم خبير، وهي ضربة مسومة حكيمة وليست ضربة عشوائية، لذا نلحظ في الرؤى الربط بين الحدث وبين نزول ملائكة في ذات الوقت، ولعل ذلك إشارة لتقديرات كثيرة غائبة عنا مرافقة للحدث؛ بحيث لا يمكن إخضاعه للفرضيات والتخمينات العلمية المحضة.

ثانيًا: عبد الله ابن عباس والنجم.

[1] المرجع السابق: ٢٢٥.

عن عبد الله بن مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم، فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع النجم ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت» ([1]).

هذا أثر صحيح عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه إشارات عظيمة أهمها أنه قرن بين طلوع النجم ذي الذنب وبين آية الدخان التي تعتبر من علامات الساعة، وقد تكون هذه الملازمة بين الأمرين دالة على طبيعة العلاقة بينهما، أي أن طلوع الكوكب سبب في نشوء آية الدخان.

وكذلك فيه إشارة إلى أن آية الدخان تدل على حدث مستقبلي، وإلا لما فزع ابن عباس من مقولة خروج الكوكب. فكذلك استخدام ابن عباس ﵄ لكلمة (طرق) كأنها تربطنا بالطارق ودلالاته في سورة الطارق.

أما علاقة الكوكب أو النجم ذي الذنب بالدخان فواضحة، فنزول كسف أو نيزك من تلك الحجارة السابحة كفيل بإنشاء غبار كثيف يقفل السماء كاملة، ويذهب معها نور الشمس، وقرب الكوكب كفيل بالضغط على الأرض بما يفجر كثير من البراكين التي تقذف ملايين الأطنان من الغبار في الغلاف الجوي، إضافة للغبار الموجود في ذيل الكوكب.

ثالثًا: تقارب الزمان أو وقوف الأرض ثم انقلاب سيرها، لتبدأ الشمس بالشروق من جهة المغرب.

هذا العنوان طرحته لمناقشة دائرة التخمين العلمي لموضوع قدوم الكوكب ذي الذنب وقربه الشديد من الأرض، يسأل أحد المتابعين لموقع الأستاذ وسام بقوله: (بعد

[1] أخرجه الحاكم في الفتن، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي [المستدرك (٥٠٦/٤)]؛ وذكره ابن كثير بسنده في تفسيره، وقال عنه: هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. [التفسير (١٤٢/٤)].

اذنك استاذ وسام هل اصطدام ذيل نيبرو بالأرض وتغير اقطاب الأرض سيكون السبب في شروق الشمس من مغربها؟

فكانت الإجابة: نعم وتحديدًا عند دخول الأرض في الذيل البلاسمي وخضوع الارض للتأثير المباشر للحقل الخاص للكائن، باعتبارها ستصبح جزءا خاضعا له اثناء انقلاب المحاور الكهرومغناطيسية والمادية... نعم صحيح... فالحقل البلاسمي الشديد سيؤدي الى بدء الخسارة الوقتية والتباطؤ المحوري عبر متتاليه حسابيه خلال٢٤-٢٨ساعة، وذلك عند الساعة الاولى من بدء الدخول ٥،٢دقيقة... الساعة الثانية ٥،٢+٥،٢=٥ وهكذا... لن يسبب تحقق تلك العلامة الموعودة الا جسم كهرومغناطيسي شديد القوة يطبق على الارض لتمام المكتوب).

والتساؤل تكرر عدة مرات وكانت الإجابة مشابهة لهذه الإجابة، وهذا يستلزم بيان تصوري هنا وفق ما ترشدني إليه النصوص.

بداية لو اعتبرنا أننا على أبواب قدوم الكوكب ذي الذنب، فهو سيكون قبل موضوع طلوع الشمس من مغربها بسنوات طويلة، أي بعد المهدي والدجال وعيسى عليه السلام؛ لذا هذه الفرضية المبنية على التخمين العلمي لا أرى وقوعها بأي حال من الأحوال، لذا أرى أن هذه الفرضية لا تخرج من دائرة التخمينات العلمية.

بل الصحيح عندي أن الكرة الأرضية ستتسارع جدًا في تلك المرحلة بالذات، ولو كانت الفرضية السابقة قائمة على موضوع قرب الكائن وقوة الجذب، فقد يكون لسقوط نيزك قوي على الأرض قدرة دافعة بقوة لكتلة الأرض، مما يسرع من حركتها عند وصول الكائن، مما يجعل تأثير قوة الجذب أقل تأثيرًا من القدرة الدافعة بسبب ارتطام النيزك.

أما لماذا تسارع الزمان في ذلك الوقت بالذات!؟ فلأنه سيكون السبب الكفيل ببقاء البشرية على الأرض، ووقوف حركة الأرض تمامًا معناه اندثار الموجودات في الأرض واندفاعها نحو الفضاء.

ووفق ذلك تحمل أحاديث تقارب الزمان الذي أخبرنا به النبي ﷺ على تلك الأيام بالذات، وتباطؤ الأيام في عهد الدجال بعدها بمدة بسيطة مما يشير إلى حصول اضطراب في حركة الأرض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ الْخُوصَةُ" ([1]).

أما لماذا اعتبرت تقارب الزمان في تلك المرحلة!؟ فهذا أرشدت إليه بعض الإشارات في الانجيل، والتي تتحدث عن نفس الحدث وفيه: «لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون، ولو لم تقصَّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تُقَصَّر تلك الأيام. وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان» ([2]).

«لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يكون، ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد، ولكن لأجل

[1] أخرجه أحمد برقم ١٠٩٤٣ [المسند بتحقيق الأرناؤوط (٥٥٠/١٦)]؛ وأبو يعلى برقم ٦٦٨٠ (٣٢/١٢)؛ والطبراني في الكبير برقم ٤٣٠ (١٦٩/٢٤)، والحديث إسناده حسن وله شاهد عند الترمذي عن أنس رضي الله عنه [العدوي: الصحيح المسند (٤١٧)] و صححه الألباني [قصة المسيح الدجال (١١١)].
[2] إنجيل متى، الإصحاح الرابع والعشرون [الكتاب المقدس، العهد الجديد (٤٤)].

المختارين الذين اختارهم الله قصر الأيام. أما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط» ([1]).

هذه النصوص سبق أن تناولتها بإسهاب في الحدث الكوني، لكن ما يهمني فيها هنا أنها أبرزت الحكمة أو السبب في تقصير تلك الأيام مع حصول الحدث الكوني، والتعبير في النص واضح، وهو لو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. فهي سنة من سنن الرحمة الربانية بالبشرية، تكون سببًا في تخفيف وطأة الحدث وتأثيره الماحق.

أقول: السنة النبوية الصحيحة تحدثت عن علامة تقارب الزمان لكنها لم تحدد زمانها وأسبابها، وهناك نصوص في الإنجيل تشير إلى ربط تقارب الزمان بالحدث الكوني المرتبط بالآية السماوية، وقد أبرزت هذه النصوص أن تقارب الزمان هو من مقتضيات رحمة الله بالبشرية، فهي سنة تدخل في السياق من باب التدبير الإلهي لتلك الضربة العظيمة المسومة التي قدرها الله للبشرية.

بينما موضوع خروج الشمس من مغربها؛ فتوقيته يتنافى تمامًا مع فكرة نزول نيزك أو اقتراب كوكب ذي ذنب، حيث أن طلوع الشمس من مغربها يكون بعد عيسى عليه السلام، والكوكب ذي الذنب يكون قبل المهدي.

وقد سقت هذا التوضيح هنا لبيان تصوري للحدث وفق دائرة الوحي والنصوص، وذلك لضبط التخمينات العلمية لآثار اقتراب الكوكب من الأرض.

كذلك لا بد من بيان مسألة مهمة، وهي أن التخمين العلمي قد يبرز لك القدرة التدميرية لزلزال من الدرجة السابعة أو الثامنة على مقياس ريختر. لكن وفق فهمنا فالزلزال ليست حالة عشوائية، بل هي ضربة ربانية مسومة مضبوطة الآثار والنتائج؛

---

[1] إنجيل مرقس، الإصحاح الثالث عشر [الكتاب المقدس، العهد الجديد (٨٠ وما بعدها)].

لذا تتداخل السنن الكثيرة وتتفاعل ضمن تناسق عجيب، يحقق الحكمة الإلهية بحدودها المرسومة لها، وهذا معنى كونها مسومة...

وأعجبني مقولة منسوبة لعيسى عليه السلام فيما يتعلق بنفس الحدث، بأن رجلين في الحقل أحدهما يموت والآخر يحيى. بالرغم من تعرضهم لنفس الحدث، فهي ضربة ربانية انتقائية مسومة. فهذه سهام قدر لا ينجيك منها إلا أن تكون بجنب الرامي.

رابعًا: سيوف السماء وبداية الإشارة.

بعد تساؤل عن كثرة النيازك التي اخترقت الأرض في الآونة الأخيرة، والتذكير بنيزك سقط في أستراليا، واثنان في الجزائر وغيرهما، يجيب الأستاذ وسام بقوله: (هذا ما تم الاعلان عنه.. وهناك الكثير من الذي لن يتم الاعلان فيه... لقد نوهت منذ زمان سابق ان الارض ستتعرض لزخات من النيازك العشوائية وستزداد بالكم والعدد والحجم.. والكثير من الناس لم تصدق...

فكلما اقترب الكائن اكثر كلما زاد تعمق تلك السحابة المندفعة بفعله نحو الإمام (الارض) وبشكل عشوائي ومباغت... والنيزك عندما يصطدم بالغلاف الغازي للأرض فانه يصطدم بطبقه الستراتوسفير التي هي فوق التربو سفير وهي الطبقة الغنية بالأوزون ذو الذرات الثلاثية للأكسجين.. فتوهج النيزك ينتج من الاحتكاك السريع مع هذا الوسط المليئ بالأكسجين وينتج عنه ضوء شديد وطبعا تبعا لطبيعة النيزك وتركيبه وحجمه... الخ...

وكل ١متر قطر اي نيزك يصطدم بالأرض يسبب حفرة ل١٠٠ متر وموجه صدمة شديدة جدا فكيف بنيازك بحجم الجبال ستصطدم بالأرض عند دخولها الذيل النيزكي للكائن.. فكيف ستكون موجة الصدمة، وما هو حجم الدمار المتوقع اثر

ذلك...؟؟!! إني أتكلم الآن والكثير من الناس لا تصدقني مع أننا صرنا نلمس ما أقوله لكم بمعونة الله وهدايته في الواقع امامنا!!... ولكن هذه هي الحقيقة شاء من شاء وابى من ابى، وبالله المستعان على الاتي القريب وله الامر من قبل ومن بعد).

هذا الكلام استوقفني، وأنا هنا ألاحق كل فكرة حتى لو كانت صغيرة لعلنا نستطيع فهم المرحلة جيدًا، والكلام السابق ذكرني مباشرة برؤية قرأتها في أحد المنتديات تقول فيها الرائية: (حلمت أن السماء مليانة سيوف..).

إذًا لدينا رؤية معاصرة، وهذه الرؤية مباشرة تنقلني لمخطوطات قمران الجزء الثالث صفحة ٥١، والكتاب من تحقيق ذيب الخوري ([١])، وفيه نص مطول عن امرأة تزعم أنها نبية، لكن المحققون وضعوا نصوصها تحت عنوان وحي العرافات.

وهذا النص يتميز أنه يحمل نفس الطرح المذكور في أشعياء والأناجيل عن الحدث الكوني، لكنه هنا وضع لنا إشارة البدء بالحدث العظيم الذي يبدأ بنزول النيزك أو العلامة السماوية، والتي يطرحها البعض أنه زيارة الكوكب ذو الذنب.

النص الذي أذكره الآن يتوافق تمامًا مع الرؤية، ومع الطرح العلمي أو التخمين العلمي المتصور لبداية الحدث، تقول السيسبيل بعد كلام طويل عن بعض الأحداث، حتى وصلت لمرحلة ما بعد عيسى عليه السلام حيث السلام بين الذئاب والحملان.

ثم عرجت على بداية الإشارة الأولى بقولها: "سأحدد لك علامة أكيدة تمامًا ستسمح لك بمعرفة متى تحقق كافة هذه الأشياء، سيتم على الأرض عندما في الليل

[١] لا بد أن أنبه أن هناك على المنتديات وصفحات الفيس إشارة إلى مخطوطات، وهذا كله كذب وتدليس، للأسف استخدم البعض بردعة المخطوطات لكي يسوق كذبه وأوهامه على الناس، لكن مخطوطات قمران فهي نصوص موجودة على النت بتحقيقها العلمي وهي مشهورة، فأنا لا أنقلكم لمخطوطة مجهولة بل لمخطوطات محققة ومطبوعة وبالجزء والصفحة. البعض قد يقول: ما حاجتنا بما في هذه المخطوطات، أقول: أنا هنا أتحدث وأنقل في حدود ما يسمح لي إذن النبي عليه السلام بقوله حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج... وضمن ضوابط كثيرة قد لا تتضح للقارئ، وأنا هنا أذكرها من باب الاستئناس في الكشف عن موضوع يعتبر من أعظم وأخطر المواضيع التي قد تباغتنا في كل لحظة.

في السماء الممتلئة بالنجوم تظهر سيوف نحو الغرب، ونحو الشرق، ويسقط من أعلى السماء مطر من غبار على الأرض، وعندما يختفي نور الشمس تمامًا في سماء الظهر وأشعة القمر تظهر وتعود لتنير الأرض..". ([1])

طبعًا هذا النص ليس من مخطوطات مكذوبة كتلك التي يروج لها البعض، بل هو من مخطوطات قمران المشهورة، والكتاب بأجزائه الثلاثة موجود على النت، والنسخة التي بيدي هي من تحقيق أندريه دوبون وسومر فيلوننكو وترجمة موسى ديب الخوري.

وأنا هنا لا أسوق أي نص إلا إذا توافرت قرائن كثيرة عندي من قراءات أخرى محكمة لمدلول النص وما يحمله من معاني، وكما ذكرت نحن نبحث عن أي إشارة قد تقرب لدينا الصورة في كشف حقائق هذا الأمر العظيم الذي قد يفاجئنا في كل لحظة.

هنا النص اعتبر أن الإشارة الأولى: هي سيوف في الشرق والغرب، وهذا المعنى توافق مع الرؤية المطروحة هنا، حيث رأت الرائية السماء مليانة سيوف.

المقصود بالسيوف هنا هو ذلك الغزو النيزكي على الأرض قبل قدوم الكوكب ذي الذنب؛ حيث تبدأ تلك الضربات المتكاثرة باختراق جو السماء من تلك الشهب الكثيرة المدفوعة بقوة من حركة الكوكب نحونا، بما يشير أنه قبل قدوم الكوكب سنلحظ ظاهرة شهب كثيرة تضيء الليل كأنها نصال للسيوف البراقة.

ونلحظ هنا أن السيسبيل بينت أن هناك مطر من الغبار من أعلى السماء نحو الأرض، وهذا توصيف لظاهرة الدخان من جهة، وما ينتج عن سقوط بعض الحجارة من غبار ينتشر في الغلاف الجوي، وما يترتب عليه من أطنان من غبار

---

[1] مخطوطات قمران، ترجمة ذيب الخوري (٣/ ٥١).

البراكين التي تندفع للغلاف الجوي وتسبح في كل اتجاه، إضافة لغبار ذيل الكوكب الذي يدخل في المعادلة أيضًا، إنها آية الدخان المبين الذي يغشى الناس.

ونلحظ هنا التوافق في التوصيف العلمي للظاهرة مع ما طرحته الرؤية وما أشارت إليه مخطوطات قمران عن بداية الحدث والله أعلم.

ولا بد من توضيح بعض الأمور الهامة المتعلقة بهذا الأمر، سواء كان نيزك أو مرور كوكب ذي ذنب أو غيره من الآيات السماوية، وأهم هذه الأمور أن العلماء المتخصصين عندما يتحدثون عن أي حدث أرضي أو سماوي؛ إنما يتحدثون عنه بطريقة تحكي معطيات يتصورونها بعيدًا عن تلك الدلالات التي يعطيها لنا القرآن الكريم في بيان طبيعة العقوبات الربانية وما يرافقها من أمور.

فالعالم يتعامل مع حسابات تخضع لدائرة الحس والتخمين ويعطي تصوراته وفقًا لذلك، وفي الغالب تغيب عنه كثير من السنن التي لم يحط بها علمًا، لذا تأتي تقديراته تخمينية عامة، قد تكون بعيدة عن فهم الحقيقة المرتقبة في بعض جوانبها، وإن كان قد أصاب في إعطاء تصور عام لها.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه المقالة المركبة؛ لكي تمزج بين فهمنا لعالمي الحس والعقل ودائرة الوحي، في بيان طبيعة الأحداث العظيمة التي تحمل مدلول العقوبة الربانية.

بداية أي حدث سواء كان زلزالًا أو تسونامي أو إعصار أو نيزك هو في حقيقته ليس حدثًا عشوائيًا، بل هو قدر إلهي مفروق بحكمة لا يمكن لكائن أن يحيط بعناصرها، لذا نلحظ أن القرآن قبل أن يتحدث عن آية الدخان أشار لهذه القضية، التي يجب أن تكون في الحسبان يقول الله ﷻ: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا

مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦" [الدخان].

هذه الآيات جاءت قبيل الحديث عن آية الدخان، ونلحظ أنها ربطت الأمر بين نزول القرآن بكونه إنذارًا إلهيًا، وبين الحكمة في كل أمر يقدره الله ويفرق في ذات الليلة، وبين رحمة الله.. إنا كنا منذرين.. يفرق كل أمر.. رحمة من ربك.. فارتقب يوم تأتي السماء..

إذا حتى العقوبات مهما عظمت فهي تدور مع الحكمة والرحمة، والرحمة فيها تكون الغالبة وهي لمن يستحقها، فالعقوبة وإن كانت أليمة فهي تأتي رحمة لضعفاء؛ عجزت الحيل أن تدبر لهم، ووصلوا لدرجة استيئاس اقتضت تدخلًا رحيمًا لهم من قبل الله.

لذا لا يمكن النظر لفكرة الكوكب ذي الذنب كأنه فيما يحصده سيكون عشوائيًا بالنتائج، بل هو خاضع في كل صغيرة وكبيرة لرحمة الله وحكمته، وفي الحديث الصحيح: "رحمتي سبقت غضبي"، وهذه العبارة مكتوبة فوق العرش لتكشف لنا الميزان وسنن الله حتى في عقوباته، فالرحمة في كل حدث غالبة للغضب.

وهنا في سورة الدخان، وقبل الحديث عن الآية المخوفة العظيمة قال الله: "رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، أما لماذا السمع والعلم!؟ فهو يسمع دعاء الصادقين والمستضعفين ويعلم آلامهم، فهو ليس بمعزل عما يجري حولهم؛ لذا من مقتضيات سمعه وعلمه ضمن لحظة الإجابة الحكيمة تأتي السماء بدخان مبين.

هذه القضية الأولى التي أردت بيانها، أما المسألة الثانية وهي متعلقة بتدبير الله من خلال ملائكته، حيث نلحظ أن مسألة الآيات دائمًا ترتبط بالملائكة، يقول الله ﷻ: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ

يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ" [الأنعام١٥٨].

هنا نلحظ تعلق موضوع إتيان الملائكة مع موضوع آيات الله، ويراد بها هنا الآيات العظمى والعلامات العشر، بل نزول نيزك ارتبط أيضًا بموضوع الملائكة، حتى في ردود أهل مكة على النبي محمد ﷺ؛ مما يشير إلى أن الفكرة كانت حية يثيرها النبي ﷺ من حين لآخر، يقول الله ﷻ: "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلًا" [الإسراء٩٢].

فالآية هنا ربطت بين سقوط الكسف كما كان يطرح النبي محمد ﷺ لهم وبين موضوع الملائكة، وهذه الإشارات أبرزتها لنا دائرة الوحي من خلال القرآن الكريم، ونفهم منها أن العقوبة لا تكون إلا ويكون معها جيش من الملائكة يكفلون – بقدر من الله وتدبيره– أن تكون الضربة مسومة وفق الحكمة المقدرة لها.

وهذا الأمر نلاحظه في العقوبات الأخرى المطروحة في القرآن الكريم، فقصة قوم لوط ﷺ هي في ظاهرها انفجار وزلزلة بركانية قوية جدًا حصدت المكان كاملًا، لكن القرآن عندما تحدث عن الحدث ربطه بالملائكة التي أنيط الأمر بها، هذا خطابهم مع إبراهيم ﷺ: "قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧" [الذاريات].

إذا هذه الآيات تبرز تدخل الملائكة مباشرة في الأمر، حيث قامت بإخراج المؤمنين ثم بدأ إرسال الحجارة المسومة؛ فالحدث ملائكي بامتياز، لكن في سورة الحجر بدأ بيان الأمر وفق سننه الطبيعية يقول الله ﷻ: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ٧٤" [الحجر].

الصيحة هي الانفجار البركاني المفاجئ في ساعة الصباح (الصيحة وساعة الصفر)، ثم زلزلة الأرض بسبب الانفجار البركاني (عاليها سافلها)، ثم بداية المطر البركاني الفظيع وغزو الحجارة الضخمة لهم في كل مكان.

وهذا التصوير ذاته وقع في بدر، فظاهر المعركة كان طبيعيًا بين جيشين، وكان للملائكة تدخلًا مباشرًا ومؤثرًا بالمعركة بكل حيثياتها، لكن بكيفية لم تكن ملحوظة بشكل مباشر صريح.

وهذا الأمر نتصوره في كل العقوبات الأخرى المطروحة في القرآن الكريم، لذا كانت ريح عاد الصريم والقاتلة التي دمرت البلاد وأهلكت عاد؛ كانت بردًا وسلامًا على هود عليه السلام ومن معه، ضمن تدبير إلهي عظيم يفوق تصوراتنا.

وفي غالب الضربات الربانية نجد أن لجبريل عليه السلام من بين الملائكة له تعلق بها، وجبريل عليه السلام هو ملك الجبروت؛ لذا كانت اليهود تعاديه وتهابه لأنه في نظرهم دائمًا يأتي بالعقوبة لهم، وهذا ما صرحت به سورة البقرة. وجبريل وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه شديد القوى، ومكين ذي قوة عند ذي العرش مكين. وكلمة القوى جمع قوة مما يشير إلى تميزه بقوى متنوعة بقدر الله.

وحدث عظيم كآية الدخان سيكون للملائكة نصيب وحظ أوفر فيها، كما أعطتنا هذه الإشارات سورتي الأنعام والإسراء، وهذا أمر سأفصل به بإذن الله.

إذًا **ملخص ما سبق:** هو أن هناك ضربة مسومة تتعلق بآية الدخان وهي من لدن حكيم، وهذه الضربة هي من مقتضيات رحمة الله بالبشرية التائهة لتعود لمسارها من جديد. وهذه الضربة المسومة ظاهرها مرور كوكب أو نزول نيزك، لكنها في ثناياها أيضًا تدخل ملائكي عظيم، لعل من أهم عناصره هو ملك الجبروت جبريل عليه السلام.

وقبل بياني لهذا الجانب من خلال ما لدي من قرائن، أود أن أوضح قضية أخرى مهمة لها علاقة بطبيعة الضربات المسومة، وهذا ينقلنا إلى طوفان نوح عليه السلام، وللحظة حيوية مهمة تبرز لنا أهم سنن الله لحظة العقوبة، يقول الله سبحانه وتعالى: "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣" [هود].

إذًا سآوي إلى جبل يعصمني من الماء؛ هذا إشارة إلى الأخذ بسبب حيوي للنجاة، وجاء الرد من نوح، أن الأسباب وقت العقوبة تستعصي على أصحابها ولا تنفعهم أحوج ما يكونون إليها، فلحظة العقوبة تحتاج لنظر للمسبب وليس للسبب؛ فمهما كان السبب مكينًا فإنه لن ينفع صاحبه إلا بقدر من الله؛ لذا لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

وهذا الكلام يتوجه أيضًا لأولئك الذين يظنون أن تحصيناتهم المكينة قد تنفعهم حال نزول نيزك أو مرور كوكب، وهذا سر الضربة الحكيمة المسومة؛ إنها تتعلق بالشخوص أكثر من تعلقها بالأماكن، فسهام القدر لا يملك أي حائل أن يحول دون إصابتها.

هذه المعلومات التي رغبت بطرحها هنا فيما يتعلق بنيزك أو مرور كوكب، أو آية الدخان. بقي الآن البحث عن القرائن المعينة على الفهم لهذه الظاهرة وفق ما طرحت من معلومات، وهنا يأتي دور عالم الرؤى في تزويدنا ببعض المعلومات المهمة.

يقول الرائي: (رأيت أني بغرفتي وشعرت بشيء بالخارج فخرجت إلي سطح المنزل فرأيت في السماء أشياء تتحرك في جميع الاتجاهات وكانت تخترق السحب

وتبددها من شدة السرعة ولم تكن واضحة ووقع في قلبي أن هناك حرب من الملائكة على الشياطين وجاء صوت يقول لي: الله ارسل الملائكة لحرب الشياطين ثم لتنزل على الأرض وتحمي المسلمين من يوم كيوم نوح عليه السلام ٢٠١٥/١٢/٣١).

هذه الرؤية الأولى، ونراها تسير في ذات الفهم والسياق المطروح قبلها، وتوصيف اليوم بيوم كيوم نوح إشارة إلى أنه يوم عظيم تتأثر به كل الأرض، أما نزول الملائكة وحربها للشياطين، فهذا أمر لا نراه لكن الرؤية أرشدت إليه؛ مما يشير إلى أن المرحلة معدة لوضع عالمي جديد، وإن كنا بحواسنا لا ندرك عناصره...

كذلك العجيب في الرؤية أن الملائكة ستنزل لتحمي المسلمين أو المؤمنين، وهذا المعنى هو عين ما طرحته في قصة هود ولوط وطوفان نوح، فالضربة المسومة تتعلق بالشخوص أكثر من تعلقها بالأماكن.

والعجيب أن هذا المعنى أرشد له عيسى في الإنجيل، عند حديثه عن الآية العظيمة التي تنتظر المسكونة، وقد أخذت هذا النص لأنه يسير بانسجام سنني مع ما طرحته من عقوبات، وما أشرت إليه من دلالات فأقل أحواله أنه موافق للمطروح، وقد تدخلت بكلمة واحدة فيه وهي كلمة ربي بدل كلمة أبي هنا:

«وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ (ربي) وَحْدَهُ. ٣٧وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. ٣٨لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ،٣٩وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. ٤٠حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. ٤١اِثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى». ([1]).

[1] إنجيل متى الإصحاح ٢٤.

العجيب في هذا النص أنه يتوافق مع الرؤية التي جمعت بين الطوفان وبين الحدث الكوني وآية الدخان، كذلك يبرز أن الأمر يبقى خفيًا حتى اللحظة الأخيرة، لكن حتى طوفان نوح عليه السلام كانت هناك إشارات عند المؤمنين عن وجود أمر إلهي، لكن فقط غاب عنه لحظة الحسم ونقطة الصفر فيه.

كذلك هذا النص يؤكد على ما طرحته من أن الضربة المسومة تهتم بالشخوص أكثر من اهتمامها بالأماكن، وهذا جاء التعبير عنه في آخر النص من اثنين في الحقل يقتل أحدهما بالحدث وينجو الآخر، واثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ واحدة وتنجو الأخرى، وهذا معنى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم. فالضربة المسومة الحكيمة انتقائية وليست عشوائية.

وهذا ينقلني أيضًا لرؤى أخرى تبرز الموضوع بشكل أوسع، يقول الرائي: (رأيت في الرؤية ان صوتًا قادمًا من السماء وهو صوت رب العالمين يأمر سيدنا جبريل أن ينزل الرسالة إلى الأرض). فقط لم يذكر تاريخ الرؤيا لكنها وضعت في مواقع التواصل يوم ٢١ جويلية ٢٠١٦.

ورؤية أخرى لأخت مصرية اسمها تسنيم رأت الليلة قبل الماضية جبريل ينزل من السماء للأرض. (لا يوجد تاريخ للرؤية).

والرؤية الثالثة: يقول الرائي: (رأيت فجر هذا اليوم الجمعة ٢٢ مارس ٢٠١٣م أن جبريل عليه السلام سينزل الأرض ليقتل الشيطان، وأن مدة مكوثه في الأرض أسبوع، وكنت في بيت جدي نترقب نزوله ليلا وقمت بإطفاء الانوار حتى نتمكن من رؤيته قال لي جدي يرحمه الله سبحانه وتعالى لا تطفئ الأنوار كلها انظروا سينزل بالقرب من الثريا وكانت الثريا واضحة لنا، ثم رأيت الكعبة وبجوارها رأس كبش (خروف) معلق في الفضاء لوحده وبارتفاع الكعبة).

أما الرؤية الرابعة فيقول الرائي: (السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. هذه رؤيا رأيتها بعد صلاة الفجر أن جبريل عليه السلام نزل إلى الأرض يبارك طفلا).

هذه الرؤى الأربعة ترشد إلى ذات الموضوع، وتتعاضد مع الرؤية السابقة التي تدل على تدخل ملائكي، لكن تتميز هذه الرؤى بالتصريح بنزول جبريل عليه السلام، ومكوثه أسبوع قد يكون إشارة لسبع سنوات.

ونلحظ في الرؤية الأخيرة التصريح بقتل الشيطان، فهل ذلك إشارة إلى يوم الوقت المعلوم!؟ الأمر محتمل، وتكون الآثار التي تشير إلى بقاء شياطين إلى اللحظة الأخيرة من الكون؛ إنما ترشد إلى بعض ذرية إبليس، أما إبليس فينتهي أمره مع الحدث العظيم (الآزفة)، وهذا سر عدم إجابة الله له في أن ينظره إلى يوم يبعثون، وجعل الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، مما يعطينا قرينة أن نهاية إبليس تكون قبل يوم القيامة.

أما الرؤية الرابعة فتذكرني بموضوعي (مهمة ملائكية خاصة) أي مهمة مزدوجة؛ حيث أنه يكون مع الحدث بداية الانطلاق للعالمية الثانية للإسلام، وهذا معنى الرؤية التي يقول صاحبها أنه سمع هاتفًا يقول: (تذهب زهرة الحياة الدنيا ويخرج الخليفة) بما يوحي بتلازم الأمرين.

ومسألة التدخل الملائكي وجدت له قرائن في سفر الرؤيا في العهد الجديد، وفي وحي السيسبيل في مخطوطات قمران، حيث جاءت النصوص لتربط بين الحدث المتعلق بآية الدخان وبين نزول ملائكي عظيم.

ملاحظة: هذا الموضوع هو إشارات سريعة حتى لا أتعب القارئ؛ لأنني وجدت نفسي لو أردت ملاحقة كل الإشارات والقرائن أصبح الموضوع متخمًا ومملًا

لكثرة تشعباته، لكن أرجو من الله أن يتم فيما طرحت من دلالات، وهناك الكثير من القراء لديهم الكثير من القرائن يستطيعون إضافتها لما طرحت هنا.

أشراط الساعة

الإسراء والمعراج [1]

بعض الوقفات والأسرار التي تتعلق بعلامات الساعة

سبحانك اللهم تسبيحًا وتنزيها وتعظيمًا وتقديسًا، وحمدًا وشكرًا وثناءً، وإجلالًا وإعظامًا يكافئ ويوافي تسبيح المسبحين وحمد الشاكرين وشكر العابدين وثناء العارفين لك يا رب العالمين إلى يوم الدين، وأستغفر الله العظيم، غفرانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك، غفرانك ربنا لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأصلي وأسلم وأبارك على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين ورسول الإنسانية جمعاء، الذي أكرمه الله ﷻ بأن رأى من آيات ربه الكبرى.

[1] هذا مقال اخترت عناصره من آخر خطبة لي بعنوان الإسراء والمعراج، وذلك يوم الجمعة ٢٤/ رجب / ١٤٣٥هـ، المقال كتبته على عجالة من أمري رعاية لبعض الأفكار من الضياع. وسأعيد صياغته بإذن الله مرة أخرى.

ثم أما بعد:

أحبابنا الكرام؛ نتنسم في شهر رجب ذكرى عظيمة، كانت تسرية لقلب الرسول الأعظم وإسراءً بجسده وروحه إلى السماء في أعظم رحلة عرفها الكون، إنها ذكرى الإسراء والمعراج. وأنا في هذه العجالة المباركة سأتحدث عن بعض دلالات هذه الرحلة من خلال النقاط التالية:

أولًا: توقيت الرحلة.

الرحلة كانت في أصعب الظروف التي مر بها الحبيب محمد عليه السلام، فهو خلال العشر سنوات الأولى من دعوته تعرض إلى حرب شعواء هو وأصحابه، فمن التكذيب والحرب الإعلامية إلى التعذيب للأصحاب، والنبي الكريم يمر على أصحابه يتعذبون ولا يملك لهم شيئًا، تدور نظراتهم نحوه فيتعذب بعذابهم، ويتألم لآلامهم، ثم يشتد الأمر على النبي وصحابته عندما حاصرهم أهل قريش بشعب أبي طالب.

إذًا تكذيب وتعذيب وحصار اقتصادي، يبحث النبي الكريم عن الفرج خارج مكة، فتتجه أنظاره نحو الطائف، خرج النبي ﷺ إلى الطائف رجاء أن يؤووه وينصروه، واصطحب في رحلته هذه زيدًا مولاه، ولما وصل الطائف بعد ستين ميلًا مشيًا على الأقدام؛ عرض نفسه على أشرافهم لعله يجد منهم منعة أو نصرة، فنالوا منه وأساءوا له، وأقدعوا في حقه وأذاقوه أشد من قومه، وسلطوا غلمانهم وسفهاءهم عليه، فرموه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان، وزيد رضي الله عنه يقيه بنفسه.

وكان في عرف العرب أن من مات بسبب إيذاء لرجليه، أو ما شابه ذلك من المواطن التي ليس فيها مقتل فليس له دية؛ لأنه لا يقتل من هذه المواطن إلا الذليل في عرفهم، واستمر السفهاء يلاحقونه حتى ألجئوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فعمد النبي ﷺ إلى ظل شجرة عنب فجلس تحتها مستظلًا بها، وقام فصلى

ركعتين وناجى ربه قائلًا: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمرى، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا قوة إلا بالله» ([1]).

مناجاة صدرت من الحبيب تحمل من المعاني ما لو ذرفت الدموع وجرت أنهارًا لن توفيها حقها، أعظم مخلوق وخير قدم وطأت المعمورة يتعرض لكل هذا الإيذاء والإهانات، ثم يناجي الله شاكيًا له ضعفه وهوانه على الناس، ومعتذرًا بين يدي ربه ومتعوذًا من غضبه وسخطه.

في هذه الأجواء وفي ذلك التوقيت بالذات بدأت رحلة السماء، وكأن الله ﷻ يقول لمحمد ﵇: يا رسول الإنسانية إن حاربتك الأرض فهذه السماء بكل أهلها ترحب بك، وتستقبلك استقبالًا فيه من التكريم والتشريف ما لم ينله أحد من البشر.

هنا أود أن أذكر لطيفة مهمة، وهي أن القرآن الكريم في ترتيب سوره توقيفي؛ أي أن السور والآيات رتبت بهذا الترتيب الذي بين أيدينا من خلال الوحي.

والمعلوم أن سورة النحل تسبق سورة الإسراء، جاءت آخر آيات من سورة النحل لتحكي حال النبي ﵇ قبل الإسراء، وطبيعة الحرب القائمة في حقه وحق أصحابه، وجاءت بداية سورة الإسراء لتحكي بداية الفرج.

يقول الله ﷻ: "وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ١٢٨"، "سُبْحانَ

[1] انظر المقدسي: الأحاديث المختارة (١٨١/٩)؛ الهيثمي: مجمع الزوائد (٣٥/٦).

الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١".

هذا الترتيب القرآني يحكي الحدث بكل دلالاته في آخر سورة النحل وأول سورة الإسراء، إنها حرب الأرض وترحيب السماء، وقد استخدم القرآن للدلالة على معجزة الإسراء لعظمتها صيغة التسبيح (سبحان)، وهي صيغة على وزن فعلان التي تفيد الامتلاء، بمعنى أن هذه المعجزة اقتضت صيغة تسبيح تستوعب الزمان والمكان والأكوان، وهذا بخلاف صيغة سَبَّحَ الدالة على الماضي، أو صيغة يُسَبِّحُ الدالة على الحاضر، أو صيغة سَبِّحْ الدالة على المستقبل.

واستخدام هذه الصيغة مع حادثة الإسراء، والتي تحمل مطلق التسبيح في كل وقت، ومن كل ذرة في الكون؛ إنما يدل على عظمة هذا الحدث ودلالاته المتنوعة.

الوقفة الثانية: هل لنا نحن أيضًا رحلة تسرية لنا في القرن الخامس عشر؟

أحبابنا الكرام؛ كما بينت أن آخر سورة النحل طالبت النبي الكريم وصاحب الرسالة بالصبر والاحتمال، بعيدًا عن الحزن الشديد الذي كان يغمره، مما يرى من إعراض وكيد بالرسالة وأهلها، وبينت الآيات أن معية الله هي مع المحسن والمتقي، وهذا المعية حتمًا ستنتصر أهلها مهما كانوا ضعفاء ومهما اشتد الكيد والمكر حولهم، وكان أول مظاهر النصر والتأييد لصاحب الرسالة بعد هذه الآيات هي إكرامه برحلة الإسراء، كما بينت أول آية في سورة الإسراء.

ونحن الآن نعيش نفس دلالات آخر آيات سورة النحل، حيث يعيش المسلم غربة شديدة وحيرة وتيه ومكر تزول منه الجبال، يعيش حالة من التكذيب والحرب الإعلامية، وحالة من التعذيب، وحالة من الحصار والإحصار حتى لفكره، ولسان حال الآيات يخاطبنا قائلًا: اصبروا وما صبركم إلا بالله.

لكن يأتي تساؤل: هل لنا إسراء كما لصاحب الرسالة؟ سبحان الله! لقد تضمنت سورة الإسراء بشارتين: الأولى لصاحب الرسالة برحلة الإسراء تسرية لقلب النبي ﷺ، والثانية لأهل هذا القرن عند اشتداد الكيد بهم، حيث جاءت الآيات بما تحمله من تسرية لقلوبهم، لتقول لهم: مهما بلغ علو اليهود وكانوا الأكثر نفيرًا؛ فالعاقبة ستكون لأهل الحق، "فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا".

فالإسراء وهي الرحلة ليلًا لصاحب الرسالة كانت تسرية وتفريج لصاحب الرسالة بعد ضيق وحزن وكيد شديد، ليرى من آيات ربه الكبرى. والتسرية على أهل هذا القرن تضمنته نفس سورة البشارة سورة الإسراء، ببيان أن كل كيد اليهود وتمكنهم لا محالة سينتهي على يد (عباد لنا).

الوقفة الثالثة: البيت الأول والبيت الثاني.

رحلة الاسراء كانت من البيت الأول إلى البيت الثاني من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لماذا؟ لم يعرج النبي ﷺ من المسجد الحرام وهو أعظم بقعة في الأرض، هذا له دلالات كثيرة لا تستوعبها هذه العجالة، لكن من هذه الدلالات التي استوعبتها من خلال دراستي أن بوابة السماء هي فوق المسجد الأقصى، والرحلة الأرضية كانت مطلوبة لكي يدلل النبي ﷺ على مصداقية رحلته؛ حيث أخبر من حوله من صحابة ومشركين عما رآه في رحلة الإسراء من قوافل ونحوها.

المهم هنا قضية أحب أن أطرحها هنا، وهي مسألة البيت الأول والبيت الثاني، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ:

«أَرْبَعُونَ سَنَةً» ([1])، فالحديث صريح أن البيت الأول الذي وضع للناس المسجد الحرام والبيت الثاني المسجد الأقصى.

قبل العالمية الأولى للإسلام والتي بدأت بصاحب الرسالة وفي عام ميلاده، كان هناك مكر وكيد بالبيت الأول؛ لهدمه من أهل الكتاب النصارى (أبرهة الحبشي)، وكان أهل البيت ضعفاء عن نصرته، فقال كبيرهم عبد المطلب جد النبي: (للبيت رب يحميه)، فكانت آية الله وحمايته بقصة طير أبابيل.

إذًا هذا حال العالمية الأولى للإسلام، والعالمية الأولى ابتدأت بالنبوة والخلافة على منهاج النبوة، ثم انقطعت بالملك العضوض والحكومة الجبرية، لتبدأ العالمية الثانية للإسلام بعودة الخلافة الراشدة بعد الحكومة الجبرية.

إذًا قبل العالمية الأولى للإسلام كان هناك كيد ومكر من أهل الكتاب نحو البيت الأول، والآن قبل العالمية الثانية للإسلام نجد نفس الكيد والمكر من أهل الكتاب لكن بالبيت الثاني وهو المسجد الأقصى، قبل العالمية الأول كان المكر بالبيت الأول، وقبل العالمية الثانية كان المكر بالبيت الثاني، أهل المكر في الحالتين هم أهل كتاب، في الأولى نصارى والثانية يهود، والهدف النهائي هدم البيت وبناء الهيكل.

قبل العالمية الأولى كان أهل البيت وحماته ضعفاء؛ لذا لسان حالهم للبيت رب يحميه، فكانت طير أبابيل. قبل العالمية الثانية أهل البيت هم أكثر من مليار مسلم، ويمتلكون إمكانات هائلة جدًا، لكن هناك تواطؤ وخنوع وتضييع للبيت وترك الدفاع عنه لفئة قليلة من سكان بيت المقدس يسامون يوميًا جميع أشكال التضييق،

---

[1] أخرجه مسلم.

مليار مسلم يتركون حماية أعظم بيت مقدس لديهم لجمع من الضعفاء والمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة!

الأصل أن تقوم الأمة بحماية البيت من باب المعذرة بين يدي الله، لكن هناك دفن للرأس في الأرض، هناك تخاذل، والأقصى الآن في أقصى درجات الخطر وفي اللحظات الأخيرة، لكن إن استمر التواطؤ والخذلان؛ فأقول مستسلمًا: للبيت رب يحميه. وأظن أن هذه المرة لن تكون طير أبابيل، ولكن قد تكون الحدث الكوني كما فسرته خلال المدونة؛ حيث ارتبط الحدث برجسة الخراب في المكان المقدس.

*****

خراب يثرب والسر الأعظم والتوقيت العجيب

هذا المقال هو إضافة مني على ما ذكرته في كتابي عن خروج أهل المدينة، حيث شرحت هناك مدلول هذه العلامة، وحددت معالم وتوقيت الحدث وارتباطه بالحدث الكوني، وبخصوص خراب يثرب بالذات ذكرت شرحًا تقليديًا، هو المتبادر للذهن عند أي باحث.

لكن العشر سنوات الأخيرة من حياتي عمقت فهمي لكثير من العلامات خاصة بعد توسعي في دراسات تاريخية ودراسات واسعة للماضي، انتهى بي الأمر أن أقف من جديد أمام حديث خراب يثرب، أقف مدهوشًا متأملًا؛ حيث اكتشفت أن هذا الحديث يحمل من الأسرار ما يعتبر لوحده أكبر دليل من دلائل نبوة محمد ﷺ. حديث يشهد بكل حرف من حروفه لنبوة محمد ﷺ.

ولن أكون مخطئًا في التوصيف إذا قلت هنا أن هذا الحديث عندما استبان عندي دلالته، كان أشبه عندي في القوة والدلالة كقوة فلق البحر أمام أعين بني إسرائيل. بعد فهمي للحديث ومدلولاته وقفت بلسان حالي ومقالي، وليس على لساني إلا عبارة: أشهد يا محمد أنك رسول الله، أنك رسول الحق؛ لأنك بهذا الحديث قد كشفت الماضي الغابر، قبل أن تعبر عن المستقبل.

سأضع الحديث هنا، وأضع فهمي التقليدي الذي كتبته عنه:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ. ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ". ([1]).

وهذا شرحي التقليدي:

(في حديث معاذ بن جبل ﷺ جاء الربط بين أمرين وهما: أن خراب المدينة له علاقة زمنية بعمران بيت المقدس، وعمران بيت المقدس كما يدل عليه سياق الحديث يراد به نزول الخلافة في عهد المهدي ﷺ؛ لارتباط العمران بخروج الملحمة، وهذا يكون في آخر الزمان).

وأظن أنني شرحته في غير هذا الموضع في كتابي، لكن كل شروحاتي تدور في فلك هذا الشرح التقليدي.

لكن ما أقوله الآن عن هذا الحديث أنه من أعظم دلائل النبوة، وأنه يحمل السر الأعظم لعلامات الساعة ويبرز التوقيت للأحداث، ويتعاطى مع سنة ربانية عظمى تتجلى فيها الرحمة والحكمة الربانية، وأكاد أجزم أن علماء الحاضر والماضي

[1] أخرجه البخاري برقم ١٨٧٤ [البخاري مع الفتح (١٩٧/٤)؛ وأبو داود برقم ٤٢٩٦ واللفظ له (١٨٣/٤)].

كانوا غافلين عن مدلوله الحقيقي، ومن كُشف له مدلوله لا محالة سكت عن بيانه، وهذا ما يحصل معي الآن...!

فالآن ليست مرحلة كشف مدلوله، لكن ما أستطيع أن أجزم به الآن أنه عند وقوع هذه العلامة؛ ستكون صادمة للجميع، وقد يكون بيننا وبينها سنوات قلائل –الله أعلم–.

قد يقول القارئ: ما قيمة هذه الألغاز ما دمت لم تكشف لنا مدلولها!؟ أقول للقارئ: اعذرني، فقد قصدت من كلامي فقط تنبيه المتبحرين في علم الفتن، للانتباه لهذا الحديث؛ فهو العلامة الفارقة والفيصل، وفيه دلالات ليس من الحكمة طرحها الآن، لكن الأيام القادمة ستكشف للقارئ أن كل كلمة كتبتها هنا كنت معذورًا بها.

أنا فتحت المجال للتأمل بالحديث، وقد يأتي الوقت المناسب لكشف أسراره بطريقة علمية منهجية، كلفتني –ليفهم القارئ– مئات الساعات من الدراسة والتأمل والتحقيق.

*****

هل نحن في مرحلة الهرج!؟

سبحان الله! عندما كتبت كتابي الموسوعة، وقد بدأت الكتابة فيه قبل أكثر من عشر سنوات، علمت خلالها مدى عظمة هذا العلم، ومدى صعوبة كشف أسراره، واستخراج درره الكامنة، وقد ولجت بوابة هذا العلم (والعلم عند الله) بقلب

متفتح شغوف نحو اكتشاف الأمور الغيبية من مصادره الأصلية، فكان العطاء الرباني والفضل الإلهي الذي تعجبت منه بعد نهايته: "وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ"، ﷻ يخلق الفضل وينسبه لمن شاء من عباده.

كانت من أهم النتائج التي توصلت إليها هي:

١- حسن الترتيب والتنظيم لعلامات الساعة، وهذا الباب لم أجد من نجح به بطريقة علمية موضوعية.

٢- اجتهادات واستنباطات جديدة خاصة فيما يتعلق بآية الدخان، وهذا الموضوع قبل عشر سنوات لم يكن يذكر عند البعض، والآن أجد الكثيرين يشيرون إلى ما يشبه النتائج التي وصلت إليها، بل الغريب أن بعض الرؤى (إن صدقت) تحكي تفاصيل كتبتها قبل عشر سنوات.

٣- اجتهادات واستنباطات جديدة في كثير من الأمور والظواهر ذات العلاقة بعلامات الساعة، ومحاولة لفهم الأمور القريبة المستقبلية، هنا أذكر عبارات لي كتبتها قبل عشر سنوات تحت علامة الهرج:

(وفي ظني أن مرحلة الهرج وإن بدأت إرهاصاتها في الماضي ونعيش بعض أشكالها في الحاضر، كما نرى في العراق والسودان والجزائر وغيره؛ إلا أن السقف الأعلى منها لم يقع بعد أو الصورة التي يصدق القول فيها أنها أيام الهرج لم تحصل؛ حيث أتصور أنها تمثل مرحلة فوضوية عارمة في جميع البلدان، لعل آخرها ما يحصده حسر الفرات عن جبل من ذهب، حيث يُقتل من كل تسعة سبعة، فحالة الهرج المقصودة لم تأت بعد، ودلائل الحال تشير إلى أنها قريبة).

سبحان الله! كتبت هذه الكلمات قبل عشر سنوات، ونحن الآن نعيش إرهاصاتها بنفس الوصف، وما زال الأمر في بدايته، وأسأل الله أن يسلم ويجعل عاقبة الأحداث التي نمر بها هي خير للأمة.

وخلال عشر سنوات وجدت أن كثيرًا من اجتهاداتي وفهمي للنصوص لم يتغير إلا في حدود ضيقة، تتعلق بخراب المدينة المنورة وعمران بيت المقدس، والاقتتال على كنز، وفهم موضعي لبعض الأحداث، وبعض المفاهيم الجديدة تتعلق بظاهرة الدجال والمهدي، وهي ما سأطرحه تباعًا.

وتغير فهمي للنصوص السابقة ليس في علة فيما كتبته، بل في زيادة فهمي لهذه الظواهر، خروجًا عن الفهم التقليدي لها كما سطرته، للأسف الناس تبحث عن الإثارة، ولا تبحث عن العلم المضبوط بضوابط الموضوعية، هذه المدونة تتضمن منهجية علمية موضوعية واعية، مضبوطة بالكتاب والسنة، ومليئة بالاجتهادات العلمية الطيبة في هذا الشأن، وما زلت أجد زهدًا في التعاطي معها بالرغم من أهميتها.

فعلم علامات الساعة علم عزيز ولا يؤخذ إلا من مصادره المعتبرة، وأستغرب ممن يخوضون في هذا العلم دون أن يحصل لهم فَهْم مجمل لكامل عناصره، فهؤلاء يكون لديهم صورة؛ لكنها صورة مبتسرة يسهل دخول الخلل فيها، ويسهل عليهم الوقوع في الفتن من حيث لا يشعرون.

والحمد لله أنني كنت أكبر مستفيد من كتابي هذا؛ لأنه بصرني إلى مواطن الفتن، ومنهجية تجنبها ضمن صورة تكاملية من عهد النبي ﷺ إلى يومنا، فعلم الفتن لا يجزأ؛ لأنه مترابط العناصر من فتنة الإمام عثمان رضي الله عنه ليومنا الحاضر، لذا ما زلت أدعو زائري مدونتي إلى تصفح مواضيعها؛ ففيها من الدرر الكثير.

*****

استدراك على مقالتي بعنوان:

غرابة ظاهرة المسيح الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

لاحظت في أحد المنتديات أنه نقل مقالي بعنوان: (غرابة ظاهرة الدجال) ووجدت بعض الردود عليه، وهذا يستوقفني هنا للتوضيح التالي:

أولًا: موضوع علامات الساعة خاصة الكبرى أمر لا يسهل الجزم فيه في التفاصيل، ويصعب التعاطي معه إلا من خلال دراسة علمية متكاملة لكل الأحاديث التي تخص أي موضوع من مواضيعها. والمسيح الدجال على وجه الخصوص يحتاج لفهم ظاهرته؛ الإلمام بمجموع الأدلة ثم مناقشة كل دليل على حدة، ثم محاولة الجمع بين التعارض الظاهري بينها، وهذه مسألة صعبة جدًا.

لذا نجد في المنتديات أن كل المواضيع التي تتعلق بالدجال أو المهدي لا تنتهي إلا بمزيد من الحيرة والتيه، والسبب هو في عدم اكتمال القدرة على الاستنباط،

أو الإحاطة بمجموع الأدلة، وبالرغم من أنني كتبت موضوع الدجال في كتابي قبل عشر سنوات إلا أنني بعد قراءات متعددة لم أجد ما أغيره فيه.

لكن بخصوص مقال: (غرابة ظاهرة المسيح الدجال)؛ فهو مقال مجتزأ من موضوع متكامل عن ابن صياد والدجال، والمقال يتكلم عن الخلاصة، وبالتالي فهمه جيدًا يستلزم قراءة كل المقالات ذات العلاقة.

ثانيًا: وجدت في أحد المشاركات لعضو معرفه (الوعد الحق) هذه المداخلة: (ولكن كل الاحاديث الصحيحة تشير الى ان الدجال رجل من ذرية ادم، فهو انسان معمر اكتسب قوته وعجائبه من الحضارات القديمة، ولسبب ما وفي وقت ما تم القبض عليه وتقييده في جزيرة).

وأنا أستغرب أين هي هذه الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الدجال هو من بني آدم!؟ أخي الكريم لا يوجد حديث واحد يدل على أن الدجال من بني آدم صرفًا أو خالصًا، طبعًا الأخ الكريم استدل بحديث: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم. ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال أقرب الناس به شبها ابن قطن".

وهذا الحديث صححه الألباني، لكن سؤالي هل الحديث فيه تصريح على أن الدجال من ولد آدم!؟ غاية ما في الحديث أنه أشار إلى أن الدجال كما رآه النبي عليه السلام أنه رجل أحمر جسيم، وهذا الوصف لوحده ليس فيه ما يدل على كونه من بني آدم، والرجولة هنا أيضًا ليست مختصة ببني آدم، يقول الله سبحانه وتعالى: "وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقًا" [الجن٦]، فالآية أثبتت الرجولة للإنس والجن، هناك رجل في الإنس وكذلك رجل في الجن.

إذًا الحديث لا يدل دلالة صريحة على أن الدجال من الإنس، ووصفه بالحديث بكلمة رجل جسيم ليس فيه دلالة حصرية قاطعة، بل على العكس نجد أن قدرات الدجال وعلاقته بالجن تشير إلى أن له طبيعة مغايرة لطبيعة الإنس، وكل الأحاديث الصحيحة تشير إلى أنه ظاهرة مغايرة للبشر دون بيان كنهها وماهيتها.

ثالثًا: كما ذكرت سابقًا ليس من السهل الجزم، أو الوصول لفهم قطعي لكثير من الأمور المتعلقة بالدجال، أو حتى المهدي أو حتى يأجوج ومأجوج، ولكن هي اجتهادات تقريبية، والتأويل الحقيقي لمدلولات الأحاديث سيعاينه من يعاين هذه الأحداث.

ذكرت في مقالي اجتهادات تقريبية لفهمي للظاهرة، وما زلت أراها اجتهادات قوية في فهم الظاهرة، ولا يدرك ذلك إلا من تعامل مع مجموع الأدلة، وامتلك آلية تؤهله لفهم مدلولات النصوص، وطرق دفع التعارض الظاهري بينها.

رابعًا: بالرغم من قناعتي فيما توصلت إليه بخصوص فهمي لظاهرة الدجال، إلا أن هذا لا يمنع وجود احتمالات أخرى، وخلال دراستي أضع هنا أيضًا احتمالاً آخر قد يعين في فهم ظاهرة الدجال، وهو أنه صح لدينا في الأحاديث أنه ما من نبي إلا أنذر أمته المسيح الدجال، ونوح ﷺ كذلك أنذر قومه من المسيح الدجال.

كذلك نلحظ في قصة إبليس أنه طلب الإنظار؛ فأنظره الله، يقول الله في سورة الأعراف: "قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤ قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ"، فالآيات فيها إشارة إلى أن إبليس ليس لوحده منظرًا، بل هناك منظرون معه ممن عمروا، وأجل الله لهم أجل معين في آخر الزمان، وهو بحسب التعبير القرآني (الوقت المعلوم).

إذًا نستخلص من الآية أن هناك منظرين مع إبليس، ونستخلص من الأحاديث أن الإنذار النبوي من الدجال بدأ مع نوح ﷺ، وانتهى مع محمد ﷺ، وهذا فيه إشارة إلى أن نوح ﷺ قد يكون عاين جزءًا من فتنة الدجال!

وهذا يقودني إلى مسألة جديدة واحتمال جديد قد يكشف لنا جزء من حقيقة المسيح الدجال؛ وهي تلك القصة المذكورة في التوراة والتوراة المنحولة ومخطوطات قمران عن النوفليم، أو الملائكة الساقطة، وقصة تزواجها مع البشر. وأعتقد أن الأمر لا علاقة له بالملائكة بل بعفاريت الجن، في مرحلة تاريخية حصل نوع من التزواج أنشأ جيلًا مفسدًا ممسوخًا بحسب الأسطورة أو القصة.

ويعبر عنه بالنوفليم أي النسل من الملائكة أو الشياطين الساقطة مع البشر، وهؤلاء أفسدوا في الأرض، وكان كبيرهم هو عزازيل، وقامت الملائكة بتطهير الأرض منهم، وسجنت كبارهم بعد تقييدهم في تخوم الأرض، ومن بينهم عزازيل؛ والذي أصبح في الموروث اليهودي، وأحيانًا الموروث العربي عند بعض الكتاب على أنه اسم لإبليس.

أقول: القصة التوراتية أو الأسطورة التوراتية فيها إشارة إلى تقييد نسل ممسوخ عاث في الأرض فسادًا في عهد نوح ﷺ، وعلى رأسهم عزازيل وهو كبيرهم، وهو عبارة عن نسل مسخ بين البشر والجن أو عمالقة الجن، (والنص التوراتي يسميه: الملائكة الساقطة من السماء).

هذه القصة يحتمل أنها بداية فكرة الدجال المقيد، والمنظر إلى يوم الوقت المعلوم، وهو غير إبليس بل هو مسخ جمع بين البشرية في الظهور والجسدية وبين الجنية أو الشيطانية في قدراته. أقول: هذه القصة تحتمل أن تبرز لنا حقيقة الدجال؛ فهو حالة وسط بين الإنسية والجنية! أقول هذا الأمر محتمل...

ويضاف إلى مجموع الاحتمالات التي توضح لنا حقيقة الدجال، وقد توضح لنا لماذا نوح أنذر قومه الدجال (عزازيل)!؟ وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة علمية متأنية، بإذن الله سأقوم بها وأبرزها من جميع جوانبها، فما كتبته هنا هو فقط استدراك وخاطرة، تحتاج إلى مزيد من الدراسة العلمية الواعية والمدعمة بالأدلة.

ملاحظة: تستوقفني أسطورة النوفليم أو القصة التوراتية عن النوفليم، وأقول قد يكون بعض أجزائها فيه شيء من الحقيقة، لكن في قلبي شيء في مسألة تزاوج الجن مع الإنس أو الإنسال بينهم، وهل ممكن ذلك من الناحية البيولوجية، أم هي حالة خاصة قدرها الله في إحدى مراحل البشرية، كما قدر لمريم أن تنجب من دون ذكر!؟

ليس عندنا أثارة من علم في ذلك، لذا لا تعدو قصة النوفليم إلا إشارة تحتمل الخطأ أكثر من احتمالها الصواب، لكن يؤيدها الطبيعة والقدرات التي تميز الدجال، وجمعه بين صفات البشر والجن في نفس الوقت، وعدم القدرة على القضاء عليه، بل تُرك أمر القضاء عليه إلى المسيح عيسى عليه السلام الذي تميز بحالة ولادة خاصة.

*****

الروم أكثر الناس

هذا جزء مما كتبته قبل ١٢ عامًا عن حديث تقوم الساعة والروم أكثر الناس، وهو موجود بالمدونة بأكمله، لكن سأقتصر هنا على هذا الجزء، وأكمل فهمي الجديد له.

عن مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ"، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو رضي الله عنهما: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ! قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ» ([1]).

شرح:

هذا الحديث فيه إشارة واضحة على أن الروم هم ملوك الأرض والمتنفذون بالقرار حين قيام الساعة، وهذا معنى قول الرسول ﷺ الروم أكثر الناس، فالأكثرية هنا يراد بها نفوذ القرار وسطوة الحكم، ويعزز هذا الفهم توصيف عبدالله بن عمرو وتصوراته لطبيعة الروم في ذلك الزمان، وهذا التوصيف يرشد إلى أنه فهم من كلام النبي ﷺ أنه يراد به الملك والنفوذ.

والغريب أن هذا الحديث الوحيد في ظني الذي صُدّر بقول النبي ﷺ: «تقوم» ولم يتصدر بصيغة «لا تقوم»، وقد ظننت في بادئ الأمر أن ذلك قد يكون خطأ من بعض الرواة، فتتبعت كل رواياته فوجدتها بنفس هذا التصدير.

ولولا هذه الصيغة الجديدة لاعتبرت أن هذا الحديث من العلامات التي وقعت في زماننا؛ خاصة أن الأوصاف الخمسة التي ذكرها ابن عمرو رضي الله عنهما للروم لينالوا الصدارة في الحكم والملك موجودة في الروم في عصرنا؛ وكذلك كونهم

[1] أخرجه مسلم برقم ٢٨٩٨ [مسلم بشرح النووي (٩/٢٢٠)].

أكثر الناس من حيث حكم الأرض والتأثير في مصيرها أمر ملاحظ معلوم في زماننا.

لكن صيغة الحديث مانعة من إسقاط المراد به على عصرنا هذا؛ لأن دلالتها تشير إلى قيام الساعة حقًا وحال الروم أنهم أكثر الناس، مما يشير إلى أن للروم جولات أخرى بعد العالمية الثانية للإسلام، وبعد دك حصونهم في القسطنطينية وروما آخر الزمان، ولعل هذه الجولات تفسر لنا وصف النبي ﷺ للروم بأنها ذات القرون... انتهى من كتاب الموسوعة.

يلحظ مما سبق أنني اعتبرت أن صيغة الحديث مانعة من إسقاط الحديث على عصرنا هذا، وكلامي صحيح إذا كان فهمنا للساعة وقيامها هو الفهم التقليدي المعهود والمتصور؛ لكن وفق فهمي الجديد واجتهاداتي الأخيرة والتي انبنت على فهم شمولي للعلامات، والمصطلحات الخاصة بعلامات الساعة.

أقول وفق فهمي الجديد: قد يكون المقصود بالدرجة الأولى بهذه العلامة هو عصرنا الحالي، وليس لحظة قيام الساعة وفق الفهم التقليدي؛ لأن الساعة تقوم على شرار الخلق، وهذا الحديث أشار إلى نوع تمكين سلطان مبني على مواصفات لا يمكن تصورها من جميع الوجوه في شرار الخلق، كما سيحصل في لحظة قيام الساعة.

لكن ما هو سر هذا الحديث!؟ ولماذا استخدم النبي عليه السلام صيغة (تقوم الساعة)، هذه الصيغة الموهمة أن الحدث مرتبط صريحًا بلحظة قيام الساعة!؟

أقول: هذا الحديث فتح أمامي بابًا عظيمًا من الدلالات، لو أردت ملاحقتها بطريقة علمية موضوعية أحتاج لمجلد بأكمله، والظروف الخاصة حاليًا تحول دون الاستمرار في الكتابة بشكل استقصائي، لكن في نفس الوقت لن أحرم قرائي من

بعض الإشارات المهمة التي فهمتها من الحديث، الذي بحق يرشد إلى مدى دقة النبي ﷺ وحكمته في اختيار الألفاظ في موطنها، الذي يرشد عندما تتكشف الأحداث على دلائل متكررة تدل على نبوته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

هذا الحديث يكمل منهجًا أرشد إليه القرآن الكريم في كثير من النصوص، لكن الكثيرين لم ينتبهوا لدلالات الآيات، ولكي يتضح الأمر الآن سأحاول ترتيب الأفكار لكي يتضح الأمر:

١- المتتبع للقرآن الكريم يجد أنه يشير في كثير من الآيات إلى لحظة وقوع الساعة: (تكوير الشمس، انفطار السماء، انتثار الكواكب.. إلخ)، هذه هي البطشة الكبرى التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الدخان، وهذه العلامات هي علامات الفناء الكامل ثم بعد ذلك الحساب.

٢- لكن هناك إشارات في القرآن الكريم جاءت في سور معينة تشير إلى حدث عظيم هو من الساعة، ويشعر أيضًا بأن الدنيا انتهت بأهلها، لكن هذا لا يعني لحظة القيام. من هذه الإشارات (الآزفة) والآزفة معناها القريبة، المفسرون أسقطوها على الساعة نفسها باعتبارها أمر قريب، لكن كلمة قريبة تشير إلى حدث آخر متعلق بها هو أبعد منها، فالقريبة هنا التي هي من الساعة أمكن تسميتها القيامة الصغرى، والبطشة الكبرى هي القيامة الكبرى، والملاحظ أن الآية التي تتحدث عن الآزفة هي في سورة النجم، وهذه السورة بالذات ترشد إلى نزول نيزك أو كويكب، المعبر عنه بالنجم للمعانه: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ"، فذكرها في هذه السورة بالذات له دلالاته الخاصة.

٣- المتتبع للعلامات الكبرى جاءت السنة للإشارة إلى أنها تتابع بسرعة مؤذنة بنهاية العالم وهي كعقد انفرط، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ فَإِنْ يُقْطَعْ السِّلْكُ يَتْبَعْ

بَعْضُهَا بَعْضًا"، فوقوع أول آية في العلامات الكبرى معناه أن الساعة قد قامت، وأن هذه الآيات ستكون إشارة إلى النهاية التي تبدأ بالبطشة الكبرى.

طبعًا قد يستشكل الفهم عند البعض، ويقول كيف أن الساعة تقوم مع بداية العلامات الكبرى!؟ أقول له: وكيف أن النبي ﷺ وبعثته كانت في نفس الساعة وكادت الساعة تسبقه، وبيننا وبين النبي ١٥ قرنًا من الزمان!؟ وكيف تفسر قول النبي ﷺ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ وَإِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي" ([1])!؟

فإذا كادت الساعة تسبق النبي ﷺ قبل خمسة عشر قرنًا؛ إذًا ببداية العلامات العشر تكون الساعة قد قامت، وهي المرحلة التي لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، إنها مرحلة حصاد، وهذا باب واسع يحتاج استقصاء لكن هنا إشارات سريعة.

٤- القرآن الكريم مليء بالإشارات الدالة على وقوع حدث عظيم هو بداية لقيام الساعة، والمجال هنا لا يتسع للاستقصاء؛ لكن سأدخل مباشرة على الآية التي تتحدث عن الساعة كمرحلتين، يقول الله ﷻ: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦" [الدخان]، الآيات السابقة تتحدث عن حدثين بينهما وقت قليل: الأول هو آية الدخان، وهي العذاب الأليم الذي يغشى الناس. أما الثانية فهي بعدها بقليل وهي البطشة الكبرى، وهي لحظة انهيار الكون.

وجاءت الآيات بين الحدثين لتبين (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا)، فبآية الدخان تكون الساعة قد قامت لكن البشرية لم تنته، بل معها القليل ثم تكون البطشة الكبرى،

---

[1] أخرجه أحمد برقم ١٨٧٩٧ [المسند (٣٨٠/٤)]، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار. ورجال أحمد رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥٦٠/١٠)].

وآية الدخان قد تكون هي أمر الله الذي أشارت له عدة أحاديث، وهو المراد بقوله ﷻ: "أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" [النحل].

وهي المقصودة في نفس السورة التي تتحدث عن عظمة المكر البشري، ونسيان الله من الحسابات وعظمة التدبير الإلهي المحيط به، وفيها: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" [النحل٣٣].

أما توقيت الحدث فقد أشارت له سورة الإنذار الأولى المدثر: "كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧"، قد حمل بعض المفسرين إحدى الكبر هنا على سقر، لكن ملاحقة الآيات والتوقيت فيها يشير إلى أن المقصود بها إحدى الكبر بين يدي الساعة.

وتوقيتها بالنسبة لنا سيكون عندما يدبر الليل ويسفر الصبح، مما يشير إلى أنها ستكون بعد الفجر ومع إسفار الصبح. وقد بدأ الحدث بالقسم بالقمر الذي ارتبط بقيام الساعة في سورة أخرى، وفيه إشارة إلى أن (إحدى الكبر) هنا متعلقة بجرم سماوي وحدث من السماء، وهو أمر ربك في سورة النحل.

٥- نرجع للحديث: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس"، هذا الحديث يشير إلى آية الدخان، والتي ستكون الأعظم في تأثيرها على كل الأرض، وهذا الحدث سيكون في الأرض والروم هم أصحاب القرار في الأرض والمتحكمون فيها، وهذا يتفق مع المرحلة التي نعيشها الآن.

أما كونها ساعة فلأنها ستكون آية عظمى تتأثر بها كل الأرض، بل أكثر البشرية، بل قد يكون تأثيرها على الإنسان أكبر بكثير من تأثير البطشة الكبرى...،

هذا الموضوع تناولته على عجالة، أما التفصيل به بالأدلة المتنوعة؛ فهذا مما لا تستوعبه مقالة في مدونة، إنما هي إشارات سريعة، ولدي دلائل كثيرة عليها لم أطرحها هنا حتى لا أثقل الموضوع.

*****

الفرات الذي سيحسر ليس الفرات الذي نعرفه

هذه معلومات أضعها احتياطًا هنا بعد مراجعات مستمرة وبحث علمي عميق، قد لا يفهمه البعض مني، لكن الأيام ستثبت كل كلمة كتبتها هنا، فالمعلومة لدي من سنوات لكن قدر الله أن تخرج اليوم...

وهي معلومة مبنية على دراسة واعية دقيقة جدًا، توصلت من خلالها إلى أن الفرات الذي سيحسر عن جبل من ذهب، ليس فرات العراق المعهود (وهذا بخلاف فهمي التقليدي السابق للمسألة)، بل هو مجرى نهري قديم في الجزيرة العربية، اندثر هذا المجرى، وعند التغيرات المناخية الجديدة التي ستطرأ على الجزيرة العربية سيتجدد المجرى القديم، وعند جريانه سيحسر عن منطقة مليئة بالذهب عندما يجرف التربة مع جريانه، وقد حددت الموقع بدقة، يبقى الأمر للأيام والتقلبات الجغرافية لكي تكشف عن هذا الكنز، الذي يعتبر فتنة للبعض ومصيدة لهم.

ملاحظة:

هذه المعلومات لم أصل إليها من خلال دراستي للفتن، بل العجيب أنني اكتشفتها بعد دراسة للتاريخ الضائع للأمم السابقة، فأرشدتني لهذه المعلومة بصورة عجيبة، وهي جزء من بحث طويل معد عندي قرابة ٧٥٠ صفحة، وهو معد للطباعة بإذن الله عندما يحين الوقت المناسب لذلك.

حسر الفرات فهم جديد

هذا أمر غريب أطرحه هنا بخصوص حسر الفرات وهو أحد الاحتمالات، بل أقواها عندي، والذي تحصل لدي بعد دراسة واسعة للموضوع، فالحديث يشير إلى أن الفرات يحسر عن جبل من ذهب، (يحسر عن) لا تشير بوضوح إلى نضوب ماء الفرات، بل تشير إلى أن الفرات نفسه بجريانه يكشف عن جبل من ذهب أو يكشف عن كنز من ذهب تحت التراب، كنز قبل حسر الفرات له لم يكن بالحسبان، أو كان مخفيًا في التراب في مكان غير متوقع حتى كشف عنه الفرات بجريانه في ذلك الموضع.

السر كله موجود في معرفة الفرات المقصود، فالفرات معناه الماء العذب، وقد انسحب الاسم تاريخيًا على نهر العراق، لكن قبل عصور كان له رافد من جهة جزيرة العربية وكان يحمل نفس الاسم، وعندما يبدأ العصر المطير بخصوص الجزيرة العربية؛ سينكشف المجرى القديم لنهر الفرات، ومع قوة جريان مائه يحسر؛ أي يكشف عن كنز عظيم من الذهب في أحد أوديته ومجاريه، وهو الذي سيحرك الجميع نحوه، في البداية يكون الطمع من كل الناس، ثم يتحول إلى قيادات ثلاثة، ثم لا يصير إلى أحد منهم.

والسر الكبير في هذا الحديث الذي تعاملت معه مسبقًا بذات الطريقة التقليدية التي سار عليها علماؤنا مسبقًا هو في كلمة (يحسر)، إذ لو كان المراد أن نهر الفرات ينضب فيظهر جبل الذهب؛ لاستخدم النبي ﷺ كلمة ينحسر التي تفيد المطاوعة وتشير إلى نضوب الماء.

أما صيغة (يحسر عن) فهي هنا بمعنى يكشف عن، أي أن جريان الماء نفسه هو الذي يكشف عن الذهب ويحسر عنه، مما يشير إلى أن الذهب موجود الآن في البرية، في مجرى مائي للفرات القديم الجاف، وعند عودة جزيرة العرب إلى مروج وأنهار ومن ضمنها مجرى نهر الفرات القديم؛ عندها ينكشف هذا الذهب مع جريان الماء.

هذا فهم غريب عند البعض، لكنني الآن متأكد من دلالته جدًا، وعندي من القرائن الكثيرة التي تشير إليه؛ فالكلام هنا ليس اعتباطًا أو فلتة، بل دراسة تأملية واسعة، وستكشف الأيام للجميع مدى مصداقية فهمي هذا، والذي لن أزيد عليه إلا ما ذكرت وأترك باقي دلالاته لوقتها الحقيقي.

حسر الفرات مقالة وردود

هذه مقالة سريعة كتبتها في صفحتي على الفيس نداء الروح، فحصلت مداخلة من البعض، أتبعتها ببعض الردود، وأرى أن أثبتها هنا.

المقالة:

سألني البعض سؤالًا يتعلق بحسر الفرات فقال لي: هل سينضب الماء أم يفيض؟ فأجبته بكلمة: بل يفيض. هنا أوضح مقصدي من هذه الإجابة، وبداية لا بد

أن أبين أن هناك كثير من الآثار والآيات لا يمكن فهم تأويلها إلا عند حصولها، فهي قد تفهم بطريقة تقليدية، لكن عند حصول الأمر يستبين لنا الأمر...

على سبيل المثال قول النبي عليه السلام: "تقيء الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة"، فهنا الحديث لم تتضح دلالاته إلا في عصرنا، حيث بالفعل قاءت الأرض الذهب الأسود من البترول، وكان هذا القيء في أسطوانات وأنابيب تغرس في الأرض لاستخراجه.

وحديث حسر الفرات هو من هذه الشاكلة، لن يستبين للناس إلا وقت حصول حيث يتبين المراد به وأي فرات هو المقصود. فالحديث استخدم صيغة عجيبة، وهي (يحسر عن) أي أن الماء وحرجته القوية تكشف عن جبل من الذهب، أي كميات كبيرة من الذهب لو جمعتها تكون مثل الجبل، وهذا الأسلوب معلوم في اللغة حيث يقال كثيب من الطعام، أي طعام مجموع مع بعضه حتى أشبه التل والكثيب.

وإلا الفهم التقليدي الذي نسير عليه وسرت عليه سابقًا في كتابي الموسوعة، هو أن الفرات ينضب ويخرج منه جبل من ذهب، والمعلوم أن الذهب يكون على شكل عروق ولا يكون مركزًا كأنه جبل من الذهب، فهذا مغاير للطبيعة. قد يقال أن وجوده كجبل هو أمر خارق للنواميس، أقول يحتمل ولكن الأصل عدم وجود خارقة في الأمر، لأنها خلاف الأصل فتمسكنا بالأصل هو الأولى.

فالفهم التقليدي لموضوع حسر الفرات لا يستقيم بحال، لذا أقول: كل من ينتظر جفاف النهر المشهور باسم الفرات في العراق والشام حتى يخرج جبل الذهب، أقول لصاحب هذا الفهم: إنك واهم! فلا علاقة للحديث بهذا النهر الجاري، ولن يخرج من فرات العراق والشام قطعة ذهب وليس جبلًا...

بل هناك مكان آخر، ومجرى مائي كان في التاريخ هو الفرات، وهذا المجرى الجاف؛ كثرة الأمطار وشدتها ستفتح المجال لجري الأنهار الصغيرة، والجداول التي تصب في المجرى التاريخي بقوة، فيحسر المجرى عن هذا الذهب ويكشفه للناس.

وما أطرحه هنا أنا متأكد منه ولن أناقش فيه هنا، بل أعلم المكان الذي سينحسر، لكن أترك الأمر للأيام، أما قيمة المقالة هنا فقط إنما هو تهيئة الأذهان نحو فهم جديد لحسر الفرات.

المداخلة من بعض المشاركين:

(السلام عليكم هداك الله على تناقضك في كلاك اخي كيف تقول بان هناك ايات و احاديث لا يمكن تأويلها الا بعد حدوثها و و و.. بعدها تؤل و تعطي لك لحق بانك تفهمها و تشرحها و تجزم بانك على حق وحتى الصحابة كانوا يقولون الله اعلم عذرا مع احترامي لك مهما بلغت من علم يبقى الله اعلم بالأمور الغيبية هذه نصيحة لا تغتر).

ردودي على المداخلة:

اسمعني يا أخ توفيق: كلامي واضح جدًا، والأيام ستثبت كلامي، وليس هذا غرورًا، وإياك أن تظن أنني كتبت هذا الكلام وأنا لا أمتلك أدلة واضحة كالشمس عليه، فلست أنا الذي أتقول على الله بغير علم، وأنا لم أخالف أحدًا، لكن ليس كل فهم تقليدي قد يكون هو الفهم الصحيح للأمور.

بخصوص الجزم أنا في كل مسألة طبيعتي أقول الله أعلم، نعم هذه أقف عندها احترامًا، أما قولك بالتناقض عندي فليس كذلك، عندما قلت هناك آيات

وأحاديث لا يمكن تأويلها قبل حدوثها؛ فهذا حق والقرآن يثبته، أما بخصوص موضوع الفرات، فقد استجدت مستجدات علمية كثيرة قد تكون أرشدت البعض في بيان القول الفصل في مسألة الفرات.

لكن حقيقة تأويل الأمر ليس من خلال اجتهادي أو اجتهاد غيري، بل بوقوع الأمر في وقته، عندها يعلم الجميع تأويل أحاديث حسر الفرات، ولا يمنع الأمر أن ينبه الله بعض القلائل على التأويل قبل حدوثه لحكمة اقتضاها الله، لكن رأيهم لن يحترم ولن يسمعه أحد، حتى يأتي الحق فيفرض نفسه على الجميع؛ عندها قد يتذكر البعض هذه الاجتهادات التي سبقت الحدث.

أخي الكريم: أنا أبعد الناس بإذن الله عن الغرور أو الكبر، فهذا ما أجتهد دائمًا على تزكية نفسي منه. وأقول لك وأنا مطمئن جدًا لما وصلت إليه. بيننا الأيام...، وإذا قدر الله أن نحيا قصة حسر الفرات؛ فستعلم حينها قيمة كل كلمة أنا كتبتها هنا، والله أعلى وأعلم.

الإخوة الكرام:

يقول الله ﷻ: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"، ويقول الله ﷻ: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، وهذا الكلام موجه لنا جميعًا، فكلنا قاصرون لا نمتلك إلا القليل القليل، لكننا نظن أننا قياسًا لغيرنا نحمل الكثير.

ليس الموضوع فقط موضوع حسر الفرات، بل مواضيع كثيرة، بداية أوضح: من رجع لكتابي الموسوعة يجد أنني عندما تناولت حسر الفرات تناولته بحسب المعهود؛ لأنه وقتها لم يتبادر في ذهني أن يكون مقصود الحديث شيء آخر، وتعاملت مع الموضوع كأنه من المسلمات التي لا مجال للنقاش فيها...

لكن مع الأيام ومع قراءة آلاف الصفحات ومع مراجعة كثير من المواضيع، ومع ملاحقة منهجية أحاديث الفتن والملاحم، ومع ملاحقة طبيعة الذهب وكيفية تواجده، ومع ملاحقة ألفاظ الحديث التي حملت القرائن، ومع مراجعة تاريخية قد لا يتصور البعض مداها؛ عندها وصلت إلى ما وصلت إليه، من فهم يجمع الأحاديث ويضعها في موضعها الطبيعي.

فقط هنا أذكر بجزء من نص الحديث، حيث يقول النبي ﷺ: "يحسر الفرات عن جبل من ذهب..."؛ فصيغة (يحسر عن) معناها يكشف عن، ولو كان المقصود أن الفرات يجف ماؤه ويظهر الذهب، لقال الحديث ينحسر الفرات عن جبل من ذهب.

كذلك لو فرضنا معنى أنه يجف الفرات الموجود في العراق، فهل جفافه يخرج جبلًا كان خافيًا على الناس قبل الجفاف!؟ كذلك هل من طبيعة الذهب أن يكون متراكمًا بهذا الشكل كجبل له قمة وسفوح!؟ هذا الفهم التقليدي، ومطلوب منا أن نحمله هكذا حتى بدون أن نعطي أنفسنا أي مساحة للتفكير، وهذه أصبحت طبيعة التفكير عندنا.

أقول وكلي قناعة: صدق رسول الله في كل كلمة قالها عن حسر الفرات، والأيام ستثبت ذلك، وعندما يتحقق الأمر سينكشف لنا بقوة كيف أن النبي ﷺ قد اختار كلماته بدقة للدلالة على الحدث، وكلمة الفرات معناها العذب، وهكذا استخدمها القرآن الكريم مقابل بحر الملح الأجاج، بل المجرى القديم الجاف هو صاحب تسمية الفرات، ومنه انتقلت التسمية للنهر المعهود لدينا، بعدما اندثر المجرى واندثرت قصته من ذاكرة الناس في الماضي.

أنبه هنا أنه عندما تحصل مسألة حسر الفرات، لن نقول فقط صدق رسول الله عليه السلام في إخباره عن المستقبل (الإعجاز الغيبي المستقبلي)، بل أيضًا سنقول صدق رسول الله في إخباره عن الماضي أيضًا (الإعجاز الغيبي التاريخي).

الرؤى والمنامات

عالم الرؤى وأهميته في آخر الزمان [١]

لن أخوض هنا في الدلالة على مدى أهمية عالم الرؤى، يكفي أن النبي ﷺ قد أشار إلى أنها مما يتبقى للمؤمن من المبشرات، بمعنى أن عالم الرؤى هي صفحة من عالم الغيب، يقدر الله كشفها للمؤمنين في آخر الزمان، يستلهمون من خلالها الأحداث، وهذا من مقتضيات رحمة الله بالأمة.

لكن الذي جعلني أطرح هذه المقالة، هو أن أحد المتابعين الأعزاء قد بادرني بسؤال بعد طرحي لسلسلة الرقم ٧، ومفاد السؤال: هل الرؤى نعول عليها أم هي للاستئناس!؟ طبعًا يومها أجبته في صفحتي أنها للاستئناس.

[١] عالم الرؤى عالم عجيب، تابعته قليلًا؛ فوجدت فيه أسرارًا كثيرة، لكن هذا العلم في الوقت ذاته يستغل استغلالًا عاطفيًا، وفي كثير من الصفحات أرى تعجلًا وتهويلًا وانتقائية، مما يجعلني من باب أمانة العلم الخوض في هذا الباب ببعض المواضيع السريعة، التي ترشد إلى منهجية واعية هادئة، بعيدة عن التهويل في طريقة الاستفادة من الرؤى في الفهم، لا أن تكون سببًا لتعميق اليأس والحيرة لدى المتابعين، وبإذن الله سأطرح سلسلة مقالات قليلة في المنهجية، من خلال تطبيق منهجي في السبر والتقسيم على بعض الرؤى في محاولة للفهم الموضوعي.

ومعنى الاستئناس أننا لا نجعلها مصدرًا للأحكام، لكنها في حقيقتها باب عظيم من أبواب المعرفة لنا خاصة في آخر الزمان، وهنا أذكّر على عجالة ببعض أمور لعلها ترشدنا: النبي ﷺ كان دائمًا يسأل صحابته عن الرؤى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، يَقُولُ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ وَيَقُولُ: لَيْسَ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» ([1]).

ماذا نفهم من الحديث!؟ النبي ﷺ بالرغم من أنه لديه مصدر للوحي يعتبر الأعظم على مدار التاريخ، إلا أنه كان يهتم بالرؤى وعالم الرؤى، لدرجة أنه كان معتادًا على سؤال الصحابة بعد كل صلاة فجر عن رؤاهم. ثم يبرز النبي ﷺ أهمية الرؤى ببيان أنها من النبوة في الإبلاغ عن الأمور الغيبية، وهي ما يتبقى للأمة بعد وفاة النبي ﷺ، وهذا يرشد إلى أهمية الرؤى وضرورة الاهتمام بها.

في قصة تعيين ليلة القدر ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ» ([2])، هنا النبي ﷺ يرى تواطؤ الرؤى على شيء يؤكد مصداقيته، بل نلحظ أن النبي ﷺ بنى على ذلك حكمًا، وهو تحري ليلة القدر في السبع الأواخر.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي

---

[1] أخرجه مالك في موطأه وغيره.
[2] أخرجه البخاري.

جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ. ([1])

فهنا النبي أيضًا اعتمد على رؤية، بل ذكر في سجوده ما ورد في الرؤيا، وهذا كله يشير إلى أهمية الرؤى، بل نلحظ أن القرآن الكريم قد عظم من شأن الرؤى كثيرًا، فسورة كاملة اعتمدت على رؤية وتأويلها وهي سورة يوسف، وعندنا رؤيا إبراهيم في ابنه، ورؤيا النبي عليه السلام ودخوله مكة،... وغير ذلك، فالرؤى كان لها نصيب حتى في زمان الوحي، ونحن الآن أولى في الانتفاع من هذا العلم الغيبي الذي يسد ثغرة من فهمنا لكثير من الأحداث والنصوص.

بل خلال تتبعي للرؤى وجدت رؤيا ترشد إلى قضية مهمة جدًا، تتعلق ببيان جانب من أمور الغيب الخافية على الأمة، وفي الرؤية بحسب ما أذكر أن الرائي رأى صخرة تخرج من البحر، وتستقر على الأرض ويخشى الناس منها، والصخرة عليها كلام وآيات من نور لكنها صغيرة جدًا، ثم تحولت إلى شجرة عظيمة جدًا.. إلى آخر الرؤية.

هذه الرؤية أهميتها أنها تشير إلى عالم الرؤى، وكيف أنه باب غيبي فُتح فجأة للأمة، لذا جاءت الإشارة إليه أنه صخرة من أعماق البحر، وأعماق البحر يرمز للمجهول والغيب، هذه الصخرة عليها كلام من نور إشارة للرؤى، وما تحمله من إشارات وبشارات، لكنها كلمات صغيرة إشارة إلى أن كل رؤية تحمل جانبًا ورمزية ودلالة محددة صغيرة، تحولها إلى شجرة فيه إشارة إلى استمرار العطاء من خلال عالم الرؤى.

---

[1] أخرجه الترمذي وغيره.

طبعًا أنا تعاملت بعجالة مع هذه المقالة، مع تأكدي التام أن الرؤية الأخيرة التي ذكرتها ترشد إلى أن عالم الغيب قد فتح لنا بابًا من المعرفة من خلال الرؤى والمبشرات، وهذا المعنى أشار إليه النبي ﷺ صراحة في عدد من أحاديثه.

من هذا الوجه أقول: تواطؤ الرؤى على دلالة معينة يقوي هذه الدلالة، ويعزز مصداقية وقوعها بحسب هذا التواطؤ، الرؤى تتضمن إشارات صغيرة من الوحي ومن عالم الغيب، وكل رؤية تعطينًا معلومة بحيث لو تم جمع المعلومات بطريقة استقرائية علمية يتحصل لنا تصور رائع.

لكن بالرغم من أهمية الرؤى إلا أن الإشكالية الكبيرة تكمن في ظاهرة الاختلاق والكذب في الرؤى، إضافة لكون كثير من الأحلام هي امتداد لأصحابها، فإن كانوا أصحاب أهواء كان لرؤاهم نصيب من الهوى، وإن كانوا في الواقع أهل كذب كانت رؤاهم كاذبة، إضافة إلى أن باب الرؤى هو من الأبواب التي يحرص الشيطان على أن يتسلل من خلالها في رؤى الصالحين مستغلًا آمانيهم.

فهذه العوامل تجعل باب الرؤى فيه إشكاليات كثيرة، لكنها بإذن الله يمكن التغلب عليها من خلال منهج علمي، ضابط لهذا العلم العزيز بعيدًا عن الفوضى والاضطراب.

وأنا في مقالتين سريعتين سأبرز كيف أن الرؤى تحمل دلالات قد لا ينتبه لها حتى المؤولون، وكيف أن التأويل الخطأ يترتب عليه أحيانًا نتائج معمقة للفتنة للرائي ومن له علاقة بالرؤية.

* * * * *

من أسرار الرؤى والمنامات

في هذه المقالة لن أسرح بعيدًا، بل سأقتصر على أهم رؤيا في القرآن الكريم، وهي الرؤية التي تدور عليها كل قصة يوسف عليه السلام. فيوسف عليه السلام وهو صبي رأى رؤية عجيبة بلغ بها والده النبي، يقول الله سبحانه وتعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" [يوسف٤]، هذه هي الرؤية. أما كيف رأى يوسف الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين!؟ هذا أمر لا نعلمه، لكن نتعلم من هذه الرؤية عدة أمور:

الأمر الأول:

كل رؤية لا بد أن تحمل رمزية فك شفرتها في داخلها، وهذه الرمزية كانت واضحة في رقم الأحد عشر، الذي يتطابق تمامًا مع عدد إخوة يوسف عليه السلام، فهذا الرقم هو الذي أبرز دلالة رمزيات كل الرؤية وأنها يقصد بها عائلة يوسف عليه السلام.

وهذا الأمر كنت ألحظه في كثير من الرؤى؛ حيث تسير الرؤية بشكل غامض جدًا، ثم تذكر شيئًا أو رمزية تحمل المراد الحقيقي من الرؤية كالإشارة إلى يوم أو حدث معين، أو كائن معين يرتبط بالرؤية بشكل غريب غير مفهوم، هذا الشيء الغريب يكون هو ما يحمل فك شفرة الرؤيا ويبرز دلالتها الحقيقية.

الأمر الثاني:

هذه الرؤية التي رآها نبي وأبلغها لنبي، بالرغم من وضوحها إلا أن تأويلها الحقيقي لم يكن واضحًا لكل من يوسف ويعقوب عليهما السلام، فغاية ما في الرؤية أن يوسف عليه السلام سينال نوع من التمكين يكون به سيدًا على عائلته بضمنهم الوالد والوالدة، لكن كيف أو ما هو المراد، وما هو حجم هذا التمكين!؟ فهذا لم يتضح لهم إلا عندما حصل الحدث الذي يحمل دلالة الرؤيا: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" [يوسف١٠٠].

فهذا هو تأويل الرؤيا بالضبط، لكنه لم يتضح إلا عندما حصل الحدث نفسه بعد أكثر من ثلاثين عامًا من الرؤية، وهذا الموقف يشعر بأن الرؤية كانت حاضرة في ذهن يوسف عليه السلام، وكان يعيش بأملها؛ لذا بمجرد ما حصل تأويلها أخرجها يوسف عليه السلام من الذاكرة ليضعها موضعها الحقيقي.

وهذا يبرز لنا أن بعض الرؤى تكون مبشرة، لكن لا يمكن فهم تأويلها الحقيقي إلا عند وقوع الحدث نفسه، هذا الحدث الذي يكشف مدلول الرؤية ويخرجها من ذاكرة الروح نحو الواقع الذي ترشد إليه، وهناك كثير من الرؤى المعاصرة تحمل مثل هذه الدلالات ويتعسف البعض بتأويلها وحملها على غير محملها، فغاية ما في رؤية يوسف عليه السلام أنه سيكون له نوع تمكين، لكن متى وكيف وبأي درجة؟ الرؤية لم توضح وترك الأمر للأيام لتبرز ذلك.

الأمر الثالث: الشمس والقمر.

كلا الجرمين السماويين لهما رمزيات ودلالات كثيرة، وفي كل موطن لهما دلالة، لكنهما هنا في هذه الرؤيا بالذات كانا يرمزان للأم والأب، وقد اختلف العلماء فيمن يراد به الشمس ومن يراد به القمر، البعض نظر لكلمة الشمس المؤنثة فاعتبرها إشارة للأم، ويعزز ذلك عندي وجود الأحد عشر كوكبًا، فالموضوع يتعلق بأسرة

وفضيلة الأم في الأسرة وفي حق الأولاد هي أعظم من فضيلة الأب؛ لذا النبي عليه السلام وصى عليه ثلاث مرات ثم بعدها وصى على الأب مرة واحدة.

وبالرغم من هذه الدلالة إلا أنني أرى أن الشمس يراد بها الرجل أو الأب، أما القمر فيراد به المرأة أو الأم، لتوافق ذلك مع الفطرة، فالمرأة بفطرتها هي تعيش في كنف الرجل وقوامته، والرجل هو عنوان الأسرة وحاميها، بل المرأة تستمد عزتها وقوتها وسلطانها بحسب قوة وسلطان زوجها، فهي تستمد نورها من الرجل.

وكذلك القمر يستمد نوره من الشمس، والقمر ألصق بالكواكب من الشمس؛ لذا تظهر الكواكب حال ظهوره، بل عهدنا أن نتغزل بتشبيه المرأة بالقمر فهو عنوان الأنس والجمال أكثر من الشمس التي تمثل القوة والمنافع العظمى، وهكذا الرجل ينفع كثيرًا، لكنه ليس موطن للتغزل قياسًا للمرأة.

كذلك مسألة الشمس والقمر للإشارة للرجل والمرأة، هو رد على كل تلك الدعاوى الحديثة التي تطالب بالمساواة بين المرأة والرجل من كل الوجوه؛ لأن المساواة بين المختلفين هي عين الظلم، فالاختلاف بين الرجل والمرأة في بعض الواجبات والحقوق إنما هو اختلاف وظيفي يتفق مع الفطرة، والمساواة بينهما من كل الوجوه إنما هو بمثابة المطالبة بقمرين أو بشمسين، ولا تستقيم حياة البشرية بقمرين أو بشمسين، كما لا تستقيم حياة الأسرة من خلال إلغاء وظيفة الأم ومساواتها بالرجل من كل الوجوه.

الأمر الرابع: مسألة التوقيت.

نلحظ أن الرؤية هنا احتاج تأويلها لقرابة الثلاثة عقود أو أكثر من ذلك، مما يشير إلى أن بعض الرؤى قد تحتاج لسنوات طويلة لتأويلها، لكن هذا الأمر لا

ينصرف على كل الرؤى، ففي حالة يوسف (عليه السلام) كانت الرؤية في بداية صباه من باب الرحمة الإلهية بالمحبوبين اللذين سيفترقا (يوسف ويعقوب).

فرحمة بيوسف قبل الافتراق كانت هذه الرؤية ليعيش الأمل من خلالها عبر تقلبات الابتلاء والغربة والسجن، فالرؤية كانت له مصدر إلهام وأمل بالتمكين، وأخبر الله بها يعقوب (عليه السلام)؛ ليعيش الأمل ذاته حتى بعدما غيب ولده المحبوب في بطن الذئب بحسب زعم إخوته، واستمر على أمله عقود طويلة، فهذا سر الأمد البعيد للرؤية؛ لأنها جاءت من باب الرحمة والطمأنينة من الله بين يدي الابتلاء، وهكذا هو الله مع أهله ومحبوبيه.

ويمكن قياس كثير من الرؤى من هذا الوجه، أنها تأتي لتوجيه البعض نحو أمر معين، أو أنها مسلك هداية روحي رباني يسوقه الله في المنام للبعض، خاصة في الزمان ذاته الذي تنزع فيه الأمانة ليلًا من بعض القلوب، لكن للأسف البعض لم يحسن التعاطي مع الرؤى وفَهْمِ أسرارها بطريقة سليمة...

وكثير من رؤى المهدي قد لا تشير إلى المهدي ذاته بقدر ما تشير إلى نوع هداية للبعض، وبعض أشكال التوقيت في الرؤية لا يراد لذاته، بل يشير إلى أمور تتضح للبعض وتخفى على الكثيرين، فيظنون أن بعض الرؤى كاذبة، ولعل الذي أوقع الكثيرين في الحيرة هو سرعة تأويل المؤولين للرؤى وإسقاطها على الواقع القريب.

الأمر الخامس:

عندما حجز العزيز بنيامين، وجاء الأولاد لأبيهم ليقولوا إن ابنك سرق وحجزه الملك، تولى عنهم يعقوب وذهب بذاكرته ليوسف (عليه السلام)، فقال: "يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ

يُوسُفَ..."، بنيامين ضاع لكن يعقوب يقول: يا أسفى على يوسف! ثم بين لهم: "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ".

ماذا كان يعلم!؟ إنها الرؤية التي تبشره بحالة تمكين لولده يوسف عليه السلام، فاعتبر ضياع بنيامين إشارة وعلامة لعودة يوسف عليه السلام؛ لذا قال: "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ"، وهكذا أحيانًا بعض الابتلاءات إنما تأتي لتسوق للفرج.

*****

تأويل الرؤى وتأويل الأحاديث

(١) هذا تأويل رؤياي

التأويل تفعيل من أوّل بمعنى رجع أو عاد، والأوْل الرجوع أو المصير، يقال آل الشيء يؤول أولًا ومآلا أي رجع، وأوّل إليه الشيء أي رجع، والتأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فإذا كان الكلام طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله وقوع نفس الشيء المخبر عنه.

هذه المقدمة وضعتها بين يدي رؤية يوسف عليه السلام، فالرؤيا التي رآها هي أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رآهما ساجدين له. هذه الرؤية رآها وهو في كنف والده وهو صغير، فهم يعقوب النبي عليه السلام من الرؤية أن المراد منها هو أن غلامه أو ابنه

الصغير يوسف عليه السلام سينال ولاية واجتباء من الله سبحانه وتعالى، لكنه لم يتصور حقيقة هذا الاجتباء.

ولكونه نبي يرى أن عظمة الاجتباء هو في الاجتباء والولاية الدينية والعلمية؛ لذا جاءت الآيات لتحكي لنا حدود التعبير في مراحله الأولى للرؤيا يقول الله سبحانه وتعالى: "وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [يوسف٦].

إذا يعقوب عليه السلام فهم من الرؤية الاجتباء والاصطفاء والوراثة النبوية وتمكين العلم، فهذا هو حدود تصوره لتأويل الرؤيا، فهو بحكم طبيعته ودلائل الحال للامتداد النبوي؛ علم أن الوراثة النبوية ستكون من حظ يوسف عليه السلام.

أما تعليم تأويل الأحاديث ففهمها يعقوب عليه السلام من اختيار الله لابنه؛ ليرى مثل هذه الرؤية العظيمة وحرص يوسف عليه السلام على فهمها، فعلم من ذلك أن يوسف عليه السلام سيختص بهذا العلم العزيز، لكن يعقوب عليه السلام اختار هنا تأويل الأحاديث وليس تأويل الرؤى والأحلام؛ لأن تأويل الأحاديث أعم من تأويل الرؤى.

وهي تحمل معنى إيجازي معجز للإشارة إلى أمرين، الأول: تأويل الأحاديث أي إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك عللها على التمام، وهذه هي الحكمة بعينها، أما المعنى الثاني: فيراد به تأويل الرؤى التي تتحول في رمزيتها وطلب كنهها إلى أحاديث بين الناس.

إذا هذا هو التأويل الأولي لرؤية يوسف عليه السلام على لسان يعقوب عليه السلام، والتأويل هنا انبنى على طبيعة رموز الرؤية ودلالاتها، وبالفعل تأويل يعقوب عليه السلام حصل في التمكين الأول ليوسف عليه السلام، فالمعلوم أن الله تحدث عن تمكينين ليوسف

عليه السلام، الأول تمكين العلم وهو مملوك عند سيده يقول الله سبحانه وتعالى: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" [يوسف٢١].

إذا هذا التمكين هو مصداقية تأويل يعقوب عليه السلام، وهذا التمكين كان ليوسف وهو مملوك وعبد عند سيده، والتمكين المراد هو تمكين العلم، لكن التأويل الكامل للرؤيا لم يتحقق إلا بعد التمكين الثاني المذكور في السورة، يقول الله سبحانه وتعالى بعد تمكن يوسف عليه السلام من الوزارة: "وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" [يوسف٥٦].

فالتمكين الثاني هو الموطئ للتأويل الحقيقي للرؤيا، والذي اكتمل في الآية المائة من سورة يوسف عليه السلام، يقول الله سبحانه وتعالى: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" [يوسف١٠٠]. إذًا نفهم من ذلك أن الرؤى يمكن تأويلها بحسب رموزها تأويلًا عامًا قد يصيب بعض جوانبها، لكنه لا يدل على طبيعة مدلولها إلا إذا عاينا الفعل نفسه.

فالتأويل الأولي للرؤية عند يعقوب اكتمل بالتمكين الأول ليوسف عليه السلام (تمكين العلم)، لكن تأويلها الحقيقي المكتمل لم يتضح بالضبط إلا بعد وقوع الحدث الدال إليه، والذي أمكن إرجاع الرؤية إليه...، وهذا السر لم ينتبه له أكثر المؤولين، وهو أنهم يحسنون تفكيك رموز الرؤية، لكنهم لا يحسنون ربطها بدقة بواقعها الحقيقي الذي ترشد إليه.

الأمر الثاني هو أن بعض الرؤى حتى لو كانت واضحة في رموزها إلا أنه لا يتضح المراد الحقيقي لها إلا عند وقوع نفس الحدث، لماذا؟ لأن التأويل الحقيقي

للرؤية حتى وإن أشارت الرؤية إلى رمزيته إلا أنه ما زال في طي عالم الغيب، فإذا وقع الحدث استبان التأويل من كل جوانبه.

كذلك نفهم من ذلك أن تأويل الأحاديث هو أعم من تأويل الرؤى؛ لأن تأويل الأحاديث له تعلق بالحكمة بربط الحوادث بعللها.

إذًا عندنا تأويلان لنفس الرؤية:

تأويل يعقوب عليه السلام: وهذا التأويل المبدأي صدق مع الآية ٢١ من سورة يوسف.

تأويل يوسف عليه السلام: وهذا التأويل صدق واكتمل بالربط بين رؤية الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا وبين دخول والديه وإخوته عليه وهو في مقام الوزارة.

وبين مصداقية التأويلين كان عشرات السنين.

لكن نفهم قضية جوهرية لا بد من أخذها على محمل الجدية في فهمنا للرؤى، وهو أن التأويل الحقيقي لبعض الرؤى لا يمكن أن تتضح صورته إلا إذا وقع الفعل المراد من رمزيات الرؤية، عندها يتم الربط بين الحدث في عالم المشاهدة وبين رمزياته المسبقة، التي كشفها لنا عالم الغيب مسبقًا، وهذا هو المعنى الحقيقي للتأويل الذي يدل على معنى تحقق الشيء المراد من تلك الرمزية، وإرجاع الحدث إلى رمزيته المرادة منها.

(٢) عائشة رضي الله عنها وكلاب الحوأب

عن قَيْسٌ قَالَ: "لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتِ الْكِلَابُ. قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ. قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ﷿ ذَاتَ بَيْنِهِمْ. قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: "كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ" ([1]).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: "أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ، تَخْرُجُ فَتَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحُوَّبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَمَا قَدْ كَادَتْ" ([2]).

أقول:

- هذان الأثران من دلائل نبوة النبي ﷺ؛ حيث وقع ما أخبر به، وهو يتضمن أربعة أمور، الأول: أن إحدى نساء النبي ستصل إلى مكان يقال له الحوأب. والثاني: أن الكلاب تنبح هناك، وجاءت صيغة الحديث بعبارة تنبحها. الثالث: أن هذه المرأة ستكون على جبل أدبب أي كثير الشعر. الرابع: أن صيغة الأحاديث تتضمن توبيخًا لها على موقفها.
- هذه الأحاديث فيها إشارة إلى أن بعض العلامات المستقبلية لا يمكن فهم المراد بها إلا من خلال سياق الموقف الدال عليها، فهي أشبه بالرؤى التي تتضمن بعض الرموز التي لا يتضح معناها بصورة جلية إلا إذا عايش الإنسان الموقف نفسه، فكلمات النبي ﷺ عندما قيلت لم يتضح المراد منها إلا عندما عايشت سيدتنا عائشة الموقف بنفسها وسمعت الكلاب، فسألت عن

[1] أخرجه أحمد برقم ٢٤٢٥٤، قال محققه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين [المسند بتحقيق الأرناؤوط (٢٩٨/٤٠)]؛ قال ابن حجر: رواه البزار ورجاله ثقات [فتح الباري (٥٩/١٣)].

[2] هذا الأثر ذكره ابن حجر في الفتح وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. [فتح الباري (٥٩/١٣)]؛ وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة برقم ٣٨٩٤٠ [المصنف (٢٦٤/١٥)]؛ والطحاوي برقم ٥٦١١ [شرح مشكل الآثار (٢٦٥/١٤)].

المكان –وهذا من فقهها– فعلمت أنه الحوأب، ففهمت أن المراد بالحديث هذا الموقف الذي وقعت فيه، فهمت بالرجوع

وينبني على هذا الفهم القول أن عددًا من الأحاديث التي رويت عن علامات للساعة أو عن توصيف لبعض الفتن، قد لا يتصور المراد بحقيقتها إلا عند وقوعها، وللأسف يلحظ من البعض أنه يتعسف في تحميل الأحاديث ما لا تحتمل بإسقاطها على واقع لا تنتمي إليه، أو على زمان ليس زمانها.

- هناك سر حيوي ممكن تعلمه من هذه الآثار، وهو أن رمزيات بعض الرؤى قد لا تتضح بصورتها الحقيقية إلا عند وقوع الحدث نفسه، وأعجب أحيانًا من بعض الرؤى التي تحمل رمزيات معينة في ثناياها، وهذه الرمزيات لا يمكن أن تُفهم إلا إذا وقع الحدث نفسه.

فهاهنا عدة رمزيات في الأثر النبوي، وجاء بصيغة العموم: "أيتكن تنبحها كلاب الحوأب!؟" وهي رمزية شبيه جدًا برمزيات الرؤى، ويفهم من ذلك أن إحدى نساء النبي ستمر بحدث يتعلق بمكان وبشخوص عبر عنها النبي بكلمة كلاب، هل الكلاب يراد بها كلاب حقيقية، أم هم رمزية لمعاني أخرى!؟

وكان بين هذا الكلام وبين وقوعه عشرات السنين، نحسبها من وفاة النبي عليه السلام حتى موقعة الجمل، لكن هذا التذكير النبوي كان حاضرًا خاصة عند أصغر نساء النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها، ولعل نباح الكلاب في منطقة الحوأب بشكل كبير وملفت قد عزز عند عائشة تذكر الكلام الذي سمعته من النبي عليه السلام، عندها علمت أنها المرادة من تحذير النبي عليه السلام.

وهذا المعنى والرمزية نجده كثيرًا في الرؤى التي تربط بين عناصر الرؤية وبين رمزيات أحيانًا لا نجد لها علاقة مباشرة بالرؤية، ويقوم البعض بتأويلها بالرغم

أن هذه الرمزية هي أشبه برسالة لصاحب الرؤية، أو المراد منها سيفهمها عند حصول الحدث نفسه الذي يحمل هذه الرمزية.

*****

تعدد التأويل للرؤية الواحدة

بينت في مقالتي عن تأويل الأحاديث، أن يعقوب عليه السلام كان له تأويل رمزي للشمس والكواكب وقد حصل تأويله، أما يوسف عليه السلام فأول الرؤية على ظاهرها عندما دخل عليه أبواه وإخوته وهو على عرش الوزارة أو الملك.

ومن واقع التجربة التي عاينتها بنفسي أنني قد رأيت رؤية خاصة، فأولتها مباشرة بطريقة رمزية وحددت فيها أمور بشكل دقيق بطريقة رمزية، وبالفعل حصلت كما أولتها، لكنها لم تكتمل حتى حصلت أيضًا مرة ثانية بنفس تفاصيلها الحقيقية لا الرمزية.

فكانت الرؤية قد حملت التأويلين بشكل عجيب جدًا: (التأويل الرمزي) و(التأويل الحقيقي الظاهري)، وكانت تجربة غريبة معي شابهت في فكرتها التأويل اليعقوبي والتأويل اليوسفي لنفس الرؤية، وهذا الرؤيا وتأويليها كانت من الغرائب التي حصلت معي.

*****

الإشكالية في التأويل

الرؤى باب عظيم من المبشرات، وهي ما يتبقى للمؤمن من الوحي المتجدد في آخر الزمان، بل هي جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوة؛ لما تتضمنه من وحي غيبي للأحداث.

كذلك فن التعبير هو علم عظيم عزيز، ومنة إلهية عظمى يسبغها على بعض العباد، وقد امتن الله بها على أنبيائه، وخص بالذكر فيها نبي الله يوسف عليه السلام الذي امتن الله عليه بتأويل الأحاديث، أي تعبير الرؤى وما هو أوسع من الرؤى، وقصة يوسف بمجملها تدور رحاها في فلك الرؤى للإشارة إلى عظمة هذا الباب العظيم.

ونلحظ في زماننا أنه كثرت الرؤى المبشرة والمنذرة، لكن في الوقت نفسه نجد أنها لم تؤد دورها الحقيقي في الفهم والتوعية، بل على العكس نجد بعض الآثار السلبية لتلك الرؤى على الكثيرين. وهذا يجعلنا هنا لضبط الأمور بيان الإشكاليات المهمة في هذا الباب، والتي حرمتنا من الاستفادة الحيوية من هذا الباب العظيم.

الإشكالية الأولى: المصداقية.

الملاحظ أن الرؤى أكثرها مجهول المصدر الحقيقي لها، في ظل واقع افتراضي مليء بالتناقضات والأهواء، وهذا يستلزم حالة من السبر والتقسيم لفلترة تلك الرؤى، وتمييز الصحيح من المؤلف أو الكاذب، وللأسف كنت أرى رؤى كانت مستنسخة من مكذوبات قديمة، وتم تحويرها على شكل رؤية وتمريرها على المعبرين الذين كان بعضهم يتساوق معها، بل نبهت البعض وأقمت عليه الدليل المباشر

للاستنساخ ولكنه لم يلتفت لكلامي، وللأسف عدم التعاطي مع الرؤى بحذر شديد في ظل الواقع الافتراضي له أثره في تشتيت الفهم.

الإشكالية الثانية: التعبير.

نلحظ أن هناك جمعًا كبيرًا من المعبرين على الإنترنت، ولا أنكر أن لبعضهم قدرة خاصة في التعبير، لكن خلال دراسة استقصائية لهذا الأمر وجدت التالي:

١- **معبر مدلس غلب عليه الهوى:** وهذا واضح بشكل حيوي من عدد لا بأس به من المعبرين؛ حيث تجده يعبر الرؤية وفق هواه، ويستبعد الرؤى المغايرة لمزاجه وتوجهاته، بل بعضهم كان يعرف رمزية الرؤية ودلالتها ثم يلوي عنقها لصالحه أو اتباعًا لأهوائه، وهؤلاء وإن كانوا يمتلكون القدرة على التأويل أو فهم بعض الرموز إلا أنهم للأسف الشديد تحولوا لبذرة شيطانية تغيير معالم هذا الوحي العزيز.

وقد عاينت بعض هؤلاء بنفسي ومررت عليه رؤية نقلتها واضحة الرموز، فقام بالتدليس وقلب الرموز بشكل واضح لا يمكن أن تحتمله الرؤية، وبحسب فهمي هو لم يجهل الرؤية وإنما دلس وكذب في مدلولها؛ لأن الرؤية كانت واضحة الرموز ولا تخدم هواه.

٢- **معبر محدود القدرة:** وهذا واضح أيضًا، وقد غاب عن البعض أن تأويل الرؤية هو عملية إفتاء، والمفتي لا بد أن يكون على بينة من أمره فيما يفتي، وعنده قدرة في الإفتاء وإلا كان شره أكثر من خيره، ومن هذا الوجه وجدت كثيرًا من الرؤى الصادقة بحسب عناصرها الموحية بذلك، لكن تأويل تلك الرؤى طمس بركة تلك الرؤى وغير مفهومها في أذهان الناس.

ومن هذا الوجه تظهر إشكالية: هل التعبير علم يمكن تحصيله أم هو حالة إلهام!؟ والصحيح أن التعبير يشتمل الأمرين، أي هو إلهام وقدرة خاصة، وهو أيضًا علم له أصوله التي يمكن من خلالها فهم الرؤية، والذي يجمع بين الأمرين هم قليل جدًا، لكن ما أود توضيحه هنا أن التعبير الركيك للرؤى كان له أثره في إحداث بلبلة في الفهم عند الكثيرين، وهذا واضح أن الرؤية الواحدة تجد لها أكثر من خمس تأويلات أحيانًا تكون متناقضة.

٣- **معبر متمكن لكن الرؤى لها مدلول خاص:** بعض الرؤى تتضمن رموزًا خاصة جدًا لها إما تعلق بالرائي، أو تعلق بمن رؤيت في حقه، والرموز الخاصة لا يمكن إدراكها إلا إذا عاينها صاحبها (راجع موضوع عائشة وكلاب الحوأب)، لكن نلحظ أن المعبر يقوم بتأويلها بعيدًا عن مدلولها الرمزي الخاص، وهذه إشكالية كبيرة تواجه عدد لا بأس به من الرؤى، والأمثلة عليه كثيرة جدًا.

*****

اجتماع الأهلة

سبق أن طرحت موضوع اجتماع الأهلة، وقد ذكرت أن هذه العلامة تحتاج مني ستة أشهر لكي يتضح أمرها لي. والحقيقة أنها استبانت لي بعد شهرين من إنزال المقالة، والموضوع له تعلق بعدة رؤى، لكن أهم هذه الرؤى التي أخذت منها العنوان هي هذا الرؤية، التي وضعها أحد الإخوة في المقالة حيث قال:

(هل تقصد يا دكتور هذا الرؤيا، التي رآها رجل من الرياض منذ حوالي العامين والنصف تقريبًا: السلام عليكم. رأيت فيما يرى النائم ان القمر سقط في مكان ما، وهذا المكان كان ملعب لكرة القدم، فذهب الناس يركضون الى ذلك المكان لكي يلعبون بالقمر الذي وقع، واتخاذه كرة قدم ثم طلبوا حكم للمباراة التي ستقام فذهبت ولبست لباس كرة القدم ثم أردت التوجه لملعب كرة القدم لكي أكون حكم للمباراة، فرأيت الشمس أصبحت في وضع الغروب، ثم رأيت هلال يسقط في نفس مكان سقوط القمر ثم توالت الأهلة بالسقوط هلال وراء آخر ثم سقط (نصف قمر) ثم توالت الأهلة حتى صرخت بأعلى صوتي (احذروا من فتنة المهدي) اي احذروا لان المهدي سيظهر وسيكون ظهوره فتنه ثم قلت ان الرسول ﷺ قال: من علامات المهدي اجتماع الأهله، ثم انتهت الرؤيا بسماع البعض لي وعدم ذهابهم الى هناك ولكن الكثير استجاب الفتنه للأسف).

هذه الرؤية ولن أخوض كثيرًا في دلالاتها، فبعض الدلالات صراحة محزن جدًا، لكنني أقف عند موضوع الأهلة، والمراد بها هنا هي أن هناك الكثيرين ممن يظهر عليهم الصلاح، لكن لم تكتمل صفاتهم وأحوالهم، وقد يكونوا من أهل الرؤى، أو ممن رأي فيهم البعض رؤى معينة جعلتهم يظنون أنهم الرجل المخلص أو مهدي آخر الزمان.

هنا الرؤية رمزت إليهم بالهلال، والهلال مبدأ النور، وتساقطهم في الملعب معناه أنهم دخلوا حلبة الصراع على المهدية، وهناك مواطن معينة يجتمعون بها ويدعون لأنفسهم خلالها بطريقة ما، هذه الظاهرة موجودة من سنوات؛ لكنها في ظني علامة هذا العام بالذات لوجود قرينة في الرؤية أرشدتني من خلالها وبحسب رؤى أخرى.

لكن عندما تابعت الأمر وجدت أنه ليس من الحكمة هنا الخوض في تفاصيل هذه الفتنة، ودرجتها وتنصيب الأدلة على حصول مدلول هذه الرؤية بدقة، لكن ما أود أن أطرحه هنا أن بعض الملاعب قد اجتمع فيها أكثر دعاة المهدية، بعضهم يصرح والآخر يلمح، وقد أقحموا أنفسهم بفتنة من حيث لا يعلمون، ودخلوا في دوامة البحث حتى في الكتب الصفراء المكذوبة، وهنا الخطأ الكبير.

عمومًا: بالنسبة لي هذه الرؤية تحقق الشيء الأهم فيها من ثلاثة أشهر تقريبًا أو يزيد قليلًا، لكن الإفصاح عن الموضوع يقحمنا في فتنة نحن نتعوذ دائمًا بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية. وهنا بعض المتتبعين لعالم الرؤى سيفهمون كلامي هنا جيدًا.

وما تأسف منه الرائي أنا أيضًا أتأسف منه، وأقول هناك فهم مغلوط جدًا لظاهرة الإمام المهدي وميكانيزمته وشخصيته؛ تجعل كل من ظهرت فيه بعض البوادر البسيطة يطمع أن يكون هو. وفي ظني أن الإمام المهدي سيصدمنا جميعًا بشخصيته عند ظهوره؛ هذا والله أعلى وأعلم. لكن تحقق هذه الرؤية تشعرني بأننا بيننا وبين الأمر سنوات قلائل فقط.

*****

إذا ظهر ظهر

أعجبتني رؤية مطروحة على النت، وهذه الرؤية تتوافق مع فهمي للسنن، وتنسجم مع رؤى أخرى ومع إشارات ودلالات وجدتها في كتابات الأنبياء، والمجال

هنا لا يتسع لملاحقة كل هذه الأمور؛ لذا اقتصر على فهمي وتأويلي لتلك الرؤية، لكن ليفهم البعض أنني ما اعتمدتها إلا بعد توفر قرائن كثيرة عندي تدل على مصداقية مدلولها.

فالمسألة بالنسبة لي ليست مسألة استئناس برؤية، بل هو قرائن كثيرة يرشد إليها مدلول الرؤية. وسبب سوقي لهذه الرؤى؛ بيان قضية مهمة تتعلق بالإمام المهدي إذا كان هذا الزمان زمانه، ورد على الكثيرين من المتعجلين من أدعياء المهدية.

والمعلومة المهمة التي أود أن أسوقها هنا، هي أن الإمام المهدي لن يظهر كما يتصور البعض، بل ظهوره سيكون مفاجئًا بعد أن يكون قد نال تأييدًا خاصًا يمكنه من المرحلة التي سيخرج بها، وقد يكون الإصلاح من الدرجة الأولى له علاقة بتلك القدرات الخاصة التي ينالها، فيكون ظهور المهدي المؤيد من الله المهيأ له التمكين والحفظ في الأرض.

ووفق ما ذكرت سيبقى المهدي في طور الغيب، لا يعلم به أحد حتى اللحظة الأخيرة لخروجه، وذلك من باب الحفظ له، فهذا موسى عليه السلام قبل رحلة الطور كان إنسانًا عاديًا راعيًا للغنم في منطقة مغمورة لا يشعر به أحد، ولكن في الطور كانت الهداية العظمى وتسلم الأمانة وتسلم معها التأييدات، وأحاطها الله سبحانه وتعالى بالحفظ: "إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ".

فهذه هي السنن خاصة في قصة هي أشبه ما تكون بقصة موسى عليه السلام، والآن لنبدأ بالرؤية ونرى إلى أي معنى تشير، وكيف يمكن فهمها الفهم الصحيح. هذه الرؤيا معروضة بتاريخ ٢٠١٥/٨/٦، وفيها يقول الرائي: (سمعت هاتفًا في

منامي يقول لي: إن المهدي مثل قيام الساعة، وأيضا سمعت عبارة أخرى يقول لي: اذا ظهر ظهر).

هذه الرؤية أراها من أجمل الرؤى وأدلها على مرحلة الظهور، والهاتف في المنام يعتبر من أقوى أشكال المنامات، فهو أشبه بالإلهام، والرؤية تتضمن شقين لهما ذات المدلول: الشق الأول: (إن المهدي مثل قيام الساعة)؛ فالساعة لها علامات تشير بقربها، لكنها لا تأتي إلا بغتة وخارج تصور الناس، يقول الله ﷻ: "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً" [الأنعام٣١]، "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً" [الأعراف١٨٧]، "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" [الزخرف٦٦].

فالآيات واضحة أن قيام الساعة يكون بغتة، والرؤية تشير إلى أن المهدي مثل قيام الساعة، أي يأتي للناس بغتة ويكون ظهوره مفاجئًا للجميع، وليس كما يتصور البعض.

أما الشق الثاني من الرؤية: وهو المهدي إذا ظهر ظهر؛ فهو ينسجم تمامًا مع فهمي للسنن وفهمي لظاهرة المهدية، كذلك ينسجم تمامًا مع الشق الأول، والعبارة السابقة مكونة من تكرار لكلمة مرتين، وبمدلولين: الأول من الظهور بمعنى الانكشاف. والثاني: من الظهور بمعنى الانتصار.

فيكون المعنى أن المهدي إذا خرج فسيترتب على ظهوره الانتصار، وبمجرد ظهوره يكون إعلانًا عن بداية الانتصارات، وهذا يستلزم أن تكون الظروف مهيئة لظهوره الأول، والمتابع للواقع الحالي يستشعر أن الظروف غير مهيأة، لكن قد تكون التهيئة قريبة.

نستخلص من الرؤية السابق أن المهدي سيخرج فجأة، وهو يكون قبل ظهوره خافيًا على الجميع، وقد يكون خافيًا على نفسه حتى اللحظة الأخيرة كما حصل مع موسى عليه السلام.

*****

نكراء وفعلاء

هنا سأضرب أمثلة تبين لنا جلالة بعض الرؤى، وما تحويه من دلالات من جهة، وكيف أنها من خلال تعبيرات سقيمة تخرج عن مسارها الحقيقي بما يحرمنا معنى دلالتها بقوة، وتغيب عن فرصة اكتشاف جانب من جوانب حركة الغيب المؤثرة في الواقع من خلال ستار خفي.

هذه الرؤية أضعها الآن في توقيتها المناسب لها بإذن الله، وعمر هذه الرؤية سنة وأربعة شهور تقريبًا.

تقول الرائية: (الجمعة ٢٠١٥/٢/٢٧، لقد رأيت اليوم بان امامي خريطة العالم كبيرة جدا فلم اري الا دولة الجزائر فقط وهي كل العالم فرأيت في شرقها مدينة اسمها نكراء وفي غربها مدينة اسمها فعلاء لا يوجد غيرهما فعرفت انه ستحدث اهم

الاحداث في العالم في هاتين المدينتين فسالت شيخ كبير في السن لا اعرفه عن هاتين المدينتين فقرا اسم المدينتين من الخريطة وسكت ولم يقل شيء).

هذه الرؤية نزلت في فبراير، وكنت حينها أدخل بعض المنتديات للمتابعة في هذا المجال، أخطأت وتدخلت في تأويلها يومها، وأولتها مباشرة أن الموضوع لا يتعلق بالجزائر بل بأمريكيا، ودولة في شرق أسيا ضمن حدث مهم جوهري لا يتعاطى معه الناس، لكنه مهم جدًا على مستوى حركة الغيب.

عندما أنزلت التأويل قام القائمون على المنتدى بمسحه مباشرة، وخرجت حينها من المنتدى الذي كنت لا أشارك به في الأصل.

هذه الرؤية رأتها امرأة مهتمة في موضوع المهدي، وهنا تتسلل الأماني وتقحم نفسها في الرؤى أو في تعبيرها، حيث ظن البعض أن المقصود بفعلاء المهدي وأنه في الجزائر، وهكذا كان لهذا التعبير أثره في الماورائية الذهنية عند البعض، بالرغم من أن الرؤية في الأصل لا علاقة لها بالجزائر.

ورموز الرؤى أحيانًا هي شيء آخر غير الظاهر، وهنا الفرق بين العالم وبين غيره في هذا العلم العزيز، فالجزائر في الرؤية جاءت لترشد للعالم، واستخدمت لفظة مذكورة في كتابات الأنبياء (الجزائر) لترمز إلى الجزر المتعددة، ونلاحظ في الرؤية أن خارطة العالم كلها أصبحت خريطة الجزائر، فالرمزية من الدرجة الأولى مرتبطة بالعالم أجمع، وفي جزائر معينة في شرقه وغربه.

فرمزية الجزائر هنا باسمها وليست بحقيقتها، والدليل موجود في الرؤية أن العالم كله أصبح خريطة الجزائر.

جاء عندي أن الجزيرة الشرقية سترتكب منكرًا، أو هي منكرة في الخارطة العالمية، لذا تصورت أنها قد تكون كوريا الشمالية، لكن بحسب فهمي للرؤية يجب

أن تكون الرؤيا لها علاقة بشرق آسيا وهي نكراء، أما فعلاء فهي دولة مؤثرة وفاعلة على مستوى الأرض، وهذا لا يصدق في غرب العالم إلا على أمريكيا.

إذًا هذا تأويل مبدأي للرؤية بحسب رموزها العامة، وبحسب ما أوتينا من علم حينها، تمر الأيام ويدخل رمضان، وكنت خلاله أطرح مواضيع لها علاقة بقراءة الأحداث قراءة قرآنية، ويقع حدث ما تفاعلت معه وأنزلت موضوع يتعلق به حينها، وهذا الموضوع أدرجته تحت عنوان: جنون بقر أم جنون بشر علامة جوهرية.

طبعًا عندما تناولت الموضوع كنت قد نسيت الرؤية تمامًا، لكن قراءتي للحدث وفق منهجي وفهمي للسنن؛ جعلني أشعر أنني أمام علامة قد يغفل عنها الكثيرون، وقد تناولت الموضوع حينها بالفيس، ووضعت له رابط هنا في المدونة، من أراد أن يراجعه بتاريخيه فليراجعه.

وأنا الآن سأنقل ما كتبته في الفيس حينها عن الحدث الذي يتعلق بتشريع البيت الأبيض للمثليين، ثم الاحتفال في تايوان بالحدث وما ترتب عليه من حرق لهم، وهذا هو النص كما هو بتاريخه، وهو موجود في صفحتي نداء الروح في الفيس بتاريخ ٤ يوليو ٢٠١٥م. بداية المقال:

(جنون البقر وجنون البشر

جنون البقر عرفناه والله يعين البقر عليه، لكن جنون البشر هذا نوع ثاني، هذا جنون إرادي، وممن؟؟ إنه ممن يظنون أنفسهم العالم الأول في الحضارة والرقي الإنساني، عندما يخرج علينا البيت الأبيض بتشريع علاقة المثليين، فهذا معناه حالة من الجنون أخرجت الإنسان من دائرة إنسانيته وأدخلته في آخر السلسلة الحيوانية.

بل حولته إلى كائن هجين، حتى لا تقبله السلسلة الحيوانية القائمة على علاقة الذكر والأنثى: "وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ"، طبعًا هذا القرار ليس بسيطًا

وله دلالات كثيرة، صحيح أن في أمريكيا قرابة الأكثر من عشرين مليون مثلي، وهناك قبول ضمني لهم في المجتمع.

لكن أن يخرج تشريع يعتبر مثل هذه العلاقة علاقة طبيعية لا يجوز إنكارها؛ فهذا معناه الجنون القسري والانحطاط الفكري، جعل رئيس زيمبابوي (العالم الثالث أفريقيا) يقول هازئًا: (الآن يمكنني طلب يد أوباما للزواج!)، إنه سخرية العالم الذي يسمى عالمًا متخلفًا مما وصل إليه العالم المتحضر من سفاهات وتفاهات تخرج الإنسان من إنسانيته.

أنا الآن لن أخوض في الموضوع من الناحية الفكرية، لكن في دلالات هذا الموضوع الدينية بحسب ما فهمت من سنن ربانية؛ فتشريع الإنسان يفتح المجال واسعًا للعقوبة الربانية، لذا بعدما شرع أوباما هذه الجريمة النكراء مباشرة كان التشريع الإلهي ببيان العقوبة، بمعنى أنك يا أوباما إن شرعت فأنت لا تملك، لأن المالك للكون هو الله.

وأنا هنا أنقل الخبر بحسب صحيفة سما كما هو: (سما / وكالات: انتهى حفل أقامه حوالي ٥٠٠ من المثليين في تايوان احتفالًا بتشريع زواج المثليين في معظم أنحاء العالم بمأساة موتهم حرقًا وهم أحياء بحسب تقرير لقناة ناتشورال نيوز.

وكانت الصدمة التي هزت كل فرد بأن المؤثرات الصوتية والألعاب النارية التي أطلقوها في الهواء والتي شملت على سحب ضخمة من قوس قزح وجزئيات لامعة من المعدن المتوهج اشتعل وتحول إلى عاصفة نار سقطت على مئات من المحتفلين الذين التفت السنة النيران حول أجسادهم.

وبناءً على التقرير فأن جميعهم أصيبوا واكتظت المستشفيات بضحايا الحريق وقد نجا قلة منهم كانت حروقهم خفيفة وغادروا المستشفيات، ولكن معظمهم ماتوا حرقًا مما جعل بعض المعلقين يصفون الحادث بجهنم).

إنها رسالة السماء لأوباما وللبيت الأبيض، رسالة سريعة مفاجئة تذكرني أيضًا برسالة أسبق منها حصلت في أندونيسيا، في حفل عري على جبل ترتب عليه مباشرة زلزال عظيم قتل أكثر من على الجبل، في حادثة شهيرة لم يمر عليها إلا قرابة الشهر.

إنها رسائل من الله لعلنا ننتبه للأمر وضمن توقيت رباني عجيب. زلزال يدمر أصنام التبت في نيبال، زلزال أندونيسيا، ثم جهنم المثليين...، حتى لا يطول الموضوع أقول: تشريع البيت الأبيض حاليًا يعتبر أعظم جريمة وقعت على مستوى الإنسانية على مدار التاريخ، إنها التشريع الذي أوجب عقوبة الرجم من السماء في الماضي في حق قوم لوط.

وأقول الآن وبحسب فهمي للسنن ودراستي لعلامات الساعة، والتي صدمت في تلاحق أحداثها بسرعة في السنوات الأخيرة؛ أقول هذا التشريع بالذات لهو إشارة إلى قرب الرجم من السماء، وأنا متتبع لكل إشارة، وهذه الإشارة جوهرية عندي، يقول الله عن غفلة الناس: "وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ"، نعم آيات ورسائل ربانية لكننا في غفلة تامة، ولا يدرك آيات الله وإشاراته إلا أهل البصيرة، اللهم سلم "فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ") انتهى المقال.

هذا هو المقال الذي كتبته حينها عند متابعتي للحدث، وبحسب فهمي للسنن الإلهية رأيت أنه حدث جوهري مهم جدًا، قد يكون فاتحة لمرحلة جديدة قريبة مؤذنة

بأمور عظيمة، ولعل من أهم الإشارات أن هذه الجريمة وتعزيزها في المجتمعات وتشريعها ومحاربة كل من ينكرها، هو بمثابة ربط حقيقي يوصلنا لسنة من سنن الحدث الكوني الجوهرية من حيث لا نعلم، إنه استدراج سنني.

أنا هنا أكتب بحسب السنن، لكن غاب عن ذهني أن الرؤى قد كشفت عن أهمية الموضوع قبل حدوثه بخمسة أشهر تقريبًا خلال الرؤية السابقة، هنا نحن نطلب كيف نظرت حركة الغيب للحدث نرجع للرؤيا لنقرأها من جديد:

تقول الرائية: (الجمعة ٢٠١٥/٢/٢٧، لقد رأيت اليوم بان امامي خريطة العالم كبيرة جدا فلم اري الا دولة الجزائر فقط وهي كل العالم فرأيت في شرقها مدينة اسمها نكراء وفي غربها مدينة اسمها فعلاء لا يوجد غيرهما فعرفت انه ستحدث اهم الاحداث في العالم في هاتين المدينتين فسالت شيخ كبير في السن لا اعرفه عن هاتين المدينتين فقرا اسم المدينتين من الخريطة وسكت ولم يقل شيء).

الجزائر ممثلة بالعالم إشارة إلى أن الحدث مرتبط بجزيرتين، هاتان الجزيرتان يقومان بحدث مهم جدًا على مستوى العالم، جاء التعبير عنه في الرؤية بعبارة (أهم الأحداث في العالم)، الجزيرة الأولى فعلاء؛ وهي إشارة إلى أمريكيا (شبه جزيرة)، وتشريعاتها الفاعلة على مستوى الأرض، وقرار البيت الأبيض بتشريع زواج المثليين (فعلاء).

الحدث تتفاعل معه جزيرة بأقصى الشرق شبه جزيرة تايوان (نكراء)، ويقوم المثليون هناك باحتفال كبير جدًا فرحًا بقرار فعلاء وتشريعها، ويترتب على ذلك حصول حريق كبير جدًا، اختلفت الأخبار في عدد الموتى فيه، وقال بعضهم إنها جهنم التي فتحت علينا من عظمة الحدث، إنها جزيرة نكراء.

أما لماذا نكراء!؟ أولًا لأن الحفل كان بنادي كبير أو منتزه، والاحتفال كان فرحًا بفاحشة اللواط، وكأن نص الرؤية ينقلنا مباشرة إلى النادي القديم، وكيف وصفه القرآن الكريم: "أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" [العنكبوت٢٩].

فنكراء إشارة لهذا المنكر وتلك الفاحشة المنافية لإنسانية الإنسان، وكيف يؤتونها جهارًا نهارًا، بل في ناديهم في سدوم أو في منتزههم في تايوان، ونكراء معناه الغريب المستهجن، وهي تذكرنا بكلمة موسى عليه السلام عندما استهجن قتل الطفل الصغير: "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا" [الكهف٧٤].

وتذكرنا بذي القرنين الذي جاب مشارق الأرض ومغاربها، وتحدث عن العذاب النكر: "قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا" [الكهف٨٧]، فالقصة حصلت بين مشارق الأرض ومغاربها (فعلاء ونكراء)، وانتهت بالعذاب النكر كما بينت من خلال الخبر الصحفي.

هذا المثل السريع إنما طرحته هنا لبيان كيف أن الرؤى هي صفحة مفتوحة على حركة الغيب وعلاقتها بالواقع، وأن تعاملنا الفج معها يحرمنا من دلالاتها الحقيقية، ويجعلنا نركب حصان الوهم نحو السراب من حيث لا نعلم، حيث أن التأويل الخطأ لهذه الرؤية كان له أثره في الماورائية الذهنية للكثيرين وخاصة صاحبة الرؤية حيث فهموها على غير تأويلها الحقيقي، فهذه الرؤية تأويلها يوسفي وليس يعقوبي، وراجعوا تحليلي لنوعية التأويلين.

* * * * *

المهدي والرؤى (بين الهوس والواقع)

لفت انتباهي خلال السنتين المنصرمتين كثرة الرؤى التي تتحدث عن المهدي وعيسى عليه السلام وعن نزول نيزك، ونظرة استقرائية لمجمل الأمر استوقفني، حيث وجدت رؤى تحدثت عن توقيت، وتعلق بها البعض ثم تبين خلاف ما يتصورون، في مرحلة الحديث عن مذنب إيسون؛ كثرت الرؤى التي تتحدث عن نزول نيزك، وبدأ الاهتمام أكثر وتعلق الجميع بظاهرة إيسون ثم خمدت الفكرة بعد تفتته.

خلال تتبعي عبر التاريخ، رأيت أيضًا موجات من الرؤى تحصل في حقب متعددة، كان يتعلق بها البعض ثم تخمد الظاهرة، بل وقع أحد المفسرين المشهورين من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: "إذا لم يخرج الدجال سنة ١٦٠ – كما أذكر– فاعتبروني كاذبًا". وقصة الرؤى التي كانت سببًا في فتنة جهيمان ليست ببعيدة عنا.

بخصوص الوضع في مصر كثرت الرؤى وارتبطت الأحداث في الرؤى بتوقيت معين، وكان المعبرون يسارعون بتأويلها على ظاهرها، ولكن كانت تأتي الأحداث بخلاف مدلول الرؤى.

نحن الآن من خلال الرؤى وصلنا إلى أن المهدي موجود وهو مسحور، وهو الآن ينتظر الخروج، بعض الرؤى تتحدث عن خروجه من المغرب، وبعضها من الشام، وبعضها أنه بأطراف اليمن، وبعضها أنه الجزيرة العربية، وبعضها أنه في مكة، وكل معبر يعبر الرؤيا على ظاهرها.

فإذا قمنا بجمع كل الرؤى ودرسناها دراسة موضوعية؛ وقعنا في التناقض في مدلولاتها، لكن إذا تعاملنا بطريقة تجزيئية في تعاملنا مع الرؤى؛ فكل يوم سنتعاطى مع فكرة قد تختلف عن سابقتها.

أنا أعلم أن الرؤيا هي جزء من ٤٦ جزء من النبوة، وهي في آخر الزمان تكون صادقة، ولا أشكك في الرؤى وهي من المبشرات، لكن أنا مع ضبط المسألة حتى لا نقع في الحيرة، فالرؤى المطروحة على النت الآن لها عدة احتمالات:

الأول: رؤيا صادقة.

الثاني: رؤيا حديث نفس، خاصة تلك الرؤى التي ثارت فجأة مع فكرة مذنب إيسون، أو على الأقل جزء من هذه الرؤى استغلها الشيطان؛ ليمرر الفكرة في عقول الناس خاصة مع تعاطيها مع هذه الرؤى.

الثالث: رؤى تلبيس من الشيطان، وتخليط على قلوب الناس، وهذا واضح في كثير من الرؤى، خاصة مع الظروف النفسية الحساسة التي تمر بالأمة.

الرابع: رؤى تم تمريرها على المعبرين لتشتيت الفكر، وقد يكون وراءها مآرب خاصة، وطبعًا المعبر يحسن الظن في كل صاحب رؤيا (وهذا هو الأصل في المعبر)، لكن المشكلة أن هذه الرؤى بدأت تصيغ أفكار الكثيرين، ولها أثر مباشر في الماورائية الفكرية لدينا.

الخامس: رؤى صادقة لكن التعبير للرؤية أسقطها على الأيام القريبة، تأثرًا بالظرف النفسي الذي نمر به جميعًا واستعجالنا الفرج، والمعلوم أن رؤية يوسف عليه السلام كان تأويلها بعد عقود من الزمن.

السادس: رؤى صادقة لكن التأويل غير موفق لها، إذ تحتمل رمزية تحتاج إلى درجة من الإلهام والفهم ودلائل السياق، وكنت أستغرب من كثرة الرؤى التي يسقطها المعبرون على المهدي مع أن سياقها لا يدل صراحة ولا رمزًا. كذلك هناك احتمالية لضابط آخر غاب عن أكثر المعبرين، وهو أن الرؤيا إذا رآها عالم أو حاكم؛ فهي تكون عامة، وإذا رآها إنسان عادي فاحتمالية كونها خاصة احتمالية قوية.

وهنا أقول أن الأنبياء بالرغم من قدراتهم الخاصة إلا أن بعض الرؤى كانت تحتاج في تأويلها للوحي أو لنزول الملك ليعبرها للنبي، ومن هذا النوع رؤى دانيال كما في سفر دانيال، ورؤى عزرا ونحميا ورؤيا باروخ كما في الأسفار المنحولة في مخطوطات قمران، وهذه الرؤى بمجموعها قد تزيد على عشرين رؤية وكلها فسرها الملك لأصحابها.

والمعنى أن الرؤى العامة تحتاج إلى تروي وتأمل وابتهال وطلب ولجوء صادق لله ولا تؤول بسرعة، وأذكر أنني وضعت رؤية خاصة في بعض المنتديات، فتم تأويلها بأكثر من عشر تأويلات، وأحيانا لا أجد رابط بين تأويل وتأويل، وهذا اجتهاد ولكل مجتهد نصيب، وما وقع في رؤيتي الخاصة هو نفسه الذي يقع في الرؤى العامة.

بل لاحظت في بعض المنتديات أن بعض المعبرين، واعتمادًا على الرؤى يقول سيحدث في ذي الحجة أمر، ثم غيره يجزم في رمضان، ثم غيره يقول ٢٠١٢ وغيره يجزم ويقسم على ٢٠١٣، وآخر يجزم على سنة ١٤٣٥، وهكذا دوامة وقعنا فيها، وقد عايشت فتنة في بلدي سببها الرؤى والمهدوية، أثرت بشكل جوهري على عائلات بأكملها، وبعضهم اختلط عليه الأمر.

ماذا ترتب على تأويل الرؤى بهذا الشكل!؟

للأسف كثرة الرؤى وعموميتها التي تصدق على الكثيرين أوقعت الكثيرين في فتنة المهدية، وهذا يذكرني بمسألة المعالجين للمس الشيطاني، فهم لقلة بضاعتهم وتضلعهم بالدراسات النفسية والإنسانية؛ كانوا يتوسعون جدًا في ذكر الأعراض الدالة على المس، وكلما توسعوا في الأعراض كلما زاد الوهم في الكثيرين باعتبارهم ممسوسين، وللأسف نلحظ هناك تلازم بين الظاهرتين حتى في المنتديات المتعلقة بالفتن أو الرؤى، نجد دائمًا هوس بالسحر والمس بطريقة تخرجهم من دائرة المعقول إلى دائرة الوهم.

رأيي في الرؤى:

بخصوص الرؤى أنا لا أشكك بها، لكن الأمر حاليًا وصل لدرجة الهوس، وأدخل الكثيرين في دائرة الوهم، بل لاحظت على الكثيرين أنهم أصبحوا أسرى لتلك الرؤى، واعتبروها حتى لو كانت مخالفة لمدلول السنة في ترتيب الأحداث، ومن دخل أي منتدى يتعلق بالفتن أو الرؤى؛ يحصل لديه تصور أن هذه السنة أو التي بعدها هي سنة بعث المهدي ﷺ.

ولكن الدارس لعلم الفتن يجد أن هناك أحداثًا هامة لا بد من وقوعها قبل بعث المهدي، فالرؤية وإن كانت جزء من ٤٦ جزء من النبوة؛ فهي للاستئناس ولا تقوى لمعارضة السنة التي هي النبوة بعينها، وبالتالي نحن نستأنس بالرؤى لكن فهمنا لمجمل الأحداث لا بد أن يعتمد على الوحي بنوعيه وهو القرآن والسنة من الدرجة الأولى، وما تعارض معهما أو تعارض مع ترتيب الأحداث وفقهما؛ نتركه ونتمسك بما جاءت به السنة، خاصة أن الرؤى التي في النت هي مجهولة المصدر، ولا نعلم هل هي حقيقية أم مفتعلة أم فيها زيادات لمآرب خاصة.

ومن خلال تجربتي أقول: لقد استفدت كثيرًا من بعض الرؤى التي تأكدت من دلالاتها، لكني وفق منهجي العلمي أخضعتها لدلالات الكتاب والسنة وترتيبهما للأحداث، بعيدًا عن الهوس والوهم، ونصيحتي للجميع قبل الولوج في باب الرؤى لا بد أن يكون عندهم إلمام بدراسة مبدأية في علم الفتن والملاحم، ومن تتبع مواضيع مدونتي قد يحصل على تصور عام لكل ما يتعلق بالمهدي وعلامات الساعة المرتبطة به، بصراحة هناك خلط كبير عند الكثيرين.

الخلاصة:

باب الرؤى باب مهم، لكنه مستغل بطريقة عشوائية بعيدة عن أي منهج علمي واضح، أو تأويل إيجابي لها، وفي ظني أن كثيرًا من التأويلات قد جانبها الصواب.

وجهة نظري في ظاهرة المهدي رضي الله عنه:

أرى أن هناك دلائل متعددة تشير إلى أن ظاهرة المهدي قريبة، لكن توقيتها علمه عند الله سبحانه وتعالى، وحسب فهمي لبعض النصوص وبعد دراسة مستقصية أن المهدي رضي الله عنه سيبقى في طي الغيب إلى أن يظهره الله فجأة، وبعكس توقع الكثيرين، لكن متى هذا أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

هل هناك احتمال أن يكون بيننا وبين المهدي مدة زمنية كبيرة!؟

نعم هناك احتمال، ومن يقول غير ذلك فهو غير دارس لعلامات الساعة دراسة واعية، لكن أيضًا هناك احتمال أن تحمل السنوات القريبة القادمة البشرى ببداية مرحلة المهدي رضي الله عنه.

*****

المهدي واللون الأحمر بحسب الرؤى

بداية كون المهدي في زماننا، أو يتجاوزه هذا أمر من الغيب الذي هو خارج حدود عقولنا القاصرة، ويوم عند ربك كألف سنة مما تعدون.. لكن هناك رؤى وإشارات تدل على قرب أمره. وإكمالًا لموضوعاتي في المدونة سأجعل نصيبًا منها للرؤى التي أتحقق من مصداقيتها وفق ضوابط معينة أستخدمها في دراستي.

وقد حاولت تتبع الرؤى المطروحة في الإنترنت، ولفت انتباهي ارتباط الرؤى المتعلقة بالمهدي بثلاثة ألوان: الأحمر والأزرق والأبيض.

فهمت من هذه الألوان لونين: الأحمر يدل على رتبة المهدي، والأزرق يدل على سره...، هنا سأتناول بسرعة بعض الرؤى ذات العلاقة باللون الأحمر، وأكتفي هنا بثلاث رؤى فقط، رؤية منذ ٢٠١٠ لرجل يصف نفسه أنه من آل البيت، ورؤيتان حديثتان: إحداها على المنتديات، والأخرى أرسلها لي رجل أثق بدينه وأمانته.

الرؤية الأولى: رؤيا الوشاح.

يقول الرائي: (هذه رؤية رأيتها اليوم وهي بخصوص المهدي:

رأيت رسول الله ﷺ يمشي مسرعا في السماء الرابعة وهو يحمل في يده وشاح كبير جدا من الحرير ولونه احمر قاني أو قل داكن، وهو يهم أن يمد يده عبر السماوات ويلقي بالوشاح من السماء الرابعه إلي كتف شخص من اولاده وأحفاده حتي

يحسم أنه المهدي المنتظر للناس ورأيت الوشاح يتحرك من السماء وهو يتجه لكتف شخص من الأشراف ويسقط علي كتفه الأيمن فيمسكه بيديه ويحاول أن يصلحه ويضعه علي كامل كتفيه الاثنين وكان هناك عدد من الناس يتحركون حول هذا الشخص غير عابئين به ولا يعرفون قصة الوشاح.

انتهت بحمد الله نحن في انتظار تعبيركم). تاريخ الرؤيا ٢٥/١١/٢٠١٠.

هذا نص الرؤيا، وهناك عدة أمور وقرائن جعلتني أقر بمصداقية هذه الرؤية، أما تأويلها عندي فهو كالتالي:

الرمز الأول: رمزية السماء الرابعة.

الرسول في السماء الرابعة، وهذا فيه إشارتان:

الإشارة الأولى: يحتمل أن المهدي إدريسي النسب، بمعنى أنه من نسل إدريس الذي نسبه من جهة الحسن بن علي ﷺ، يعني فرع الأدارسة، وهو فرع كبير منتشر في المغرب العربي، وفي أكثر بلدان المسلمين، لماذا إدريسي**!؟** لأن النبي اختار السماء الرابعة التي فيها النبي إدريس.

الإشارة الثانية: تميز إدريس عليه السلام عند أهل الكتاب بأنه أكثر نبي اكتشف الأسرار التي تتعلق بالمستقبل، واختيار النبي عليه السلام لمقام إدريس وإلقاء الوشاح من السماء الموجود فيها؛ إشارة إلى أن الوشاح هو بداية كشف الأسرار للإمام المهدي رضي الله عنه، ولعله لقب بلقب المهدية بسبب تلك الهداية الخاصة التي ينالها من علوم وأمور خفية عن غيره، بحيث يستحق معها أن يلقبه الجميع بالمهدي، وقد وردت آثار ضعيفة أن المهدي يلقب بذلك لأن الله يهديه لأمر خفي، وفي أثر آخر يهديه الله لأمر قد دثر...

الرمز الثاني: اللون الأحمر والوشاح.

اختيار كلمة الوشاح واللون الأحمر فيه إشارة (وهذا أمر غريب) لموضوع التابوت، فالمعلوم كما في التوراة المنحول أن الملائكة قبل هجوم البابليين على بيت المقدس قامت بإخفاء حلية المسجد، وهي الوشاح والأفود والتابوت وطاولة والشمعدان، فاختيار الوشاح هنا إشارة لهذا السر، ويتوافق مع المذكور في الفتن لنعيم بن حماد حول استخراج المهدي للتابوت.

أما اللون الأحمر فهو نفس الوصف لمصلح آخر الزمان في سفر أشعياء؛ حيث وصفه النص بأنه يلبس الثوب الأحمر كلون العنب الأحمر المعصور.

الرمز الثالث: النبي محمد عليه السلام والوشاح.

إلقاء النبي عليه السلام للوشاح من السماء الرابعة، فيه إشارة إلى عمود الكتاب الذي ورد في الأحاديث حيث قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ». فهذه الرؤية إشارة إلى انتقال عمود الكتاب من النبي عليه السلام إلى الشام، فتكون رمزية الرؤية إشارة إلى انتقال عمود الكتاب إلى الإمام؛ لأن النبي عليه السلام قد بين أن حصول ذلك وقت الفتن. فنفهم من هذه الرمزية احتمالية كون المهدي في الشام، أو هو إشارة إلى حكمه لبيت المقدس كعنوان للخلافة في آخر الزمان وعاصمتها.

الرمز الرابع:

وضع الرجل الوشاح على كامل كتفيه هو نفس النبوءة الموجودة في أشعياء وتتحدث عن غصن الرب، وهذا الأمر عجيب جدًا لأن مدلول النبوءة يتوافق بالضبط مع نص الرؤية، وسأنقل النبوءة الإصحاح السادس: "٦لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا"، فهل النبوءة تتحدث عن المهدي أو القحطاني، وتكون رؤية الوشاح خاصة بالقحطاني يحتمل.

هذه هي الرؤية الأولى، وتكون رتبة المهدي تعلقت بعمود الكتاب الذي رفع من الأرض وسيعود إليها بنص النبي ﷺ في الشام، وخاصة في زمن الفتن كما صرح الحديث النبوي الشريف.

خلاصة الرؤية: هناك رابط بين عمود الكتاب واللون الأحمر والوشاح الأحمر.

الرؤية الثانية: المهدي والشعراوي.

هذه رؤية وجدتها في أحد المنتديات، ونزلها أحدهم منقولة بتاريخ ٢٠١٥/٥/١، يقول الرائي:

(رأيت نفسي في مسجد في مصر وهذا المسجد لم يكن فيه أحد إلا المهدي والشيخ الشعراوي وكان الشيخ الشعراوي جالس في كرسي مثل الكرسي الذي يجلس عليه عندما يشرح في القرآن كان جالس الشيخ الشعراوي أمام المنبر يبتسم للمهدي وكان المهدي مستغرب من إبتسامته له، وكانت السجادة في المسجد بالأحمر ومطرزة باللون الذهبي،،انتهى).

شرح الرؤية:

هنا نلحظ أن هناك رابطة بين الشعراوي وبين المهدي في الرؤية، والمعلوم أن الشعراوي تميز بتفسيره للقرآن، أو بطرحه خواطر حول القرآن الكريم، هذه الرمزية هي المهمة في الرؤية؛ مما فيه إشارة إلى أن المهدي سينال علمًا واسعًا في كتاب الله ببركة عمود الكتاب، ونجد في الرؤية هنا الربط بين اللون الأحمر وبين هذا الحدث بالذات، والمرتبط بالكتاب وبالقرآن وهو البساط الأحمر المذهب.

ملاحظة: البعض قد يسرح بعيدًا في تأويله للرؤى عن المعنى المقصود، وطبيعة الرؤى أنها قياسية تمثيلية، أي تأتي بمثال تقريبي لتوضيح فكرة أو إرسال رسالة، رمزية الشعراوي هنا فقط هو علم الكتاب ومدلولاته؛ فوجوده في الرؤية فقط للإشارة لهذا المعنى، كما أن السنابل الخضر رمز للخصب والسنوات واليابسات رمز للقحط ولضرورة التخزين.

لكن ما يتضح من الرؤية الربط بين القرآن وبين اللون الأحمر، مما يؤكد فهمي لعمود الكتاب في رؤية الوشاح الأحمر.

الرؤية الثالثة:

وهذه رؤية جديدة أرسلها لي صديق وطالب علم أثق بدينه وأمانته، وهو ينتظر تأويلها أي أن عمر الرؤية فقط أيام، والرؤية طويلة لكن آخذ منها مقطع صغير يهمنا هنا.

يقول الرائي: (ثم انتقل بي المشهد إلى صاحب الوجه الذي رأيته سابقًا أنه النبي، لكني رأيت هذه المرة جزءًا كبيرًا من جسده، رأيتُ رجلًا عظيمًا جدًا أعظم من الشوامخ، والناس كأمثال الذر تحت قدميه، واقفون على رقعة من الأرض، وكنت

أنظر إليهم وهم تحت قدَميْ هذا العظيم، ثم رفعت بصري لأنظر إلى هذا العظيم، فكان يلبس مثل جبّة العلماء لكن ليست بجبة ولونها عنابي فاتح أو أحمر فاتح، فما كان مني إلا أن أقترب لأرى وجهه جيدًا لأنني لم أستطع ذلك من المكان الذي كنت فيه، فنظرت بعد الاقتراب مشرأب الرأس إلى وجهه، فرأيتُ أعلى رأسه ناحية الجبهة في غمام أبيض، والعينان معصوبتان بضماد أبيض أشد ما ترى من البياض، وهو قائم لم يتحدث ولم يبتسم ولم يعبس).

نلحظ في الرؤية أمرين: عظمة الرجل مما يشير إلى عظمة التأييدات التي سينالها. والأمر الثاني: اللون الأحمر الذي يلبسه مما يشير إلى أن هذا الحدث سيكون بعد نزول عمود الكتاب والوشاح.

مع ملاحظة مهمة جدًا لم يفهمها الكثيرون، وهي أن عمود الكتاب هو شيء آخر غير الكتاب، هو شيء آخر غير القرآن الكريم، وبه استطاع النبي عليه السلام أن يقرأ باسم ربه قراءة تمكين. وموضوع الآيات الأولى التي نزلت على النبي عليه السلام ومدلولاتها الواسعة التي غفلنا عنها سأطرحه بإذن الله بموضوع آخر.

لكن بنص الحديث: عمود الكتاب ارتفع من تحت وسادة النبي عليه السلام وسيعود للشام في مرحلة الفتن، وعمود الكتاب به يتم استثمار الكتاب وبيان مدلولاته ضمن تجديد للدين في بداية العالمية الثانية للإسلام على يد المجدد الأعظم الإمام المهدي.

إذًا مِن واقع الرؤى الثلاثة السابقة نفهم أن اللون الأحمر له علاقة برتبة الإمام المهدي، أما الرؤى التي ذكرت اللون الأزرق فتعلقت بسر المهدي الذي سيهدى إليه آخر الزمان، وملاحقة ذلك يحتاج لموضوع منفصل، ومن تتبع اللون الأحمر في كل الرؤي سيجدها تصب في خانة الفهم الذي ذكرته هنا والله أعلم.

*****

المهدي والرقم (٧) في الرؤى

أود أن أوضح أن المقالات التالية هي مقالات مترابطة، لا يمكن فهمها إلا إذا قرأها القارئ بطريقة متسلسلة، وهي تحوى علمًا عميقًا وحيويًا، ويتركز على منهج أظنه المنهج القويم في الاستفادة والتعاطي مع علم الرؤى، لذا أنصح بقراءتها بتأني وتأمل بطريقة متسلسة، حتى تكون الاستفادة منها في توجيه علم الرؤى بطريقة علمية موضوعية.

الرؤى: مدخل تأصيلي

عالم الرؤى عالم غريب وعجيب، فهو ما تبقى للأمة من المبشرات بعد النبوة، والرؤى الصادقة هي شكل من أشكال الإعلام الخفي الغيبي ينتقل للروح من عالم الغيب، وفي آخر الزمان تصدق رؤى المؤمنين سواء المبشرة أو المحذرة.

وعلم الرؤى وتعبيرها علم عظيم اختص الله به أنبيائه، وعلى وجه الخصوص تميز به النبي يوسف عليه السلام، وكذا اختص به ورثة الأنبياء من العلماء الصالحين، لكن لكونه علم رمزي في أغلب جوانبه لا يتصور من كل عالم رباني أن يتقنه، بل هو من الدرجة الأولى منحة إلهية يختص الله بها بعض عباده العالمين.

من هذا الوجه أقول: **يشترط للتعبير صفتان:** حصول ملكة التأويل لدى صاحبها والمنحة الربانية المرافقة لها. والثانية: العلم بأصول هذا العلم الغيبي العميق الرقيق.

أما لماذا العلم إضافة للملكة والموهبة الربانية!؟ فلأن الرؤى أشبه بالأمثال في رمزيتها، بل الأمثال تعتبر جزء من رمزية الرؤى، وقد بين القرآن الكريم أنه لا يعقل الأمثال الربانية إلا أهل العلم، يقول الله ﷻ: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" [العنكبوت٤٣]، فكذلك الرؤى هي الأشبه بالأمثال؛ لذا لا يتصور أن يعقلها بمدلولها الحقيقي إلا العالم في ميزان الله ﷻ.

فالعالم هو الأقدر على فك رموزها ودلالتها الغيبية، وهو الأقدر على التمييز بين المفارقات الدقيقة بين رؤية وأخرى، أو رمزية وأخرى كالغل والقيد مثلًا، فكلاهما رباط لكن أحدهما محمود (القيد) والآخر مذموم (الغل).

وهو الأقدر على معرفة دلالة الحال وأثرها على تأويل الرؤية، وهو بربانيته وعلو علمه يقتدر على كشف زيف الرؤى أو نقصانها أو الزيادة فيها، أيضًا معرفة درجة تسلل الشيطان وحظه منها، على سبيل المثال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَرَأَيْتُهُ بِيَدِي هَذِهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَعْمِدُ الشَّيْطَانُ إِلَى أَحَدِكُمْ فَيَتَهَوَّلُ لَهُ، ثُمَّ يَغْدُو فَيُخْبِرُ النَّاسَ» ([1]).

كذلك العالم الرباني يستطيع أن يكشف مقدار حظ الشيطان حال تسلله للرؤى الصادقة، حال الأماني التي تكون في الماورائية الذهنية للرائي، وهذا الحظ أرشد إليه الله ﷻ في سورة الحج يقول الله ﷻ: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا

[1] ابن أبي شيبة: المصنف (١٧٥/٦).

إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [الحج٥٢].

فالآية صريحة أن الإلقاء الشيطاني يتسلل حال الأماني في الوحي المحض الصادق، لكن لخلوص الوحي وحفظه من رب السماء رعاية للنبي والرسول؛ كان الله يزيل وينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. فإذا كانت الأماني مدخلًا لتسلل الشيطان في الوحي ووليجة لإلقائه، فمن باب أولى في الرؤى كجزء من الوحي يحصل لأناس عاديين.

كذلك العالم الرباني يستطيع أن يكتشف بعض الرؤى المتعارضة مع مدلول الوحي العام، إذ لا تعارض حقيقي بين أجزاء الوحي، وهنا يظهر رسوخ العالم في التأويل بما لا يتعارض مع مدلول الوحي العام حال كون الرؤية صادقة. على سبيل المثال عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ أَنَّ رَجُلًا رَأَى رُؤْيَا: مَنْ صَلَّى اللَّيْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «اخْرُجُوا لَا تَغْتَرُّوا فَإِنَّمَا هِيَ نَفْخَةُ شَيْطَانٍ».

وهذا من فقه ابن مسعود ﷺ ورسوخه في العلم؛ حيث عبر عن الرؤيا هنا بأنها نفخة شيطان، بالرغم من أنها هاتف والهواتف أصدق الرؤى؛ لكنه هاتف شيطاني، واستخدم كلمة نفخة وليست همزة أو نفثة، لأن تسلل الشيطان هنا هو من باب الخير؛ ليدخلهم للابتداع والغلو في الدين واختراع ما ليس منه، فناسب الأمر النفخ هنا. وقد حكم عليها ابن مسعود ﷺ أنها نفخة شيطان؛ لأنها تعارض مدلول الوحي العام، وفتح باب للتعبد بغير ما شرع الله ﷻ.

كذلك لفتة مهمة هنا وهي تختص بربانية العالم وملكته، وهي القدرة على معرفة البشارة فيما ظاهره النذارة، أو النذارة فيما ظاهره البشارة في بعض الرؤى.

على سبيل المثال هذه الرؤية التي عرضت على أبي بكر الصديق ﷺ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: "مَرَّ صُهَيْبٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَالَكَ أَعْرَضْتَ عَنِّي؟ أَبْلَغَكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا الرُّؤْيَا رَأَيْتُهَا كَرِهْتُهَا. قَالَ: وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْحَشْرِ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «نِعْمَ مَا رَأَيْتَ، جَمَعَ لِي دَيْنِي إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ» ([1]).

فظاهر الرؤية أنها منذرة لكن أبا بكر الصديق رآها نعم الرؤية، حيث أولها بالخير العظيم له يوم الحشر. وفي ظني لو عرضت هذه الرؤية على أهل التأويل في عصرنا قد يعبرونها أنها منذرة، وهنا تأتي قيمة الفهم وطبيعة حال الرائي أو المرئي له.

هذه لفتات بسيطة عن طبيعة علم الرؤى وعظمته، وهو من أسمى أنواع الفتوى والتوقيع عن رب العالمين، وللأسف تصدر هذا العلم على جلالته كثير من البغاث، وضعاف البصيرة والعلم؛ مما عزز فوضى في الفهم واضطراب في التصور عند الكثيرين المتابعين في هذا المجال، وكنت أتمنى أن يتصدر هذا العلم أهله.

ملاحظة مهمة: هذا الاجتهاد هو للاستئناس فقط قد يصيب وقد يخطئ؛ لأنه مبني على مقدمات ظنية، وإنما طرحته هنا فقط لبيان المنهج الأقوم في التعاطي مع الرؤى، خاصة في ظل فوضى التعبير، وهو سلسلة ممتدة كمحاولة للفهم في علم عزيز بعيدًا عن التهويل.

امتدادًا لما ذكرت في مقالتي السابقة يتضح لنا أمران:

[1] ابن أبي شيبة: المصنف (١٧٩/٦).

الأمر الأول: سمو علم الرؤى وأهميته خاصة في عصرنا؛ حيث يعتبر إضاءات في عصر مظلم، يرشدنا لجوانب غيبية نستأنس بها ونسترشد وضعنا، ونعلم إلى أين نتجه.

الأمر الثاني: جلالة هذا العلم وعمق دلالاته، وصعوبة مدخله ومخرجه، وتعسر التمييز بين مدلول رموزه، وعمق بئر أسراره وطول رشاها، يضاف إلى ذلك اختلاطه في عصرنا بالأوهام والأماني، والاختلاق والكذب، وعدم القدرة على التثبت من مصدر الرؤية وصاحبها وحاله بشكل حيوي.

فهذه العوامل كلها خاصة في الرؤى العامة لها أثر كبير في الضبابية وعدم الوضوح والاضطراب فيما ينتج عنها من تأويلات، مما يفرض علينا أحيانًا منهج السبر والتقسيم، وهو منهج قياسي يرشد إلى العلة في القياس، وهنا يرشدنا بوجه آخر للتثبت من خلال ملاحقة عدة رؤى برؤية الجامع المشترك بينها، ثم استخلاص معنى معينًا من مجموعها، هذا المعنى الواحد متوافق مع مجموعها.

وأنا هنا على سبيل المثال سأتعامل مع بعض الرؤى التي وجدت بينها رابطًا مشتركًا، وأرى أنها بمجموعها ترشد إلى ذات المدلول.

الرؤية الأولى:

يقول ناقل الرؤيا: (الرؤية باختصار يقول صاحبها: أنه وجد نفسه داخل الروضة الشريفة، وأمامه حائط من الخشب الأخضر يفصل بينه وبين قبور أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكذلك قبر النبي ﷺ، فقام الشاب برفع رأسه قليلا ليرى ما وراء الجدار فشاهد قبرا في زاوية الحجرة، وعرف أنه قبر أمنا عائشة رضوان الله

عليها فخجل ثم بسرعة أنزل عنقه بعد ذلك أحس بأن أحدًا يدفعه الى وسط الجدار، ثم يرفعه وينزله مباشرة الى قبر الرسول ﷺ، وقد وصفه الشاب بالقبر المرتفع شبرا اي قليلا وشكله مستطيل وكان بالأبيض... هنا قال الشاب بأنه بدا يمسح بيديه على القبر ويتأمله، فوجد مكتوب عليه باللون الاسود هذه العبارة (بسم الله الرحمان الرحيم) ثم تحتها (قبر محمد) باللون الاحمر، وبعدها نزل بعينه الى أسفل هذه الكتابة أي في وسط القبر تقريبا، فلاحظ رقم سبعة هكذا ٧ مكتوب بالتراب وتحته كتابة غير مفهومة بالتراب ايضا فاقترب الشاب بعينه للرقم ٧ فكان يضيئ ثم يخفت ضوئه كلما ابعد ناظره وجلس على هذا النحو ثم انتهت الرؤيا).

هذه الرؤيا إخبارية ورمزية في ذات الوقت، لن أتوسع في مدلول رموزها، لكن فقط يعنيني هنا ثلاثة أمور: الأول: القبر ومدلوله ورمزيته. والثاني: الرقم سبعة. والثالث: اللون الأحمر. بخصوص اللون الأحمر تكلمت عن رمزيته مسبقًا في مقالة مستقلة، أما القبر فسأؤخره لآخر الموضوع، نأتي الآن للرقم سبعة.

مدلول الرقم عندي هنا غير واضح لكن سترشد إليه رؤى أخرى، والقبر ستر لصاحبه، وتحت القبر موت، والرقم سبعة هنا يحمل على السنين، مما يشير إلى سبع سنوات ستر للإمام المهدي، واللون الأحمر هنا رمزية الإمام المهدي كما شرحت مسبقًا، وهي مرحلة موت بالنسبة له، ولعل ذلك لعظيم الابتلاءات والممحصات التي يمر بها كما ترشد رؤى أخرى.

لكن أهم ما أريد توضيحه هنا هو الانتباه للرقم سبعة ولرمزية القبر. وهذا ينقلنا مباشرة للرؤية الثانية.

الرؤية الثانية:

يقول الرائي: (رأيت شكلًا دائريًا وهرميًا من سبع درجات مثل ما يقف عليه الفائزون ليتسلموا المداليات، ولكن كان دائريًا و٧ درجات، وكان الامام المهدي يصعد ويقف بكل درجة قليلا، ويواصل الصعود. ملحوظة كان لون الهرم أو الدرجات باللون الاسود وبعض النقط البيضاء).

هذه الرؤية رصدتها في مسودة عندي، وأظن أنها كانت في منتصف ٢٠١٤ أو نهايته أو بداية ٢٠١٥م، وفيما ذكره صاحب الرؤيا في المداخلات أن الإمام المهدي كان يصعد الدرجات وهو حزين، وعندما سئل الرائي إلى أي درجة وصل!؟ كان الشك بين الثالثة والرابعة وأظن الخامسة.

وهذه الرؤية لها عدة مدلولات مهمة جدًا تربطنا بالرؤية الأولى، من هذه الدلالات أن الدرجات كانت على شكل دائري وهرمي، والشكل الدائري يشير إلى دورة مما يدل على السنين، وقد يدل على الشهور لكنه على السنين أوضح هنا، بل الدورة في السنة النبوية استخدمت للدلالة على السنة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ" ([1]).

فالاثنا عشر شهرًا هي دورة بنص النبي عليه السلام، وهذا صريح في قوله استدار كهيئته، إذًا هي سبع سنوات كل دورة سنة، وهي سنوات ارتقاء من خلال فرن التمحيص والاستخلاص والابتلاء، يرشد إلى ذلك أنها درجات سوداء فيها بعض النقط البيضاء، مما يشير إلى سنوات شدائد سوداء على صاحبها، لكن يتخللها فرج محدود جدًا يعينه على إكمال المسير.

---

[1] أخرجه البخاري برقم ٣١٧٩ (١٠٧/٤).

ومرحلة هذه الرؤية وقبلها بقليل كثرت الرؤى التي تشير إلى شدة ابتلاء المهدي، منها طلبه للموت أو أن يموت مئة مرة، ومنها الضربات الثلاثين التي يتعرض لها، ومنها حصره والتضييق عليه، ومنها ما يشير إلى كونه في حالة سكون ونوم لشدة ما يحيق به من شدائد.

خلال هذه المرحلة التي ركزت في أكثر رؤاها على ابتلاء المهدي؛ جاءت هذه الرؤية لتشير إلى أن مع الابتلاء ارتقاء، وأن الابتلاء شدته في السنوات الأولى، وهذا يرمز إليه الشكل الدائري الهرمي والهرم قاعدته واسعة جدًا، أما قمته فهي ضيقة جدًا، مما يشير إلى أن السنوات الأولى كانت الأشد على المهدي، ولعلها تشير إلى صدمة شديدة تعرض لها.

ثم بدأت السنين تمر بشكل أسرع في حقه بالرغم من استمرار الابتلاءات والمحن، لكن يظهر مع طول أمدها في حقه واستمراريتها جعل أثرها تدريجيًا يخف عليه من سنة إلى أخرى، فالابتلاء موجود لكن الذي تغير هو نظرة الإمام وتفاعله مع الابتلاء، والدائرة في الشكل الهرمي موجودة؛ لكنها في كل دائرة تضيق المساحة التي يقطعها المهدي للارتقاء للدرجة التي بعدها.

والمتابع للرؤى في ٢٠١٣ و٢٠١٤م يجد أنها ركزت على مرحلة الابتلاء بشكل كبير، مقارنة مع ٢٠١٦م التي انطفأت فيها جذوة الرؤى الدالة على ذلك، مما يشير إلى أن الرؤى تسير وفق الظروف التي يقطعها المهدي في رحلة السنين الشداد.

لكن أهمية هذه الرؤية أنها أشارت في نصها، وإشارة صاحبها إلى عدد السنوات التي قطعها المهدي من السنوات الشدائد، وهي في ٢٠١٤ أو ٢٠١٥ بين الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة سنوات.

وهذا المعنى ينقلني لرؤية أخرى معينة للفهم، وفي ذات السياق مع الرؤية السابقة، وفيها يقول الرائي: (رأيت أن سيدنا عمر مبتلى ابتلاء شديد وحزين، فقال له رسول الله ﷺ: اصبر. ثم رأيت المهدي يصعد جبلا راكضا بشكل سريع، وقد قطع أكثر من نصف المسافة. هذا ما رأيت والله على ما أقول شهيد). بتاريخ ٢٠١٤/١/٢١.

هذه الرؤية كاشفة لرؤية الهرم وهي سابقة لها في الوقت، وفيها المدلولان: الابتلاء والحزن، وارتبط الأمر بعمر بن الخطاب، وهذا فيه رمزية أن الشدائد التي يمر بها المهدي إنما هي تربية وتزكية تؤهله لإقامة العدل، كما كان الضيم الواقع على بني عدي قوم عمر من قبيلة بني مخزوم سببًا في تزكية عمر، والتأثير على شخصيته التي ألفت العدل، وتربت على النفور من الظلم مهما صغر. فعمر الفاروق هو رمزية العدل، والابتلاء هنا للإشارة للعلاقة بين العدل والابتلاء.

أما الجزء الثاني من الرؤية وهو الأهم، وفيه يقول الرائي: (ثم رأيت المهدي يصعد جبلا راكضا بشكل سريع، وقد قطع أكثر من نصف المسافة).

هنا ارتقاء سريع وقطع لأكثر من نصف المسافة، وهي تربطنا برؤية الهرم الذي يشبه الجبل، لكن الأهم هنا هو سرعة الارتقاء وقطع أكثر من نصف المسافة، ولو ربطنا هذه الرؤية برؤية الهرم ورؤية القبر والرقم ٧ اكتمل الفهم لدينا؛ بأن السنوات السبع قد بدأت تقريبًا من عام ٢٠١٠م، لأن الرائي هنا رأى أنه قطع أكثر من نصف المسافة، أي أكثر من ثلاثة سنين ونصف من السبع سنين، والرؤية كانت في بداية ٢٠١٤م وهي بذلك تنسجم تمامًا مع رؤية الهرم، حيث كان المهدي على الثالثة أو الرابعة أو الخامسة في الدرج الهرمي الدائري وهي كانت في آخر ٢٠١٤م.

فالرؤية في بداية ٢٠١٤م وقد جزم الرائي بأن المهدي قطع أكثر من نصف المسافة، وقلنا في رؤية الهرم أن المسافة سبع سنوات، فيكون قطع أكثر من ثلاثة ونصف سنة، والاحتمال الأكبر أنه قطع أربع سنوات لتتوافق مع رؤية الهرم، مما يشير إلى أنه مع بداية ٢٠١٤م بقي له ثلاثة سنوات من سنين الابتلاء.

فالرؤيتان من ذات المعين، ويرمزان لذات الفكرة والتوقيت، وتصدق إحداهما الأخرى، وتتفقان مع الرؤية الأولى التي ترشد إلى قبر مكتوب على ترابه رقم ٧، إشارة إلى أن السبع سنوات هي سنوات ستر وغموض، وهذا ما نعاينه حاليًا من الغموض والضبابية الكثيفة حول شخصية الإمام. وهي ذات الرمزية في رؤية الحجاب: (لنحجبنك حجابًا ترضاه).

أما ما تميزت به هاتان الرؤيتان فهو التوقيت والارتقاء خلال سنين الابتلاء، مع توافق عجيب في تحديد المدة التي انقضت من الابتلاء، وهما تتوافقان مع تواتر الرؤى في نفس المرحلة التي توسعت في الإشارة إلى ابتلاء الإمام.

ولنكمل في نفس السياق مع رؤية أخرى ترشد إلى ذات الرقم، لكنها تعطينا مدلولًا آخر يرتبط بالهرم والجائزة والارتقاء، وفيها يقول الرائي:

(رأيت أني بمكان مجهول فجاءني رجل شعره حد الكتف أسود يلبس ملابس بيضاء مصفرة، وبشت اسود فناداني باسمي وقال لي: أنه سيكون بذمة الله لسبعة أيام، ثم وجدت نفسي معه بالسماء فقال لي: أن الله أعطاني سيفًا شديد القوة، وقد أعطاك أنت كذلك سيف لكنه ليس كسيفي، فبدأت أنظر لجسدي وكأن سيفي سيخرج من جسدي، بعدها رأيت أمامي عرش الله ﷻ وبه نور لم أرى من النور سوى أرجل العرش من ذهب، ورأيت الرجل أمام الله يحمل سيفًا من نور فأمره الله فضرب

بالسيف الأرض فرأيت الجبال دكت والأنهار فاضت والأشجار قلعت والأرض خسفت. أقسم بالله العظيم هذا ما رأيت).

هذه الرؤية رموزها ودلالاتها كثيرة جدًا لا يتسع المقام هنا لتحليلها، لكن يعنيني هنا السبعة أيام، حيث الأيام ترمز للسنين هذا في الأرجح في دلالتها هنا، مع احتمال ضعيف أنها على حقيقتها، واعتبارها بالسنين هنا لرمزية ذكر السماء في الرؤية، مما يشير إلى أنها أيام ليست كأيامنا، والأيام بحسب رؤى الأنبياء في كتاب العهد القديم ترمز للسنين.

وسبعة أيام في ذمة الله شبيهة بالعشرة حجج في ذمة الله التي قضاها موسى عليه السلام في التربية والتزكية، والتي كان شعارها قوله سبحانه وتعالى: "ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ"، "وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي"، "وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا".

أما قصة السيف هنا فأترك قصته في مواضيع أخرى كي لا أشتت فكرتي هنا، فأنا هنا فقط أركز على فكرة الرقم سبعة في بعض رؤى المهدي.

الرؤية الأخيرة:

يقول الرائي: (رأيت فيما يرى النائم أنني في مكان لا أعرفه، ورأيت رجلًا يتوافد الناس عليه متراكمين عليه وفوقه لوحة مكتوب عليها ٧١٧، ثم تقدمت وسألت الناس فقالوا: إنه خليفة الله المهدي ثم استيقظت فزعًا من النوم، الرائي من الرياض، التاريخ فبراير ٢٠١٦).

نحن هنا نسير على نفس النسق، في ٢٠١٤م قطع المهدي أكثر من نصف المسافة في سنين الابتلاء والاستخلاص، وهو نفس المعنى الذي أرشدت له رؤية الهرم الدائري.

ثم جاءت هذه الرؤية في ٢٠١٦م لتشير إلى ذات المعنى والمضمون والسياق برمزية عجيبة وهي ٧/٧، مما يشير إلى اقتراب انتهاء السنوات السبع، وأنه بمجرد اكتمالها يكون التوافد والوضوح في مسألة المهدي، فالرؤية الأولى بدأت بالإشارة لرقم ٧، ورؤية الهرم والصعود على الجبل في ٢٠١٤ أشارت إلى ٧/٤.

وفي ٢٠١٦ جاءت الرؤية لتشير إلى ٧/٧ أي انتهاء السبع سنوات، واكتمال مرحلة الاستخلاص، وهي التي ستخرج المهدي من قبر الستر نحو العلن والشروع في المهمة الملقاة عليه، إنها الحياة الجديدة التي سينالها الإمام.

ولو أعطينا لبشارة هذه الرؤية عامًا فيكون تحقيقها في الواقع في منتصف ٢٠١٧م، فهذه الرؤية مغايرة لرؤية الجبل، فهناك جزم صاحبها بانتهاء نصف المسافة ساعة الرؤية، لكن هنا كان الرقم مكتوب على لوحة، فيكون تأويله وفق الرؤى السابقة في ٢٠١٧م.

الغريب أن هذه النتيجة التي توصلت إليها من رؤى الرقم ٧، تتوافق تمامًا مع رؤى كثيرة ترشد إلى ذات التاريخ تقريبًا، منها على سبيل المثال هذه الرؤى:

يقول الرائي: (وقت الرؤيا بعد فجر الخميس ٨ ذي القعدة ١٤٣٢هـ: رأيت بعد فجر هذا اليوم كأنني في ساحة فضاء رجلا لا أعرفه يقول انظر الى القمر فنظرت إليه، فرأيته بدرا ولكن عليه كتابة واضحة جدا وهي ١٤٣٦/١/١٢، ورقم ٦ كأنه ٦ فدققت النظر، فرأيت الكتابة ١٤٣٩/١/١٢ واضحة على القمر بخط سميك وواضح للعالم مع شدة لمعان ضوء القمر، ورأيت أناسًا كثيرين في الشارع ينظرون الى القمر

بدهشة وتعجب ورأيتني كأنني أسرع لكي انادي زميل لي معلم ليرى القمر واسمه متعب وانتهت الرؤيا قبل أن أناديه).

وهذه الرؤية لن أطيل في تحليل رموزها، فلها دلالات ورموز كثيرة لا يتسع المقام هنا لذكرها، لكن هناك لفتتان مهمتان فيها الأولى: الرؤية كانت في ١٤٣٢هـ، والكتابة على القمر تكون واضحة بعد سبع سنوات من وقت الرؤية أي في ١٤٣٩هـ، أي بعد منتصف ٢٠١٧م ووضوح التاريخ للعالم وشدة لمعان القمر يشير إلى ذات المعنى التي أرشدت له رؤية ٧/٧، لكن هذه الرؤية كانت في ٧/١ أي في أول سنة من السنين السبع، لكنها أرشدت إلى توقيت النهاية في هذه السنين. وهذا توافق عجيب جدًا.

أما رقم ١٤٣٦/١/١٢ على القمر فهو ينقلني مباشرة لرؤيا الفيفا، وفيها يقول الرائي: (رأيت قبل اربع أشهر انني جالس أنا وأخي في المجلس فأتى أبي وأعطاني شريط كورة قدم (فيفا) قال لي: هذا فيفا ٢٠١٦ ففتحت غلاف الشريط الا هو فيفا ٢٠١٥، ثم جلس أبي ثم قال لي وهو خائف: يقولون ان المهدي ظهر).

فهذه الرؤية هي نفس مدلول الرؤية السابقة في شريط الفيفا ٢٠١٥ (١٤٣٦)، وهي مرحلة عدم الوضوح على القمر. لكنها إشارات سريعة مرشدة هنا وهناك.

الوحي العام والرؤى

ما وصلت إليه من نتائج هنا تشير إلى أن سنة ٢٠١٧م تحتمل الظهور الفعلي، أو بداية الظهور للإمام المهدي ﷺ، ولا يمتنع أن يكون هناك بعض الوضوح في الأشهر الستة المتبقية من ٢٠١٦م، كما أرشدت بعض الرؤى، منها

على سبيل المثال فيفا ٢٠١٦ وغيرها، لكن هنا تعترضني مشكلة كبيرة جدًا في الفهم؛ حيث أن اعتبار كون ظهور المهدي في ٢٠١٧م في آكد الأحوال، أو ٢٠١٨ أو ٢٠١٩م بحسب تقدير بداية المدة للسبع سنين.

لكن ما وصلت إليه من نتائج حسب فهمي لسلسلة الرؤى السابقة عن السنين السبع الشداد يعتبر ظنيًا؛ لأن المقدمات التي اعتمدت عليها ظنية، وما بني عليها لا محالة لا بد أن يكون ظنيًا في نتيجته، أي يحتمل الصواب والخطأ، والذي يجعلني مترددًا في هذه النتيجة هو فهمي للأحداث بحسب الوحي والسنة النبوية، وهي المرجع الأصلي عندي، لذا أرى أن أعرض تصوراتي هنا بحسب فهمي للوحي ما يتوافق مع نتيجتي، وما يمكن أن يتعارض لكي نصل إلى تصور دقيق:

أولًا: مما يتوافق مع فهمي للرؤى هنا:

مما يتوافق لدي في فهمي للسنين الشداد، هي إشارة رمزية موهمة تضمنها أثر عن علي بن أبي طالب ﷺ، وفيه رمز للرقم سبعة، عن محمد بن الحنفية قال: «كنا عند علي ﷺ فسأله رجل عن المهدي، فقال علي ﷺ: هيهات، ثم عقد بيده سبعا، فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل الله الله قتل، فيجمع الله ﷻ له قومًا قزع كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. قال أبو الطفيل قال بن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم. قال: إنه يخرج من بين هذين الخشبتين. قلت: لا جرم والله لا أريهما حتى أموت فمات بها يعني مكة حرسها الله ﷻ» ([1]).

[1] أخرجه الحاكم برقم ٨٦٥٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي [المستدرك ٥٩٦/٤)]، قال البستوي: إسناده حسن [البستوي: المهدي المنتظر (٢٠٨)].

هذا الأثر عجيب جدًا، وأعجب ما فيه أن الإمام علي ﷺ عندما سئل عن المهدي، قال: "هيهات ثم عقد بيديه سبعًا". فلماذا كانت هذه الرمزية من الإمام علي ﷺ!؟ وماذا كان يقصد بها!؟ وكون الراوي هو محمد بن الحنفية ابن الإمام، وهو الذي خصه الإمام عن باقي الإخوة بأحوال الفتن والملاحم كما تصرح كتب السير، فهذا أمر عجيب وظاهر السياق لا يشير إلى سنين حكم الإمام المهدي؛ لأنها في النصوص الأخرى جاءت بصيغ متعددة تحتمل السبع والثماني والتسع.

وصيغة الحديث هنا يشير إلى السبعة وبعدها يخرج الإمام المهدي، فهل مقصود الإمام علي هي السنوات السبع في الارتقاء والبلاء المؤهلة للإمام لخلافة تسخيرية وارثة لخلافة داود عليه السلام، هذا محتمل جدًا والإشارات الكثيرة بل الرؤى الكثيرة والقرائن ترشد إلى ذلك.

كذلك ما وصلت إليه من نتائج هنا يذكرني بابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام، فوفق الروايات أنه استمر في ابتلائه سبع سنوات وأشهر، وهناك روايات تشير إلى ١٨ عامًا، ولكني حسب فهمي لقصة أيوب أرجح الرأي القائل أن ابتلاءه كان سبع سنوات وأشهر.([١]) وجاءت بعض الرؤى لتربط بين المهدي ورمزية أيوب عليه السلام.

كذلك يتوافق ما وصلت إليه هنا من نتائج، مع فهمي واجتهادي بخصوص الدهيماء، فهي تنتهي أو تقارب على الانتهاء وفق فهمي سنة ٢٠١٨م.

ثانيًا: مما يتعارض مع فهمي للسنين السبع أو توقيتها:

النتيجة التي توصلت إليها هنا تتعارض في ظاهرها مع فهمي للأحداث وترتيبها، فوفق فهمي هناك اقتتال ثلاثة كلهم ابن خليفة، وهناك كنز يظهر، وهناك

---

[١] وفي مدة مرضه قولان: أحدهما: سبع سنين وسبعة أشهر ، قاله ابن عباس. الثاني: ثماني عشرة سنة رواه أنس مرفوعًا [الماوردي: النكت والعيون (١٠٢/٥)].

حسر الفرات، وهذه الأمور الثلاثة مترابطة بل قد تكون حدثًا واحدًا كما سأفصل في مقالات أخرى، وهناك تغير سنني واضح جدًا مغاير لما نحن عليه الآن، معه تبدأ أحداث النهاية، وبدونه تكون لدينا فجوة قوية بين الأحاديث والآثار والواقع، وهذا التغير السنني لم يقع حتى اللحظة؛ مما ينسف كل فهمي السابق للسنين السبع، فالمهدي قطعًا عندي يخرج في ظل خارطة سياسية وجغرافية وديمغرافية مغايرة تمامًا لما نحن عليه.

والموضوع لا يمكن استقصاؤه هنا، لكن هناك تعارض حقيقي بين المرحلة الحالية وبين ما ترشد إليه دلالة الرؤى عن نقطة البداية، ولو أخذنا بمفهوم الرؤى السابقة وفق فهمي لها؛ فهذا معناه حصول أحداث عظيمة يجب وفق فهمي أن تحصل قبل الظهور، وأنا هنا وفق الرؤى أتحدث عن سنة، أو سنة وأشهر قليلة.

وهذا يتعارض في ظاهره مع فهمي للنصوص والأحداث، إلا إذا كانت هناك تطورات دراماتيكية مفاجئة خلال ٢٠١٦م وبداية ٢٠١٧م، فبدونها يكون كل فهمي للرؤى هنا غير دقيق، أو هناك خطأ في فهمي للبداية بالرغم من قناعتي بقوة ما وصلت إليه من نتائج.

إذ لو كان فهمي صحيحًا لسلسلة رؤى الرقم ٧؛ فمعنى الأمر هو أننا الآن خلال ٢٠١٦م وبداية ٢٠١٧م لا بد من حصول أحداث عظيمة مفاجئة وسريعة، وبدون ذلك تكون مشكلة في فهمي الظني لهذه الرؤى، لذا قيمة فهمي هو في ٣٦٠ يوم القادمة، وما يحدث فيها من أحداث مفاجئة فهي التي ستحدد لنا المسار بدقة.

المشكلة أن هناك رؤى كثيرة تدعم فهمي، منها هذه الرؤى الغريبة لذات الشخص، وهي التي شجعتني لإخراج هذا التوقيت للعلن، يقول الرائي: (لي ثلاث رؤى مرتبطين ببعض، وكلما عرضتهم لأحد للتعبير تجاهلها، واحتمال ظنا منهم إنها

مكذوبة. وانا أعي جيدا ذنب الكذب في الرؤى، كنت أعتقد ان رمضان الماضي هو الذي تطلع فيه مع الشمس آيه وكنت شبه متأكد. ثم بعد انتصاف رمضان ١٤٣٦ هـ جاءني احباط كاد يقتلني. فرأيت ثلاث منامات بينها فترة ما بين الاسبوع أو اكثر. اولاهن في رمضان الماضي ١٤٣٦هـ رأيت فيما يرى النائم المهدي يتجول في البقيع وكان هناك صينية بها شيء أبيض يشبه الكرات صغير جدا لم أتبينه، وكانت الصينية باتجاه الشمال أمام المهدي ثم سأل المهدي فاطمة الزهراء عن ميعاد آية الشمس فأجابت أن علي بن ابي طالب هو اللي يعرف. انتهى ثم رأيت بعدها بفترة المهدي ومعه فتاه لا يعرفها وكانت مهتمة وعلى علم بآخر الزمان وحكى لها المهدي عن كيفية تأثير الكوكب على كسوف الشمس، وقال لها: ان دخان الكوكب هو الذي يحجب ضوء الشمس. انتهى. ثم بعدها بفترة رأيت المهدي مع فتاه أخري تقريبا شقراء وكانا يقفان أمام بقالة اسمها الأمن الغذائي وكانت البقالة أمام سوق خضار وكان الوقت قبل الفجر وكانت البقالة والسوق مغلق، ثم أعطت الفتاه للمهدي شيئا لم أتبينه وكأنها تعمدت لمس يده حينها، ثم تكلما عن موعد طلوع ايه مع الشمس فقال لها المهدي. ان علي بن أبي طالب يقول انها ٢٠١٦ او ٢٠١٧ او ٢٠١٨ ولكن ٢٠١٦ أأكد انتهى).

هذه الرؤية لا أحتاج شهادة من صاحبها على صدقها؛ لأنني أعلم أنها صادقة من طبيعة رموزها، وهذه شهادة مني لصاحبها بأنه صادق في كل رؤاه الثلاثة، فالمشكلة هنا ليست في المصداقية، ولكن في فهم الرؤى بطريقة صحيحة.

والمهم هنا آية الشمس، لن أتوسع هنا لكن أقول هذه الرؤى الثلاثة أشعرتني باحتمال مصداقية فهمي للتوقيت، مع احتمال زيادة بسيطة سببها فهمي للبداية، لكن وفق هذه الرؤية التي في ظني بدايتها مرتبطة بحرب صغيرة مفاجئة، وبعدها تبدأ

الأحداث بالوضوح، ونتركها للشهور والسنوات القليلة القادمة، نتركها فقط لسنة كاملة كحد أدنى وثلاث سنوات كحد أقصى، ففيها سيستبين كل شيء والله أعلى وأعلم.

الخلاصة

هذا الموضوع الذي طرحته هنا عن الرقم سبعة في الرؤى، إنما قصدت منه خلال فوضى التعبير الجزئي أن أرشد إلى منهجية في التعامل مع الرؤى، وقد استخلصت هنا عدة نتائج مهمة:

١- الرؤى هي جزء من النبوة والوحي، كما صرحت كثير من النصوص النبوية على صاحبها أطهر سلام وأطيبه، والوضع الطبيعي أن الوحي لا يضرب بعضه بعضًا، وقد اخترت هنا جانبًا من الرؤى، وأبرزت دلالة معينة فيها تتوافق مع بعضها، وترشد إلى أن الوحي يصدق بعضه بعضًا، وأنا هنا استخدمت منهج السبر والتقسيم في شرحي وملاحقتي للرؤى لبيان الجامع المشترك بينها، وكيف نسترشد من خلالها في فهم المرحلة بدقة، أو بما يغلب على الظن مصداقيته.

٢- أنا هنا تعاملت مع جزئية صغيرة ولاحقتها وفق منهجي، ولو تعاملنا مع باقي الرؤى وفق ذات المنهج قد نحصل على تصور كامل للمرحلة القادمة.

٣- ما وصلت إليه من نتائج هنا هي ظنية أي تحتمل الصواب والخطأ، بحيث ممكن زيادة سنة أو نقصان سنة، وأنا وفق فهمي أن سقف الأحداث أو خروجنا من الضبابية لن يتجاوز ٢٠١٩م، والأيام القادمة ستكشف لنا مصداقية فهمنا أو خطأه.

٤- هذا الفهم الذي توصلت إليه لهذه الجزئية لم أعتمد فيه فقط على الرؤى المذكورة، بل منهج السبر والتقسيم عندي استوعب أكثر من عشرة رؤى أخرى، تسير في ذات السياق لكنني هنا لم أرغب في إقحامها خشية الإطالة.

٥- هذا الموضوع تعامل مع جزئية بسيطة، لكن خلال متابعتي للرؤى في الأمور الأخرى المهمة وجدت أنها تعطينا تصورًا متكاملًا للمرحلة القادمة بشكل عجيب جدًا، بحيث أشبهت الرؤى بريشة ألوان، وكل رؤية تضفي لونًا وشكلًا معينًا في اللوحة، وبمجموع الرؤى تكتمل الصورة لدينا عن لوحة الأحداث المستقبلية القريبة، أو بعبارة أخرى نحن الآن من خلال الرؤى أمام لوحة كبيرة جدًا، لكنها الآن عبارة عن قطع فسيفساء صغيرة متناثرة وغير مرتبة، ولا يمكن فهم هذه اللوحة ومدلولاتها إلا إذا أعدنا ترتيب هذه اللوحة كما نعيد ترتيب لعب الصور المتقطعة.

٦- إن صدق ظني وفهمي فنحن مقبلون على أحداث دراماتيكية مفاجئة وكبيرة جدًا فوق تصورنا، وهي التي سترسم مسار المرحلة القادمة التي ستدخل وفق فهمي إلى مرحلة سننية جديدة غير المعهود لدينا حاليًا، فالسنن الحالية ستستعصي على الإنسان، كما سأبين في مقالات جديدة منفصلة عن الإنسان والدورة السننية الجديدة.

المهدي والقبر والقمر

لقد بدأت موضوع الرقم سبعة برؤية القبر، وبينت أن رمزية القبر سأعيد طرحها في آخر الموضوع لكي يتضح الأمر من جميع جوانبه، لذا أعيد الرؤية هنا وأبرز فهمي لدلالة القبر، يقول ناقل الرؤيا: (الرؤية باختصار يقول صاحبها: أنه

وجد نفسه داخل الروضة الشريفة وأمامه حائط من الخشب الأخضر يفصل بينه وبين قبور أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكذلك قبر النبي ﷺ، فقام الشاب برفع رأسه قليلا ليرى ما وراء الجدار، فشاهد قبرا في زاوية الحجرة، وعرف انه قبر أمنا عائشة رضوان الله عليها، فخجل ثم بسرعة أنزل عنقه بعد ذلك أحس بأن أحدًا يدفعه الى وسط الجدار، ثم يرفعه وينزله مباشرة الى قبر الرسول ﷺ، وقد وصفه الشاب بالقبر المرتفع شبرا اي قليلا وشكله مستطيل وكان بالأبيض... هنا قال الشاب بأنه بدأ يمسح بيديه على القبر ويتأمله، فوجد مكتوب عليه باللون الاسود هذه العبارة (بسم الله الرحمان الرحيم) ثم تحتها (قبر محمد) باللون الاحمر، وبعدها نزل بعينه الى أسفل هذه الكتابة أي في وسط القبر تقريبا، فلاحظ رقم سبعة هكذا ٧ مكتوب بالتراب وتحته كتابة غير مفهومة بالتراب ايضا فاقترب الشاب بعينه للرقم ٧ فكان يضيئ ثم يخفت ضوئه كلما ابعد ناظره وجلس على هذا النحو ثم انتهت الرؤيا).

ما هي قصة القبر هنا!؟ طبعًا رمزية اللون الحمر ترشدني للإمام المهدي كما بينت في مقالة سابقة، لكن القبر هنا له دلالة أخرى، خاصة خلال السنوات السبع الشداد، وهذا ينقلني لرؤية أخرى بينت سر القبر.

يقول الرائي: (رأيت رؤيا عن المهدي، رأيت كان المهدي كان في وادٍ له حواف شاهقة، وكان مشهد السماء مخيف كأن هناك شمس أخرى، وكان المهدي خائفا واراد الصعود من الوادي فأخذ يتمسك بأطراف الاشجار المتدلية و أعمدة كهرباء الغريب أنه كلما أراد التمسك بشجرة تداعت من جذورها، فتمسك بعمود كهرباء خشبي، فسقط لا ادري هل كان المهدي ثقيلا أم أن الارض رخوة، ولكن المهدي استطاع الصعود بصعوبة فمر قرب شجرة فيها عش لذكر وانثى طائر وفرخهما فسمعت الذكر وكانه يؤنب فرخة ثم يقول له هذه الجملة: هذا المهدي عظم

الله اجرة يدفنه قمر ثم قالت الام نفس الكلام: هذا المهدي عظم الله أجرة يدفنه قمر ثم رأيت قبر ورأيت القمر على القبر مضيئا١١.١١.٢٠١٤).

شاء الله ﷻ لهذه الرؤية أن تخرج من دائرة الغيب للمشاهدة لتكشف لنا نوعية الابتلاء من جهة، ومن جهة أخرى تبرز لنا سر القبر في الرؤية السابقة، فهذه الرؤية تحكي لنا قصة عجيبة عن المهدي رضي الله عنه.

حيث خرج عن دائرة المعهود نحو التمكين في ظل وجود شمس أخرى مهيمنة ومتحكمة بقدر من الله في واقع الناس، مما خلق واقعًا منكوسًا يؤتمن فيه الخائن ويخون فيه الأمين، واقع أسعد الناس فيه لكع ابن لكع، ويظهر أن المهدي بقدر من الله قد سلك طريقًا غير تقليدي نحو الصعود بعيدًا عن إملاءات الواقع التي تملي عليه أساليب ملتوية، لكن الإمام تعثر في طريقه كثيرًا جدًا.

أو بعبارة أخرى استعصت عليه الأسباب الطبيعية (الشجرة) والصناعية (عمود الكهرباء)، بل الأسباب استعصت عليه بشكل غير طبيعي في رحلة الصعود، فهو يسير بعكس التيار من جهة، ومن جهة أخرى أقفلت عليه الأبواب واستعصت عليه الأسباب، مما عمق من مأساته بشكل قد لا نفهمه إلا عندما يوضحه لنا الإمام في المستقبل إن قدر الله لنا حياة ولقاء معه.

والعجيب في الرؤية أن قانون السببية لم يكن فقط يستعصي على الإمام، بل كان يعمق من مأساته بشكل غريب، فها هو يتمسك بشجرة ليصعد (السبب)!! فتتهاوى الشجرة من جذورها لتعمق في داخله اليأس، ويتكرر الحدث معه عدة مرات، وكل مرة يترتب عليه ضربة له وسقوط جزئي، ولكنه لا ييأس، ويتعاطى مع سبب من نوع آخر وهو التشبث بعمود الكهرباء، ولكنه أيضًا يسقط مما يجعل الرائي يتعجب من حاله، هل لأن المهدي ثقيل أم الأرض رخوة!!

أي هل ذنوب المهدي هي السبب في التعثر، أم البيئة نفسها هي الرخوة، ولا تحتمل نجاح الأذكياء الأنقياء وصعودهم، ولعل الرؤية الكاشفة التي فيها (أن المهدي طرق كل الأبواب فلم يفلح)؛ تشير إلى تلك الحالة الغريبة من الابتلاء الذي فيها تستعصي السنن والأسباب مع المهدي بشكل مؤلم جدًا، في مرحلة تربية في ظني هي الأعجب في حق مصلح آخر الزمان.

الرؤية بعباراتها القليلة اختزلت كل رحلة المعاناة وأشكالها، لكنه بحسب الرؤية يستطيع أن يصل لقمة الجبل (بداية التمكين)، بالرغم من معاندة الأسباب له بشكل غريب عجيب جدًا.

وهناك فوق الجبل يكون موضوع آخر هو متلبس في ثنايا الموضوع الأول، وفيه كلام ذكر الحمام وأنثاه عن أمرين: الأول: عظم أجر المهدي في ابتلائه العجيب، وربط ذلك بأن القمر يدفنه.

وهذه الجزئية والتي جاءت اللقطة الأخيرة في المنام لتصور قبر المهدي فوقه القمر، هذه الجزئية تحمل أسرارًا كثيرة، ولها تأويلان أحدهما له علاقة بالابتلاء نفسه وهذا التأويل لن أتوسع به هنا، والتأويل الثاني: أبرز أن المهدي تتحول رمزيته في الرؤى للقمر. بمعنى أن رمزية القمر في الرؤى تشير إليه دون أن تفصح عن الشخص، أو تبرز حقيقته بشكل مباشر.

وارتبط الكلام هنا بالحمام على وجه الخصوص؛ لأن الحمام يحمل الرسائل، مما يشير إلى أن الرسائل ستكون مرمزة، وسر المهدي مدفون في رمزية القمر، فالقمر هو سر المهدي وقبره في مرحلة الابتلاء. كذلك الحمام طائر والرؤى على جناح طائر.

فالموضوع كله هنا يرمز إلى قبر المهدي ودفن سره وابتلاؤه دون أن يعلمه أحد أو يشعر به، ويتحول في رمزيته إلى أشكال أخرى بعيدة عن الدلالة على شخصه الكريم، مما يشير إلى أنه يعيش مرحلة الابتلاء بعيدًا عن تعاطي الأسباب معه، وبعيدًا عن معرفة الناس له أو حتى الصالحين له لكي يساندوه، مما يشير إلى أنه يعيش معركة عجيبة جدًا لوحده حتى الظهور.

وقد بينت الرؤية الأولى أن القبر مداه سبع سنوات، وهذه الرؤية تشير إلى أنه مدفون برمزيات أخرى لعل أهمها القمر، وهذه الرؤية نزلت في المنتديات في آخر ٢٠١٤م لتكشف لنا هذه الرمزية.

وهذا ينقلنا من المهدي المدفون في القبر في ٢٠١٤ أو قبلها، للرؤى التي تكشف لنا انتهاء مرحلة الدفن برمزية القمر، وبداية انكشاف الحال كما في الرؤية التالية:

يقول الرائي: (رأيت أني أقرأ في رؤي عرضت علي لتأويلها ومن ضمنها بدأت أقرأ في رؤيا سقوط القمر التي عرضت علي قبل ايام وكانت من أغرب الرؤي عندي فنظرت الي السماء ورأيت القمر وهو يسقط سريعا جدا الي أن تحول الي قطعة صغيرة مضيئة وكأن هناك يد من نور تلتقط فيه من السماء الي أن هبطت به ثم استقر في قلب رجل وكأن اليد أدخلته الي القلب وهناك صوت يقول وكأنه يعبر لي في الرؤيا: السقوط الذي حدث للقمر هو أن الله تعالي أنزل أمر المهديه علي قلب المهدي عليه السلام، ليتيقن ويتثبت ويتأكد من أنه هو المهدي وليربط الله علي قلبه في هذا الأمر من فوق سبع سموات، ومر علي خلدي في تلك اللحظة أن هناك أمر أنزل علي قلب النبي ﷺ ليثبته الله ويربط علي قلبه ثم مر علي خلدي في تلك اللحظة الجزئية من الآية الكريمة: نزله علي قلبك. وانتهت الرؤيا هنا).

هذه الرؤية في ٢٠١٥م أي بعد الرؤية السابقة، وهي تشير مرحلة انكشاف حال المهدي ووضوح رموز الرؤى الدالة عليه، أو بعبارة أخرى انتهاء مرحلة دفن القمر للمهدي، حيث تبدأ رمزية الرؤى ترشد إلى شخص معين بعينه، وأول المستفيدين من هذه المرحلة هو الإمام المهدي، الذي تبدأ تتكشف له الأمور والرموز الخاصة به في بعض الرؤى، فيبدأ في مرحلة الطمأنينة في عمق ابتلائه غير المفهوم له كما بينت سابقًا.

ورمزية هذه الرؤية واضحة، وقد قدر الله أن يراها أحد المعبرين على النت (أبو حسام)، ولحكمة ما قدر الله أن تتضمن الرؤية تأويلها في داخلها بالرغم من أنها حصلت مع أحد المعبرين، المهم في هذه الرؤية أنها كانت في المراحل الأخيرة من الرؤية الأولى المتعلقة بقبر السبع سنوات، ورموز الرؤية واضحة جدًا، وقد قرأت أكثر من رؤية تشير إلى نفس الرمزية، لكن أهمها هذه الرؤية التي حصلت في عام ٢٠١٦م وفيها يتضح الأمر أكثر بالانتقال من مرحلة الغموض والدفن والستر للإمام نحو الانكشاف.

يقول الرائي: (رأيت قمرا كبيرا منيرا أكبر من حجم الشمس حوله أقمار صغيرة كثيره تقريبا عشرين قمر كتب في داخله لا إله إلا الله عماد الدين رسول الله، بعدها اختفت ظهر رقم ٤٩ ثم اختفى، ثم ظهر هادي العباد صدقا وحقا بعدها اختفت فظهر رقم ٢٠١٥ فيه بعدها نزل القمر وصغر فتحول الى شخص منير لم اتبين ملامحه من شدة نور سمعت هاتفا عظيمًا يقول لي: هذه الغربي خليفه الله. انتهت).

وهذه الرؤية لن أسرح كثيرًا في تفصيلاتها، لكن أقول الرؤية الأولى ربطت القبر برقم ٧، وبينت أن المقصود بها سبع سنوات، وقد أرشدت خلال ملاحقتي ولملمتي للرؤى التي تحمل رمزية ٧ أننا الآن في السنة الأخيرة منها، وجاءت رؤية كاشفة بأن القبر والستر على الإمام افترض أن يرمز إليه بالرؤى بأشياء أخرى أهمها

القمر، ثم جاءت الرؤى لتكشف أن رمزية القمر في طور الانتهاء والمهدي في طور الانكشاف.

جاءت رؤية أبو حسام لتبين أن المستفيد الأول من ذلك هو الإمام لكي يتيقن ويتثبت، ثم جاءت هذه الرؤية في ٢٠١٦م لتشير إلى مرحلة تالية، وهي انكشاف الأمر لبعض الخواص حول شخصية الإمام (العشرون قمر). وفي ظني نحن على أبواب رؤية تبرز إلى أن الانكشاف سيكون عامًا للجميع، وقد لا تكون رؤية بل حدث كبير كاشف للأمر... والله أعلى وأعلم.

*****

راية الصدقين

الحقيقة أنني من مرحلة لأخرى أجد أنه يفرض علي الخوض في بعض الرؤى، خاصة تلك الرؤى التي أتعجب من تأويلها البعيد عن الحقيقة، أو عن الفهم الصحيح، وإذا اعتبرنا أن الرؤى إشارات لنا نستطيع من خلاله استلهام الاتجاه الصحيح؛ لذا الأولى استثمارها بين فينة وأخرى بطريقة تؤتي أكلها.

هذه رؤية تحير بعض المعبرين في دلالاتها، ولم تتجه الاتجاه الصحيح نحو الاستثمار الحيوي لها، والرؤية تحمل رمزية مهمة سأركز عليها، والرؤية عمرها سنة وهي في رمضان ٢٠١٥م

يقول الرائي: (حلمت أن فيه شيء بيحصل وانا اشاهده ولكن لا اتذكره وشخص يتكلم عن جيش الفتح، ثم اتجهت ببصري بضع خطوات اتجاه الشمال وجدت راية مرفوعة سوداء وترفرف وحاولت اقرأ ما كتب عليها في الاول لم اتمكن

من القراءة لا أعرف لأنها كانت ترفرف أم أن الليل، ثم في الاخر استطعت: قراءة المكتوب قرأت الصادقين ولكنها كانت مكتوبة الصدقين).

هذه الرؤية سرها في المكتوب في الآخر وهو الصدقين، فهذا الذي وجده الرائي مكتوبًا، فقرأها الصادقين. فما هما الصدقان؟ ولماذا هذه التسمية؟

البعض ظن أن المقصود بهما الصديقين، والحقيقة أن هذه الراية الغائبة على الأمة، وضاعت في بهيم الليل؛ هي سر رسالة محمد ﷺ، وهي سر المرحلة القادمة، وعدم فهمها هو تغييب لمعنى حيوي ستحتكم له المرحلة القادمة.

ما هما الصدقان؟ بداية في اللغة العربية إذا كان هناك أمرين متشابهان، ولهما تسميتان مختلفان يجمعان بحسب الاسم الأشهر منهما؛ فالقمران هما القمر والشمس، والأسودان كما في حديث النبي ﷺ هما التمر والماء، والأسود هو التمر لكن جمعا مع بعضهما بحسب الأشهر وهو التمر الأسود.

كذلك يقول الناس: سنة العمرين، ويقصدون بذلك سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيجمعان مع بعضهما بصيغة التثنية بحسب الأشهر منهما.

فهذه هي اللغة، والرؤية التي قدر الله أن تنكشف من دائرة الغيب استخدمت الصيغة نفسها وبصيغة الكسر، مما يشير إلى أنها مضاف إليه وكونها في راية، إذا تقديرها: راية الصدقين، نفهم من الرؤية أن هناك الصدق وشيء مرافق له، لكن الصدق أشهر وأهم؛ لذا كانت هنا صيغة المثنى للإشارة للأمرين، وكأنهما يحملان سر الفتوح والنصر كما بين صدر الآية.

أعود وأقول ما هما الصدقان الذي بهما يتم الأمر!؟ إنهما الصدق والعدل، لكن لماذا قدم الصدق على العدل!؟ فلأن العدل مرهون بالصدق، بحيث لا يتصور

إقامة العدل أو تجسيده في ظل غياب المعلومة الصادقة، فحاجة العدل للصدق أكثر من حاجة الصدق للعدل، وهاتان القيمتان هما سر المرحلة القادمة، وغيابهما أو غياب تجسيدهما أو فهمهما جيدًا يترتب عليه تأخر الفتوح والتمكين على الأمة.

يقول الله ﷻ: "وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [الأنعام١١٥]، فتمام كلمة الله في خلقه لا يكون إلا بالصدق والعدل، كما أننا نشهد تمام كلمته بالصدق والعدل في كل شيء حولنا. وكذلك نلحظ من الآية أنها قدمت الصدق على العدل للإشارة التي وضحتها سابقًا.

إذًا هذه الآية وضحت لنا بداية الطريق من خلال قيمتين سياديتين، بهما يتم أمر الأمة وبدونهما لا يستقيم أمر الأمة. والغريب أن أكثر الخائضين في مسائل الفتن والملاحم إنما يبحثون على الإثارة أكثر من اهتمامهم بالحقيقة والوصول للحق؛ لذا لا يهتمون بمقدمات الأمر بقدر ما يهتمون بثمراته، وهذا خطأ فاحش وقع فيه الكثيرون.

لذا في ظل هذا الواقع البهيم نحن أحوج ما نكون لبيان هاتين القيمتين المغيبتين حتى من طريقة التفكير العربية، وسأتناولهما ليس كخلقين أو فضيلتين كما درج عليه علماؤنا السابقين، بل من خلال التعامل معهما باعتبارهما قيمتين سياديتين عليهما صلاح أمر الأمة والمجتمع في مستقبلها القريب.

من هذا الوجه فإن أسرار هاتين القيمتين وملامحهما وعناصرهما وأثرهما على المجتمع وفق الرؤية؛ في صميم موضوع الفتن والملاحم، حيث ترسم لنا ملامح قيميتين كانتا الأكثر غيابًا في المجتمع، هاتان القيمتان التي بهما ترتفع راية الصدقين.

سبحان الله! الأمة العربية أكثر أمة تتكلم في الأرض، لكنها على مستوى تجسيد القيم السيادية من أقل الأمم، وهذا سبب حيوي في تجذر التخلف والتنمية في كل البلاد العربية على وجه الخصوص، والصحيح أن القيم السيادية لدي هي ستة وذلك بعد تحقيق طويل وتمحيص ودراسات واسعة جدًا، قد لا يدرك أطرافها القارئ العادي، وهذه القيم بعد إثباتي لسياديتها، فصلت بأجزاء منها ضمن منهج تميزت به عن غيري بنظرية جديدة استوعبت روح أحد كتبي ([1]). وهذه القيم هي: العدل، الإحسان، الصدق، الرحمة والسماحة، الحرية، الشجاعة.

فهذه القيم هي منظومة متكاملة مترابطة يفضي بعضها إلى بعض، وبمجموعها يكون نماء المجتمع وتحوله نحو التغيير الصاعد، وللأسف هذه هي القيم الأكثر تغييبًا عندنا، والأقل توظيفًا وتجسيدًا في حياتنا، مما عمق من معاناة أمة هي خير أمة أخرجت للناس.

لكنني هنا كان الاقتصار على قيمتي الصدق والعدل، وذلك لأن الرؤى المتعلقة بآخر الزمان منها الرؤية التي ذكرتها (راية الصدقين) قد أشارت إليها، وهناك رؤيتان لدي أيضًا تحثاني على هذا الطرح بقوة، فعندما شعرت بوجود أكثر من رؤية في ذات الاتجاه شعرت بأهمية طرحي هذا.

وأنا أعلم أن المتابعين لموضوع الفتن يهتمون بالخلاصات والثمرات أكثر من المقدمات وهذا خطأ كبير منهم، وقد يحرمهم الكثير في المرحلة القادمة، فقد يقول البعض موضوع الصدق تقليدي، فلماذا تطرحه؟ أقول: قد تكون بعض العناصر تقليدية؛ لكن القالب الذي وضعته به كقيمة سيادية ليس تقليديًا، ومعرفته في سياق قالبه مهم وحيوي لنا كمسلمين.

[1] هو كتاب: حقوق الإنسان في ظل القيم والمقاصد العليا في الإسلام.

فأنا من واقع التجربة وجدت بالفعل أن قيمة الصدق والمصداقية هي الأكثر غيابًا في المجتمعات العربية، وعلى مستويات عدة؛ فغياب الصدق معناه: الكذب والزور والغش والتملق والمداهنة والنفاق، وما يترتب عليهم من إحداث ريبة بين أفراد المجتمع.

ودائرة الوحي بينت لنا أنه فقط لن يغيب الصدق في المجتمع، بل تتحول البيئة العربية لبيئة مهمشة وطاردة للصادقين (يصدق الكاذب ويكذب الصادق)، إذا دخلت هذه القيمة في عمق علامات الساعة لإبراز السقف الأعلى الذي ستصل إليه.

وللأسف هذه القيمة لا يفهم الكثيرون جوانبها المتكاملة، على سبيل المثال تجد أحيانا رجلًا من الفلاحين يصلي معك في الصف الأول ويخرج من المسجد ويقول لك: أنا صفحتي بيضاء الحمد لله أنا لا أسرق ولا أزني ولا أقتل.. وهكذا يعدد الأمور الموبقة العامة.

وبالمقابل تجد هذا الفلاح لحفنة من المال يضع سمومًا كثيرة في أرضه من المبيدات، بعيدًا عن الشروط ومواصفات الاستعمال؛ بما يترتب عليه من وجه آخر بيع ثمار فيها نسبة من السم لها علاقة بالأورام الخبيثة والأمراض المتنوعة، فهو يدس السم ويقتل بالبطيء مجتمع بأكمله، ثم يأتي لك ويقول صفحتي بيضاء.. لا أنت قاتل وقتلك بالتسبب، وهو قتل للمجتمع بأكمله لكن بدون دية أو قصاص، وكل معاناة تقع فيها أسرة بسبب تلك السموم هي في صحيفتك، فلا تقل صفحتي بيضاء...

هذا مثل سريع عن غياب المصداقية، والأمثلة كثر بما يوحي أن القيم السيادية غائبة من الوجدان ومن التربية ومن السلوك بالرغم من أنها خطوط حمراء.

أنا لا أريد التفصيل، لكن أترك للقارئ بعد إكمال قراءته أن يقيم ما حوله، لكن بدون تعليقات تفصيلية في المقالات، بل يبقى الكلام عامًا بعيدًا عن التفصيل.

لكن ما أقتنع به أن كل من يخوض في علم الفتن هو بحاجة لدراسة القيم السيادية؛ لأنها ستكون عنوانًا حيويًا لمرحلة التغيير الصاعد في المستقبل، وقبل أن تمتلئ الأرض قسطًا سيكون هنا الصدق والمصداقية هو عنوان المرحلة.

اجتهادات

الكتاب وعمود الكتاب [1]

جاءت الإشارة إلى عمود الكتاب في عدة أحاديث عن النبي عليه السلام، منها قوله عليه السلام: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»، وفي رواية: «إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ».

هذه بعض الأحاديث التي تشير إلى عمود الكتاب، ويلحظ أن عمود الكتاب شيء مغاير للكتاب، فالقرآن الكريم استمر بقاؤه في الأمة إلى يومنا الحاضر وإلى قيام الساعة، أما عمود الكتاب فهو الذي رفع بعدما كان عند النبي محمد عليه السلام، وكون هذه الرؤية يكون رفعه بموت الحبيب محمد عليه السلام، وهذا العمود سيعود في آخر الزمان حيث زمان وقوع الفتن كما صرح الحديث نفسه.

[1] ملاحظة: هذه خاطرة كتبتها بسرعة، وبإذن الله سأقوم بمراجعتها بعد ذلك، وملاحقة مدلولاتها بشكل أوسع وأدق.

وهذا الحديث فيه أسرار عظيمة، والغريب أنه لم يتم ملاحقة مدلولاته عند القدماء...، فأول هذه الأسرار هي تساؤل مفاده: ما هو عمود الكتاب إذا لم يكن هو ذات القرآن الكريم؟ طبعًا لست أهلًا للإجابة على هذا التساؤل، لكن أحوم حوله من خلال عدة تصورات قاصرة جدًا:

١- عمود الكتاب هو تلك القوة المعنوية التي يمتلك صاحبها من خلالها رؤية جديدة للأشياء والأحداث حوله، وبها يتم ترجمة القرآن أو الكتاب ونقله من مدلوله النظري إلى طور الحكمة العملية، وبه يمكن أن يقتدر على أشياء ليست بمقدور البشر بوضعهم الطبيعي، ومن هذا الوجه يمكن فهم كثير من الخوارق والأحداث التي رافقت النبي ﷺ وقدراته الخاصة كقدوم شجرة تخد الأرض لتشهد له أنه رسول، ومنها قدوم الجمل له وشكواه لصاحبه.

ومنها: تلك الرؤية الخاصة التي كانت للنبي ﷺ لبعض الأحداث والوقائع كرؤيته لمصرع أهل بدر ورؤيته لنوايا عمير بن وهب والحدث الذي وقع بينه وبين صفوان في مسألة اغتيال النبي ﷺ...، وكثير من الأحداث الأخرى التي يمكن تفسيرها وفق هذا الفهم...، فهذه كلها تدخل في دائرة عمود الكتاب الي جعله في تواصل مستمر يمزج بين الغيب والشهادة بحدود واقتدار ما قدره الله ﷻ من أشكال تمكين للنبي ﷺ.

٢- عمود الكتاب يراد به تلك القدرة الخاصة التي مكنت النبي من قراءة القرآن الكريم قراءة كونية عليا، ولا أقصد قراءة كتابة لأن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ الحروف، فالقرآن بدأ بكلمة اقرأ، وكلمة اقرأ تحمل سر القرآن كله الذي أخذ اسمه من الكلمة الأولى له، فعمود الكتاب به اقتدر النبي ﷺ على

قراءة القرآن قراءة كونية نقلته من طوره النظري إلى مسرح الواقع من خلال الحكمة العملية...

والمعلوم أن عمود الشيء هو غير الشيء، على سبيل المثال: الخيمة لا يمكن تسميتها خيمة إلا بعمودها الذي ينتصب بها ويحدد معالمها واتجاهاتها بحيث يمكن الاستظلال تحتها، وهكذا عمود الكتاب بالنسبة للكتاب؛ لذا جاء من أوصاف النبي الكريم أنه يتلو الآيات وكشف أسرارها من الناحية العملية ويعلم الحكمة...، وهذا باب عظيم يبرز دلالة التلاوة والمراد بها وتعليم الحكمة والمقصود بها، لكن ليس محله هنا.

٣- نلحظ أن عمود الكتاب له جولتان مع أمة محمد ﷺ، الأولى كانت مع صاحب الرسالة نفسه خلال العالمية الأولى الإسلام، والثانية تكون في زمان الفتن وربطه بالشام حيث مركز الخلافة أو العالمية الثانية للإسلام، طبعًا العالميتان بينتها أحاديث منها الحديث التي يتحدث عن تقلبات الأمة عبر التاريخ: تكون نبوة ما شاء الله لها أن تكون...، فهذا الحديث تكلم عن عالميتين: الأولى بدأت بنبوة وخلافة راشدة والثانية تبدأ بخلافة راشدة...، وهذا الحديث يحسم القول في كل الشطحات التي وقع فيها الكثيرون خلال الرؤى التي ربطت بين المهدي وبين رمزية الأنبياء، فشطح البعض أن المهدي نبي، والنبوة ختمت بمحمد ﷺ وهو آخر لبنة في بناء النبوة كما صرحت الأحاديث، والبعض يراه رسولًا، وكلا القولين هو من الشطحات.

المهدي فقط خليفة، لكن كلمة خليفة لم يعي دلالتها الأكثرون، فالخلافة خاصة التسخيرية بمفهومها الديني الحقيقي لم تقع على الأرض إلا في ثلاث مراحل: الأولى في داود ﷺ، والثانية في محمد ﷺ، والثالثة في الإمام المهدي، فهذه

هي أطوار الخلافة على مدار البشرية... وعمود الكتاب الذي يتولد منه علم الكتاب جاءت الإشارة له في عهد سليمان (عليه السلام) بقوله (سبحانه وتعالى): «قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» [النمل٤٠].

وجاء التنويه إليه في عهد النبي (عليه السلام)، واختلطت آراء المفسرين في كشف مدلول الآية الحقيقي يقول الله (سبحانه وتعالى): «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» [الرعد٤٣]، في عهد سليمان (عليه السلام) كان لأحد الرعية علم من الكتاب، لكن الشاهد مع النبي محمد (عليه السلام) على مصداقية الرسالة عنده علم الكتاب وليس علم من الكتاب فقط، يحتمل لدي أن الآية مرتبطة بالصراع في آخر الزمان، حيث ينتقل عمود الكتاب الذي يُثَوِر علم الكتاب في عهد الخليفة المهدي.

هذه إشارات سريعة ورب مبلغ أوعى من سامع، وهي إشارات قد ينتفع من خلالها البعض، لكن الخلاصة لدي هي أن عقلي قاصر جدًا عن فهم كنه وحقيقة حديث عمود الكتاب؛ فهذا مبلغ علمي في هذه اللحظة، وأسأل الله (عز وجل) أن يجنبني الزلل فيما قلت، وأن يغفر لي زلاتي وجهلي وظلمي لنفسي.

*****

من قمران (البشارة العظمى بمحمد (عليه السلام))

اجتهاد ينشر لأول مرة

أولًا: البشارة الكونية بمحمد ﷺ.

النبي محمد ﷺ شهدت لرسالته الشجرة عندما جاءت تخد الأرض خدًا ووقفت بين يديه، وشهد له حنين الجدع عندما تركه واستخدم المنبر، وشهد له الجمل الذي جاء يشكو صاحبه للنبي ﷺ، وشهد له الحصى وهو يسبح بين يديه، وشهد له الحجر في مكة وهو يرد السلام عليه، وشهدت له الأرض التي ازدانت بالخضرة والخصب في ديار سعد عندما حل بها الحبيب رضيعًا، وشهدت له السماء عندما ملئت حرسًا وشهبًا كما صرح بذلك الجن...

فلئن لم يشهد كفار قريش حينها للنبي فكفى بهؤلاء شهودًا، وما زالت قائمة الشهود والشهادات تتسع لأكثر مما نتصور، يقول الله ﷻ: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" [الرعد٤٣]، فالكفار أنكروا الرسالة، والآية بينت أنه كفى بالله شهيدًا، وشهادة الله تتضمن إشهاد كل ما حول النبي ﷺ من جماد وطير وحيوان لرسالته.

كذلك بينت الآية أن علم الكتاب السابق قد تضمن شهادات تنبؤية صريحة تدل على محمد ﷺ، والشهادات كثيرة... لكن هذه الشهادة التي عثرت عليها خلال دراستي وتحقيقي لمخطوطات قمران تعتبر في ظني من أعظمها.

ثانيًا: تعريف بسيط بمخطوطات قمران.

مخطوطات قمران أو مخطوطات البحر الميت تعد من أهم المخطوطات الدينية التي تم اكتشافها في العقد المنصرم في خربة قمران بالقرب من البحر الميت، وهي ترجع إلى نحو ألفي عام، تشتمل على نصوص أصيلة لملة يهودية تعرف

بالطائفة الأسينية (هذا الاسم عليه ملاحظات ليس محلها هنا)، وقد توكلت لجان عدة في الغرب على تحقيق النصوص والتأكد من مصداقيتها التاريخية، وقد استمر تحقيقها قرابة الخمسين عامًا، وبداية الاكتشاف لمخطوطات قمران كان في عام ١٩٤٧م، صدفة على يد بعض الرعاة من بدو التعامرة، واستمر التنقيب واكتشاف الباقي حتى عام ١٩٥٨م.

والنسخة التي بين يدي لهذه المخطوطات هي ترجمة لديب الخوري في ثلاث مجلدات، وهي نسخة طبعة دار غاليمار الفرنسية الشهيرة، التي كلفت كل من الباحث الكبير أندريه دوبون والأستاذ مارك فيلونيكيو مع فريق مكون من أربعة عشر محققًا، وخرجت بهذا الشكل الذي ترجمه ديب الخوري.

هذه نبذة بسيطة عن المخطوطات، وهناك اتفاق من خلال الفحص للمخطوطات أنها ترجع إلى قرابة الألفي عام، وبعض المخطوطات عمرها أبعد من ذلك بكثير، أي أنها كانت قبل البعثة المحمدية بأكثر من ستة قرون، وهذا يعطي مصداقية لتاريخيتها.

أما مواضيع المخطوطات، فهي خليط حمل الغث والسمين من الموروث الديني القديم، ويحتاج التعامل معها إلى قدرات علمية خاصة هي مزيج من دراسات دينية وتاريخية ولغوية وثقافية للمرحلة التي تنتمي إليها هذه المخطوطات، وجزء حيوي منها هو امتداد لكثير من التحريفات التي لا تقبلها نفس، لكنها أيضًا تضمنت جزء من الحقيقة والتي يشهد لمصداقيتها الواقع، فالكتاب فقط يدرس من خلال متخصصين.

ثالثًا: تأكيد القرآن الكريم على بشارة الكتب السابقة بمحمد ﷺ.

قد جاءت الإشارة في القرآن الكريم في معرض الرد على اليهود في تعاطيهم مع كتبهم الدينية وتحريفهم لمدلولاتها، إضافة لإخفائهم كثير من القراطيس التي تحمل وصف النبي محمد ﷺ أو غيره من المعلومات، يقول الله ﷻ: "قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا" [الأنعام٩١].

وقد بين القرآن الكريم أن أوصاف النبي محمد ﷺ كان يعرفها بنو إسرائيل كما يعرفون أبناءهم: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [البقرة١٤٦]، "وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ" [البقرة٨٩].

فهذه الآيات صريحة في الإشارة إلى أن كتب بني إسرائيل كان فيها أوصاف النبي ﷺ بدقة، وما زالت كتبهم المتداولة (كتب العهد القديم) تحمل كثيرًا من الإشارات الدالة على محمد ﷺ. لكن ما أطرحه هنا هو من خارج دائرة كتب العهد القديم المتداولة، بل من مخطوطات قمران التي تعج بكثير من أوصاف النبي ﷺ في مواطن عدة...

أختار منها هنا على سبيل المثال وصية لاوي، ولاوي هو أحد أبناء يعقوب ﷺ، وهو الجد الأكبر لموسى وهارون عليهما السلام فهما من سبط لاوي، وبغض النظر هل الوصية وصى بها لاوي أو هي منسوبة له، أو مأخوذة من نص نبوي آخر لأحد أنبياء بني إسرائيل ثم تم نسبتها للاوي نفسه؛ فهذا الأمر لا يعنينا هنا، أما ما نجزم به بحسب الدلائل والوقائع أن هذا النص كانت تعرفه الطائفة الأسينية، وهو جزء من تراثها الديني قبل ألفي عام، أي قبل البعثة.

رابعًا: نص البشارة الموجود في المخطوطات (٢/٣٤٣):

والآن مع النص الذي جاء بحسب التحقيق والترجمة تحت عنوان (الكاهن الجديد)، ورمزية الكاهن تشير إلى نبي عظيم كما أنه في بعض المصطلحات القديمة يشار إلى إبراهيم عليه السلام بأنه كاهن، ولن نقف كثيرًا مع المصطلحات في التحقيق. جاء في نص قمران الجزء الثاني صفحة ٣٤٣ وما بعدها:

"وبعد أن ينفذ عقابهم، سيختفي الكهنوت، عندها سيبعث الرب كاهنًا جديدًا، له سيكشف كلام الرب كله.

فهو الذي سينفذ عقاب الحقيقة على الأرض خلال أيام كثيرة، نجمه سيشرق في السماء مثل نجم ملك.

وسيمحو الظلمات كلها من تحت السماء، وسيسود السلام على الأرض كلها، ستتهلل السموات في هذه الأيام، والأرض ستبتهج والسحب ستستبشر.

ستنتشر معرفة الرب على الأرض مثل مياه البحار، وسيكون ملائكة مجد وجه الرب في حبور بسببه، السموات ستنفتح، ومن هيكل المجد سيحل التقديس عليه.

مع صوت أبوي في الوقت نفسه مثل صوت إبراهام وإسحق، ومجد العلي سيشهر عليه.

وروح البصيرة والتقديس سيحل عليه بواسطة الماء... ولن يعقبه أحد من جيل إلى جيل، وتحت كهنوته ستزداد الأمم في المعرفة، وستستنير بنعمة الرب.

لكن إسرائيل ستتقلص في الجهل، وستغرق في ظلام الحداد، وتحت كهنوته ستختفي الخطيئة.

الكفار سيكفون عن فعل الشر، والأبرار سيعتمدون عليه، إنه هو الذي سيفتح أبواب الفردوس". انتهى([1]).

خامسًا: تحليل سريع لبعض مدلولات النص السابق:

هذا النص القديم الذي قدر الله له أن ينكشف بعد ألفي عام، لا يصدق في معانيه ودلالاته إلا على محمد ﷺ، بل هو أدق توصيف لرسول الرحمة العالمية، بما حمله من توقيت البعثة، وتغير اتجاه وخط النبوة، ومواصفات دقيقة جدًا لا يمكن حملها إلا على سيد المرسلين محمد ﷺ، ومزيد من الإيضاح سأتناول الفقرات السابقة فقرة فقرة بالأدلة:

١- (بعد أن ينفد عقابهم سيختفي الكهنوت): هذه العبارة تشير إلى العقاب بعد عيسى عليه السلام، ويراد بها الهجوم على أورشليم ودمار الهيكل على يد الرومان، وبعد أن ينفد العقاب سيختفي الكهنوت ([2])، وهذا ما حصل بالفعل حيث أن بني إسرائيل كان لا يخلو عهد من عهودهم من نبي لله، لكن بعد عيسى عليه السلام اختفت النبوة قرابة الستة قرون.

٢- (عندها سيبعث الرب كاهنًا جديدًا، له سيكشف كلام الرب كله): والكاهن الجديد أشارت له نصوص أخرى أنه من بين إخوة بني إسرائيل وليس منهم. وهنا كلمة (جديد) إشارة إلى تغير في الاتجاه نحو رسالة جديدة على غير النسق السابق الذي كان امتداده من ناحية إسحق ويعقوب، فأنبياء بني إسرائيل يمثلون خط الكاهن القديم، والكاهن الجديد هو من خط آخر وهو من

[1] انظر ديب الخوري: مخطوطات قمران (٣٤٣/٢ وما بعدها).
[2] مصطلح الكهنوت يشير إلى النبوة بحسب اللغة الدينية الدارجة في ذلك العهد.

جهة إسماعيل عليه السلام. فهذا معنى الكاهن الجديد، إنه تغيير في اتجاه النبوة التقليدي المعهود.

وعبارة: (له سيكشف كلام الرب كله)؛ فهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم بأن الكتاب الذي أنزل على محمد عليه السلام كان الكتاب المهيمن على ما قبله، وفيه تبيان كل شيء، ومن أدلة العبارة السابقة قوله سبحانه وتعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" [المائدة٤٨]، "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" [النحل٨٩]، فهذه الآيات وغيرها كثير تشير إلى أن محمد عليه السلام قد اختصه الله بكشف كلامه له بصورة مهيمنة، أمكن وصفها بنفس العبارة السابقة (له سيكشف كلام الرب كله).

٣- (ساطعًا بنور المعرفة كما تلمع الشمس في وسط النهار، وسيمجد في العالم كله، سيشع مثل الشمس على الأرض): وهذا الوصف لم يكن إلا لمحمد عليه السلام، فهو الشمس المنيرة أو السراج المنير يقول الله سبحانه وتعالى في حق النبي عليه السلام: "وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا" [الأحزاب٤٦]، أما كيف سيمجد في العالم كله؟ فذلك ملحوظ في كل أنحاء العالم من خلال الأذان، وما فيه من شهادة لمحمد بأنه رسول الله، كذلك يرشد إليه قوله سبحانه وتعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [الأحزاب٥٦]، وهذا الوصف لم يقع لنبي مثلما وقع لمحمد عليه السلام.

٤- (ستنتشر معرفة الرب على الأرض مثل مياه البحار، وسيكون ملائكة مجد وجه الرب في حبور بسببه، السموات ستنفتح، ومن هيكل المجد سيحل التقديس عليه): وهذه العبارة تشير بوضوح للعلم والمعرفة التي انتشرت في كل الأرض بسبب رسالة الإسلام، وهذا باعتراف كل المستشرقين المعتدلين. أما عبارة (ملائكة مجد وجه الرب)؛ فهي إشارة إلى حملة العرش والملائكة

الكروبيين، أما (الحبور) فهو هذا التسبيح: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" [غافر٧]، أما عبارة (السموات ستنفتح)؛ فذلك إشارة إلى رحلة المعراج نحو السماء، هذه الرحلة التي تميز بها النبي محمد عليه السلام.

٥- (وروح البصيرة والتقديس سيحل عليه بواسطة الماء...، ولن يعقبه أحد من جيل إلى جيل، وتحت كهنوته ستزداد الأمم في المعرفة، وستستنير بنعمة الرب. لكن إسرائيل ستتقلص في الجهل، وستغرق في ظلام الحداد، وتحت كهنوته ستختفي الخطيئة): هذا النص يتطابق مع رسالة محمد عليه السلام بالضبط، ففيه إشارة إلى بركات الوضوء والغسل وأثرهم في الطهارة والتقديس، بل هما عنوان الطهارة: (الطهور شطر الإيمان).

أما عبارة (لن يعقبه أحد من جيل إلى جيل)، فهذا ما أكد عليه النبي عندما قال: "أنا خاتم الأنبياء ولا نبي بعدي"، والحديث الذي أشار فيه النبي عليه السلام بأنه اللبنة الأخيرة في البناء النبوي، والقرآن صرح بذلك بقوله: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [الأحزاب٤٠].

أما (إسرائيل ستتقلص بالجهل)؛ فهذا هو الحاصل مع بعثة محمد عليه السلام الذي كشف التحريفات السابقة، كشف كثيرًا من الحقائق التي تم تغييبها، أما عبارة: (ستغرق في ظلام الحداد)؛ الحداد هنا لأنه كاهن جديد خرج من غير الفرع الإسرائيلي، ثم حسدهم للنبي ومحاربتهم له، وهذا هو ظلام الحداد الذي غرقوا به، وهو عين ما أشارت له الآية القرآنية: "فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ" [البقرة٨٩].

٦- (الكفار سيكفون عن فعل الشر، والأبرار سيعتمدون عليه، إنه هو الذي سيفتح أبواب الفردوس): وهذه العبارة فيها السر الأكبر؛ حيث كان بنو إسرائيل ينظرون لكل الأمم حولهم (الأميون) أنهم كفار، فلماذا الكفار سيكفون عن فعل الشر!؟ السبب بسيط؛ لأنهم سيؤمنون بتلك الرسالة الجديدة، ويكونون من أتباع الحق. كذلك من الذي سيفتح أبواب الفردوس!؟ إنه محمد ﷺ كما ورد في مصنف أبن أبي شيبة: "بَلَى إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي" ([1]).

الخلاصة:

هذه جولة سريعة مع نص موجود في مخطوطات قمران، هو قبل البعثة المحمدية بست أو سبع قرون، ولاحظنا كيف أن هذا النص يصف الرسول محمد ﷺ وصفًا دقيقًا، هذا الوصف لم يصدق بكل جزء من أجزائه إلا على بعثته عليه أفضل صلاة وأتم تسليم...، وفي ظني هذا النص هو من أقوى المبشرات ببعثة محمد ﷺ، وقد كشفته لنا مخطوطات قمران ليكون الشاهد القديم الجديد على مصداقية رسالة محمد ﷺ. ولو رجعت مرة أخرى للنص وقرأته بعد الشرح؛ فإنك لا تشك أبدًا بأنه تضمن البشارة العظمى بسيد المرسلين.

* * * * *

[1] ابن أبي شيبة: المصنف (١١/٥١١).

الإسلام والماء

أعجبتني كلمة للشيخ الشعراوي قال فيها: أن الإسلام كالماء؛ لا طعم ولا لون ولا رائحة؛ ولكنه سر الحياة ولا يختلف عليه اثنان.

كلمة حق: الإسلام دين الفطرة وهو سر حياة الروح، كما أن الماء سر حياة الجسد، وإذا حكم الإنسان فطرته وعقله لا محالة سيختار هذه الرسالة؛ لأن في الإنسان نزوع نحو فطرته، والشهوات والمعاصي والأهواء هي التي تعمل إما بتخدير داعي الفطرة وإما بإماتته عند البعض.

لذا وصف القرآن لبعض من يمشي على الأرض أنهم أموات أو قبور تمشي على الأرض، إنما يقصد بذلك أنهم أقوام أماتوا في داخلهم داعي الفطرة، هذا النازع القوي الذي يدعوهم للإيمان برب واحد مدبر للكون ومتصرف فيه، وهو النازع الذي يدعوهم للفضيلة.

فتوصيف الإسلام بالماء توصيف في محله، والماء الذي لا يختلف فيه هو هذا الماء المجرد عن صفات اللون والطعم والرائحة، لكن إن تغير لون الماء أو طعمه أو رائحته؛ عندها تختلف الأذواق في التعامل معه، فأنا لا أختلف مع غيري في حاجتي للماء، لكن لو جاء لي بماء ممزوج مع عصير برتقال أو فراولة أو قهوة أو غير ذلك؛ فهنا تختلف الأذواق، فما يعجبك قد لا يعجبني، وما تستطيبه قد لا أستطيبه.

لذا كان المحافظة على بقاء الإسلام بدون الألوان كالماء؛ هو سر قوة الإسلام ونقاؤه وتعانقه مع الفطرة، لكن إن دخلت الألوان والطعوم والروائح، كان هنا الاختلاف. وهذا وجه كون الحزبية ممقوتة في الإسلام لأنها محل الاختلاف، وتخرج

الإسلام عن صورته الأصلية، وتخرجه من دائرة الفطرة نحو داعي الهوى والفئوية والشركية.

لذا جاء التحذير في القرآن من التفرق والحزبية، والتأكيد دائمًا على إبقاء الإسلام على صورته الحنيفية، يقول الله ﷻ: "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ١٦٠ قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفًا وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" [الأنعام].

هذه الآية فيها تحذير من مزج الماء بأي طعم أو لون أو رائحة تخرجه عن ماهيته، إنها الحزبية التي تفرق وتختلف معها الأذواق؛ لذلك بينت الآية أنك يا محمد لست من هؤلاء في شيء. ثم ردنا القرآن إلى داعي الفطرة داعي الملة، وهي ملة إبراهيم دين الحنيفية أو الدين القيم على الفطرة.

يقول الله ﷻ: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ٣٠ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢" [الروم].

وهذه الآيات تردنا من جديد لداعي الفطرة، محذرة للأمة من الشرك، ثم بينت أن الشركية هي فيمن فرقوا دينهم، وصبغوه بغير صبغة الله من خلال ألوان ابتدعوها، وأحزاب يفرحون بها ويتناصرون بها، ويجعلونها معيارًا للحب والبغض والولاء والبراء...

إنه نزوع بالماء عن حقيقته إلى غيره، وهنا الاختلاف والفرقة، وبها تتسلل الندية والشرك من دون الله...، أو هي تقطيع للأمة ولعواطفها وآمالها ومعتقدها،

يقول الله ﷻ: "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣" [المؤمنون].

الإسلام كالماء، الماء سر حياة الجسد، الإسلام سر حياة الروح ومعاني الإنسانية. إضفاء لون أو طعم أو رائحة للماء يخرجه عن ماهيته، وأثره الحيوي ومدعاة لاختلاف الأذواق. تسلل الحزبية للإسلام هو إضفاء لون جديد للإسلام، وهو مدعاة للفرقة والاختلاف، السلامة في البقاء مع صبغة الله بعيدًا عن التلون بأي لون يبتدعه البعض، يقول الله ﷻ: "صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ١٣٨" [البقرة].

*****

قبر موسى عليه السلام

سبحان الله! في دراسة لي توصلت إلى احتمالية أن يكون الكثيب الأحمر الذي دفن فيه موسى عليه السلام، هو ذاته الجبل الذي تجلى الله له، يقول الله ﷻ: "وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ".

هنا الآية قالت: "جَعَلَهُ دَكًّا" ولم تقل دكه دكًا، و"جَعَلَهُ دَكًّا" معناها أن الجبل تحول إلى دكاوة. والدكاوات معناها أن الجبل انهدم، وتحول إلى ما يشبه الكثيب. أو الدكاوة من التراب والرمل.

إن صدقت فرضيتي، وبإذن الله سألاحق مدلولاتها لأتأكد منها، فيكون موسى عليه السلام حرم من رؤية الله في الدنيا، ولكنه لم يحرم من أن يدفن بالبقعة التي تجلى الله فيها للجبل، فهو حرم التجلي الإلهي لأنه لا مجال للرؤية في الدنيا، ولكنه لم يحرم من الدفن في بقعة التجلي نفسه، تحت الجبل الذي نال التجلي الإلهي، فتحول إلى كومة من الرمل الأحمر أو الكثيب الأحمر...، هذه فرضية هي الآن مجرد إشارة، لكنني بإذن الله سأثبتها بالأدلة والقرائن مرة أخرى.

والحقيقة أن ما توصلت إليه فجأة لم يكن يخطر ببالي، وهو دراسة مطولة جدًا، وكنت أسير بها تدريجيًا وتفاجأت بما ذكرته هنا في هذه المشاركة، لكنني الآن أحاول إثباته بطريقة علمية بالقرائن والأدلة، لكن لو صدقت فرضيتي فمعناها عجيب جدًا، ويكون من مدلولاتها: لن تراني ولكنك تدفن في المكان الذي يراني.

*****

فهم جديد

جبل الجودي

اختلفت الآراء حول موقع جبل الجودي المذكور في القرآن الكريم، وجبل أراراط المذكور في نصوص العهد القديم، وهو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح، وخلال دراسة مستفيضة للموضوع استوعبت فيها كل الدراسات القديمة؛ وصلت إلى أن أقوى الاحتمالات والترجيحات لدي هو أن جبل الجودي هو أحد الجبال في الحجاز أو في سلسلة السراة.

وقد عينت هذا الجبل الذي يحمل اسمًا عجيبًا غريبًا غير معهود ليومنا الحاضر، وأنا على قناعة أن هذا الجبل ما زال يحمل بين ثناياه بقايا السفينة، أو إشارات تدل على كونه مرسى سفينة نوح.

أترك هنا بيان اسم الجبل، وأسأل الله أن يتيسر لي الأمر للتأكد من معلوماتي قبل التصريح باسمه، لكن المعلومة العلمية لدي بعد فحصها من عدة جوانب؛ وصلت لغلبة الظن أن المراد بجبل الجودي جبل في عمق جبال السراة.

يا جبال أوبي معه.. أي جبال!؟

آخر ما يخطر على بالي أن الجبل الذي لجأ إليه داود هاريًا، واستمر في منطقته مدة من الزمن تلقى خلالها الزبور، حيث كان يتلوه بصوته الجميل في جو موحش بعيد عن البشر، لكنه كان مؤنسًا جدًا له مع الله ومخلوقاته؛ حيث أوبت الجبال والطير معه...

آخر ما يخطر ببالي أن يكون هذا الجبل في المنطقة الشرقية بين مكة والمدينة، لكن البحث المضني والدراسة المتأنية أوصلتني لهذه النتيجة الغريبة علي، فكيف على الناس!؟ والأيام كفيلة لإظهار هذه المعلومات بالأدلة القوية.

مجمع البحرين

طبعًا كلامي قد لا يفهمه البعض، لكن الأيام والأدلة والقرائن التي سأطرحها في المستقبل ستثبت مصداقية كل كلمة سأطرحها، هي أدلة تعاملت معها ببعض التأمل فأرشدتني بفضل الله أولًا وأخيرًا إلى ذلك.

مجمع البحرين في الحجاز، واللقاء كان بين موسى عليه السلام الإسرائيلي وبين الخضر الإسماعيلي، والصخرة عند ملتقى البحرين ما زالت شاهدًا ليومنا هذا ولكنها لا تخطر على بال، فكان مجمع البحرين الحسي ومجمع البحرين المعنوي (سلالة الغلام العليم إسحق وسلالة الغلام الحليم إسماعيل)، وكان آخر درس تعلمه الرسول القومي (موسى عليه السلام الذي أرسل لقومه) هو أول درس بدأ به الرسول العالمي محمد عليه السلام.

والدرس هو رؤية حركة الغيب المهيمنة على المشاهدة من خلال ستار رقيق، دون الظهور المباشر في حركة الواقع، وهي الدروس الثلاثة التي تعلمها موسى عليه السلام، بعيدًا عن المعجزات والتدخل الغيبي المباشر، وهذه الدروس بعدما وقعت بين الخضر حركة الغيب خلفها، لكن من خلال تعليم إرشادي.

وهي البداية التي بدأ بها محمد عليه السلام (اقرأ)؛ إنها قراءة حركة الغيب المهيمنة على الواقع، لكن كان الأسلوب في قصة موسى عليه السلام من خلال التعليم الإرشادي، أما في قصة محمد عليه السلام فكانت من خلال الوحي، وهذا سر نزول القرآن منجمًا مفرقًا بخلاف الكتب الأخرى.

أما عن مجمع البحرين الشاهد على هذه القصة؛ فسأترك تحديده الآن حتى أخرجه مستقبلًا بالأدلة الدالة عليه.

الفهرس